

ملاحق الكتاب

أبو محمود القائد الكتامي

(من المقفى للمقريزي - مجلدة برتو باشا)

ابراهيم بن جعفر بن فلاح بن مروان ، أبو محمود القائد الكتامي ، قدم الى القاهرة مع أبيه جعفر بن فلاح ، ومازال بها الى ان قتل أبوه بدمشق في سنة ستين وثلاثمائة عند محاربة القرامطة ، وقدم القرامطة بعد قتله الى القاهرة وأخرج اليهم المعز ابنه عبد الله فقاتلهم وانهمزموا ، فأحب المعز ان يبعث في آثارهم من يأخذهم فوقع اختياره على أبي محمود ابن فلاح ، فجهزه .

وسار لخمس بقين من شعبان سنة ثلاث وستين وثلاثمائة من القاهرة على عسكر بلغت عدتهم عشرين الفا . فسار الى الشام وظفر في طريقه بجماعة من أصحاب القرامطة بعثهم الى القاهرة .

وبخل الرملة فاستأمن اليه جماعة من عسكر القرامطة وملكها بغير قتال وسار يريد دمشق وقد سار عنها الحسن بن أحمد القرمطي واستخلف عليها أبا المنجى في طائفة من الجند . فنزل أبو محمود أذرعاء . وسار ظالم بن مرهوب من بعابك بمكاتبة المعز له الى دمشق . فلما نزل عقبة دمر خرج أبو المنجى الى الميدان ليقاتله ، وهو في الفي رجل . فبعث اليه ظالم يخادعه ويقول : « إنما جئت مستأمنا اليكم » . فسار عدة من جند أبي المنجى الى ظالم فقوي بهم وأقبل الى أبي المنجى وأحاط به فلم يمكنه الهرب . فأخذه وابنه ، وصار عسكره كله مع ظالم ، فملك دمشق يوم السبت لعشر خلون من شهر رمضان ، وقبض على جماعة من أصحاب أبي المنجى وأخذ أموالهم ، وطلب أبا بكر محمد بن أحمد بن سهل النابلسي حتى ظفر به .

ونزل أبو محمود على دمشق يوم الثلاثاء لثمان بقين منه فأنس به ظالم وأكرمه وخرج اليه وأسلمه أبا المنجى وابنه وابن النابلسي ،

فعملهم أبو محمود في أقفاص من خشب وجهزم إلى القاهرة .
وامتدت أيدي أصحاب أبي محمود يأخذون من يلقونه في الطرق
وينهبون القرى ويأخذون القوافل ، ولا يقدر أبو محمود على ردهم .
وصار ظالم في المدينة يأخذ أموال السلطان ولا يدفع لأبي محمود
شيئا ويرى أنه صاحب البلد ، هذا وقد كثر في البلد حمل السلاح من
الغوغاء ، وقتلوا أصحاب المشايخ ، فامتنع الناس من الذهاب
والمجيء ، وفر أهل القرى إلى المدينة وختل ظواهر دمشق .
فلما كان يوم الخميس النصف من شوال نزل أصحاب أبي محمود
لنهب القصارين عند الميدان ، فوق الصارخ في المدينة وخرج الناس
بالسلاح ، وفيهم أصحاب ظالم فاقتتلوا ثم افترقوا ، وكثر بعد ذلك
حمل السلاح في البلد .

وقدمت قافلة من حوران على طريق الدرجة فأخذها أصحاب
أبي محمود وقتلوا ثلاثة ممن كان فيها ، فحملهم أصحابهم
وطردوهم بالجامع داخل المدينة ، فاجتمع عليهم الناس وغلقت
الدوانيت وختل الأسواق ، واجتمع العالم وضرب أصحاب أبي
محمود قرية حجيرا (١) فدخل أهلها الجامع وهم يصيحون ،
واستمر الخوف إلى يوم الاثنين سابع عشر ذي القعدة فوقع الصوت
في البلد: الذفير ! فلبس الناس السلاح وخرج أصحاب ظالم معهم ،
فقاتلوا أصحاب أبي محمود يومهم إلى الليل ، ثم أصبحوا يوم
الثلاثاء فاقتتلوا إلى الليل ، وأصبحوا يوم الأربعاء فاقتتلوا إلى
العصر ، ووقع الحريق فانهزم أهل البلد وقتل منهم كثير . فخرج
ظالم من دار الإمارة ، ولم يكن خرج في هذه الحروب ، وإنما يبعث
أصحابه ويظهر أنه إنما يريد الدفع عن البلد ولا يحب القتال ولا
الخلاف ، وهو مدهن في ذلك . فلما رأى أهل دمشق منهزمين
والمغاربة خلفهم ، وقد ازدحم أصحابه في الجسر حمل ، ومعه طائفة ،
على أوائل المغاربة حتى ردهم عن الرعية . ثم تكاثرت المغاربة عليه
فعبر الجسر ، وأخذ المنهزمون نحو البيوت فأدركهم المغاربة وقتلوا
منهم كثيرا . فضج الناس بالذفير من المأذن والأسطحة ، وكثر الرمي

بالدشاب من الأسطحة ، فأحرق المغاربة الفرانديس ، وكان بناء حسنا فشعت النار وأتلفت شيئا كثيرا ، وانهزم ظالم وسار الى بعلبك . وجن الليل ، وبات الناس خامدين فزعين لما يأتيهم من الغد ، وتمكنت النار تلك الليلة وأحرقت ما شاء الله ، وتصاعد لها السنة وشرار عظيم وصارت كأنها فرس يجري .

وأصبح الصبح وقد احترق قصر عاتكة وقصر حجاج وما هنالك فلم يبق له أثر . هذا والناس طول ليلهم يعارضون الخشب في الأسواق ويضيقون الدروب ويحفرون الخنادق في الطرق خوفا من دخول الخيل والرجالة الى المدينة ، وعملوا على أنهم يقاتلون على أبواب البلد وبات المغاربة فرحين بأخذ البلد .

فلما أصبحوا أقبلوا الى المدينة فخارت قوى كثير من الناس لما داخلهم من الفرع ، وتحيروا . فعندما أقبل المغاربة وقع النداء بالنفير ، وخرج أهل دمشق فاقتتل الفريقان مليا .

ثم أن مشايخ البلد ساروا الى أبي محمود وهو نازل بالميدان يسألونه الرفق ، وقد تبعهم خلق كثير . فلما دخلوا عليه لطفوا به وداروه وضرعوا اليه ، فقال : ما نزلت لقتالكم ، وإنما نزلت لأرد هؤلاء الكلاب عنكم - يعني أصحابه - وما أنا ممن يقاتل رعية .

فاستبشر الناس واختلطوا بأصحابه وانتشر قوله في البلد فزال الخوف ، ودخل المغاربة الى المدينة في ما يحتاجون اليه . وولى أبو محمود الشرطة لرجل يقال له حمزة من المغاربة ولابن كشمرد من الاخشيدية فدخلا البلد في جمع عظيم وطافا بالمزاهر والزمر وجلسنا في الشرطة ، وصارت رجالهم تطوف المدينة في الليل في عدة وافرة .

هذا وحمال السلاح ممن يطلب الفتنة لم يكفوا فكان الطوف يجد دروبا قد ضيقت لايمكنه أن يدخل فيها . فشكا صاحب الشرطة ذلك الى أبي محمود وقال : إن القوم على ماكانوا عليه من العصيان ، وأشدهم قوم في باب الصغير .

فقال بعض من حضر عند أبي محمود من أهل دمشق : انما كان الأمر والنهي للرعية - وأهل هذا البلد قد غلبوا عليه .

وكثر الكلام في هذا فعظم ذلك على أبي محمود واضطرب . فلما حضر مشايخ البلد اشتد عليهم وهددهم وقال : « أنتم مقيمون على العصيان » ، فاعتذروا بأن سد باب الصغير وغيره إنما كان خشية من أن يدخل منه من لا يعلم به القائد من أصحابه ممن يطلب الفتنة فتثور جهال الناس ، فأقسم أبو محمود لأن لم يفتح هذا الباب ليركبن إليه وليحرقنه وليقتلن من فيه . فقال الشيوخ : نعم ، نفعل مايقول القائد .

وأجلهم ثلاثا فخرجوا من عنده حائزين لا يدرون كيف يسوسون جهال الناس ، ولما يعملون في أمر السلطان . واتوا الى باب الصغير وقد اجتمع أهل الشر فيهم ابن الماورد ، رأس الشطار ، فبلغهم الشيوخ ما قال أبو محمود فكثير اختلافهم . ثم إنهم فتحوا الباب من وقتهم .

واتفق أن بعض المغاربة في هذا اليوم جرى بينه وبين بعض أهل الشر من الدمشقيين نزاع في صبي أراد المغربي أن يغلب عليه ، فرفع الدمشقي السيف وقتل المغربي في السوق . فاضطرب البلد وغلقت الأسواق وثار العسكر ، فسد أهل البلد باب الصغير ، واشتد حنق أبي محمود ، وفرق السلاح على أصحابه في الليل ، وأصبح العسكر يريد باب الصغير ، فصاح الزفير في البلد وكبر الناس على الأسطحة فطرح العسكر النار في الدور التي خارج المدينة . وخرج ابن الماورد في جماعته ومعه سوقة ونظارة أكثرهم بمقاليع ، ودار المستنفرين في أزقة المدينة ينفرون الناس للقتال ، فأقبلوا أفواجا الى باب الصغير والقتال قد حمي بين الفريقين .

ونزل أبو محمود في محراب المصلى واضطجع لوجع كان به في باطنه وهو يتأوه ، فكانت في هذا اليوم عدة وقائع آلت الى انهزام أهل البلد ، وطمع المغاربة في أخذها ، فضج الناس بالزفير من الأسطحة والمآذن ، وعلا صياح الرجال والذساء والصبيان ، وكثر الحريق ، واشتد الرمي على المغاربة من فوق الدروب بالنشاب والحجارة . فردوا عن دخول البلد . وخرج مشايخ البلد من باب

الجابية وفيهم ابن أبي هشام وأبو القاسم أحمد بن الحسين العقيقي العلوي - وكان أبو محمود يجله ويعظمه - فتوجهوا الى أبي محمود وقالوا له : « الله ! الله ، أيها القائد في الحرم والأطفال وما زالوا به حتى رد العسكر عن المدينة بعدما أشرفوا على أخذها» .
وصرف العقيقي من كان من الرعية يريد أن يقاتل ، وسار أبو محمود بعسكره الى حيث كان ينزل ، وذلك في آخر ذي الحجة (٣٦٣ هـ) فصلح الأمر وسكن الشر .

وخرج الناس الى أبي محمود ودخل أصحاب الشرط المدينة ، الا انه كان قد فر من الغوطة خالق كثير الى المدينة ، وفيهم طائفة نزار وطمايع صاروا مع أهل الشر من أهل المدينة ، وفيهم طائفة يقال لها الهياجنة (٢) . من قرى المرج ، لا يعرفون سوى الفساد ، فصار هؤلاء يأكلون أهل السلامة والمستضعفين والذمة ، ويجبون مستغلات الاسواق ويكبسون المواضع فينهبون ما فيها . فأكلوا بذلك ولبسوا وحسنت احوالهم ، وصاروا يكرهون أن يتمكن السلطان لنلا يزول ما هم فيه ، فهلك كثير من الناس بين العسكر وبين أهل الشر .

فلما كان في بعض الليالي مر صاحب الشرطة على عادته فاذا بصبي صباغ معه سيف فأخذه وقتله ، فخشي أهل الشر أن تمتد يد السلطان فيهم فيذفيهم ، فثاروا عند الصباح بصاحب الشرطة ، ففر بمن معه الى أبي محمود وأقبلت الهياجنة الى الخضراء (٣) . وجمعوا البواري والقصب وقالوا : « هذه البواري والقصب أراد المغاربة أن يجعلوها في بطائن الجامع ليحرقوه » . وقال أهل الشر لجهال العامة : « اصعدوا المآذن ونادوا النفير الى الجامع ! » . ففعلوا ذلك وثار الناس بالسلاح الى الجامع ، فلم يروا غير بواري وقصب مطروحة في الخضراء ، وركب العسكر وطرحوا النار في كل موضع بقي فيه عمارة واقتتلوا على الأبواب ، فكان يوما عظيما شره من شدة القتال وقوة الحريق . فاشتد الخوف على البلد ، وعلا الضجيج الى أن اظلم الليل ، وذلك يوم الخميس لثلاث خلون من المحرم سنة أربع وستين وثلاثمائة .

وأصبحوا على ذلك . فظهر في أهل الشر غلام يقال له « ابن شرارة »
قد ترأس وصار له قدمة في الشنيرة (٤) والقتال فأخذ جهة من البلد
يقاتل عليها ووقف على باب الجابية عبيد الحوراني في جماعة ،
وعلى باب الفراديس ابن بزيقات وابن المغنية وقسام ، وكل جر من
هؤلاء بأعلام وأبواق . فاستمر القتال في أكثر المحرم وفني فيه
خلائق الى أن خرج المشايخ الى أبي محمود وشكوا اليه ما الناس
فيه ، وأنه لم يهلك الا أهل الستر والمستضعفون . وكان قد علم ذلك
وأن الفساد انما هو من أهل الشر فقط ، فأجابهم ووقع الصلح ،
وصرف حمزة المغربي وابن كشمرد الاخشيدي عن الشرطة ، وولى
رجلا من بانياس كان أميرا على التركمان يقال له « أبو الثريا » على
الشرطة وذلك لأول من صفر فعبر من باب الصغير ، ومعه رجاله من
الأكراد ، وقد كمن له ابن الماورد أحد الشطار فثار به وخرج عليه
فقتل من أصحاب أبي الثريا عدة ، وانهمز فيمن بقي معه الى أبي
محمود ، وقد انتشر الناس حول البلد بمعايشهم وضروراتهم .

فركب العسكر وأخذوا الطرق وأتوا على كثير ممن ظفروا به
ليقتلوهم ووقع النفير في البلد ، فخرج الناس واشتد القتال مدة صفر
وشهر ربيع الأول الى أن بقي من شهر ربيع الآخر ليل فوقع الصلح
وولى أبو محمود ابن أخيه جيش بن الصمصامة البلاد ، ونزل في
قصر الثقفين وانصلح الحال أياما الى أن عبر بعض المغاربة من
الفراديس فعاثوا هناك فثار الناس بهم وقتلوا من لحقوا منهم
وعادوا الى قصر الثقفين ففر جيش بمن معه فنهبوا ما كان معهم ،
وصار جيش الى أبي محمود ، وأركب معه العسكر وزحف على
المدينة بالنفأطين فأحرق مواضع حتى لم يبق لها أثر ، وقصد أهل
الشر ، وكانوا في موضع بالمدينة يعرف بسقيفة جناح بالقرب من باب
كيسان ، فقاتل هناك الى باب شرقي قتالا شديدا من أول جمادى
الأولى في كل يوم من بكرة النهار الى آخره ويبيت العسكر حول
المدينة يطلبون الغفلة فيقع النفير من البلد الى تلك الجهة حتى تحمى
فاذا أصبحوا عاودوا القتال .

فتعب أهل المدينة بحصار العسكر من باب الى باب ، والقصد
انما هو باب كيسان ، فتارة يكون للعسكر وتارة يكون لأهل البلد ،
ولا يكل أحد من الفريقين ، وقتل خلق كثير ومات في البلد من دواب
أهل الغوطة التي دخلوا بها سشيء كثير ، وصار العسكر يتخطف من
يظفر به من أهل الغوطة ويقتلونه فخربت الغوطة .

ودخلت القرى حتى إن العسكر كان يجول بها فلا يجد احدا .
فصاروا يحرقون الأبواب ويأخذون المسامير والحصر ، ولا يقعون
على أحد الا قطعوا رأسه . ومنع الواصل الى المدينة فغلت بها
الأسعار ، وبطل البيع والشراء ، وانقطع الماء عن البلد فعدمت القنى
والحمامات ، وصار الانسان اذا مر بمدينة دمشق لا يجد غير أسواق
مغلقة ونساء جلوس على الطرقات وقوم يصيحون : النفير ! .

فانتك في هذه الفتنة أكثر الناس وساءت احوالهم وماتوا على
الطرق من الضر والبرد ، والقتال لايزداد الا شدة طول الليل والنهار
الى أن أجهد الناس البلاء وقوي على أهل البلد أشراهم وأكلوا
أموال أهل السلامة . فقالوا : نخرج الى هذا السلطان وندخله الى
المدينة يفعل فيها ما يشاء ونستريح مما نحن فيه! .

ففتح أهل التوراة توراتهم وأهل الانجيل انجيلهم وصاروا الى
المسلمين ففتحوا القرآن ، واجتمع الكل في الجامع وضجوا بالدعاء
واستغاثوا الى الله يطلبون الفرج ، وداروا المدينة وهي مذشورة على
رؤوسهم . فتجمع الشيوخ والأشراف وراسلوا ابا محمود في الصلح
وخرج اليه خلق كثير من الرعية وداروا حول فرسه وقالوا له :
ادخل ايها القائد ، ونحن بين يديك ، والبلد لك ، افعل فيه ما
اخترت! .

فأحسن في القول وجامل في الرد . فاستبشر الناس واجتمعوا في
الجامع ، واحضروا ابن الماورد وابن شرارة واکابر أهل الشر
والزموهم بالكف عن معارضة السلطان في البلد ، وأنهم يلزمون
بيوتهم . فأنزعنا لذلك وانصرفوا ، الا رجل من أهل الشر فانه شمش
وطلب الفتنة فأخذ أهل البلد وقتلوه فانكف أهل الشر .

وكانت الاخبار ترد على المعز بما يجري على اهل دمشق من خراب البلاد وكثرة القتل وطول الحصار ، وأن العسكر لا يذمط لأبي محمود . فكتب الى ظالم وهو بعلبك يستجيد رايه ويوبخ ابا محمود وكتب الى ريان الخادم والي طرابلس في النصف من شعبان سنة اربع وستين وثلاثمائة أن يسير الى دمشق وينظر في امر الرعية ويصرف ابا محمود عن دمشق .

فسار ريان من طرابلس الى دمشق ، وأمر ابا محمود ان يرحل الى الرملة ، فسار عنها في عدد قليل وبقي العسكر مع ريان . فنزل ابو محمود طبرية .

فلما قدم هفتكين الشرايبي من بغداد الى دمشق وملاكها من ريان ونزل عليه متملك الروم خرج اليه . وبلغ ذلك ابا محمود فجهز جيش ابن الصمصامة من طبرية في الفي رجل الى دمشق . فلما وصل البثنية وجد شبل بن معروف العقيلي نازلا عليها في عربيه ، فاقتتلا ساعة وكانت الكرة فيها على جيش فأخذ أسيرا وقتل أصحابه ، وبعث شبل بجيش الى هفتكين فسلمه الى متملك الروم وهو مقيم على عين الجر ينتظر المال الذي طلبه من اهل دمشق ، فلما أخذ المال ورحل من دمشق الى بيروت بعث هفتكين شبل بن معروف الى طبرية ، ففر ابو محمود الى الرملة بمن معه من المغاربة فقصدتهم العرب وواقعوهم نحو بيت المقدس ، فكانت العرب على المغاربة وقتلوا منهم كثيرا وأسروا جماعة وبعثوهم الى دمشق ، فطوفوهم على الجمال وضربوا اعناقهم .

واقام ابو محمود بالرملة الى أن قدم القرامطة الى دمشق ، ثم ساروا منها الى الرملة ، ففر ابو محمود الى يافا وتحصن بها فنازله القرامطة وقاتلوه حتى كل الفريقان من القتال وصار يحدث بعضهم بعضا .

ومات المعز وهم على ذلك ، وقام من بعده ابنه العزيز بالله نزار في ربيع الآخر سنة خمس وستين وثلاثمائة ، فبعث جوهر القائد الى الشام فانهمز القرامطة من طريقه وساروا الى الاحساء .

ونزل جوهر على دمشق في ذي القعدة ومعه أبو محمود وقاتل هفتكين الى أن رحل عنها بغير طائل في جمادى الأولى سنة ست وستين . فأدرکه القرامطة وهفتكين فقاتلوه بالرملة حتى التجأ الى عسقلان . وخرج العزيز من القاهرة ونزل الرملة وأخذ هفتكين وولى دمشق حميدان بن حواس العقيلي ، وكان قد غلب عليها قسام فصار حميدان من تحت يد قسام ثم طرده وأخرجه من البلد ، فولى أبو محمود بعد حميدان وصار اليها في ذفر يسير ، وبقي تحت قسام من غير أن يكون له أمر ونهي .

فقدم أبو تغلب بن ألب بن حمدان الى دمشق فمنعه قسام منها وأقام على المزة شهورا ، وقد ثقل على قسام مقامه فقاتله وأخذ عدة من أصحابه ، وكتب الى العزيز بذلك ، فأخرج الفضل بن صالح الى الشام وقاتل أبا تغلب حتى قتل في صفر سنة تسع وستين .

ثم أنفذ العزيز الى دمشق سليمان بن جعفر بن فلاح فمنعه قسام وكتب الى العزيز يسأله في دمشق فكتب الى سليمان بن فلاح أن يرحل عن دمشق ، فرحل . ورجع أبو محمود الى دمشق بعد مسير أخيه سليمان في رسم وال من طبرية ومعه ذفر يسير فأقام تحت مذلة قسام ، وقد طمع العرب في عمل دمشق حتى كانت مواشيهم تدخل الغوطة .

ومات أبو محمود على ذلك بدمشق في صفر سنة سبعين وثلاثمائة ولم يكن فيه تدبير ولا عنده ثبات ، بل كان عديم السياسة قليل العقل.

أبو نصر التستري

(من المقفى للمقريزي - مجلة برتو باشا)

ولي ابراهيم بن الفضل بن سهل التستري اليهودي: خزانة الخاص بعد أخيه ابي سعد سهل التستري في جمادى الأولى سنة تسع وثلاثين وأربعمائة

وأرادته أم المستنصر أن يتولى نظر ديوانها مكان أخيه فامتنع من ذلك خوفا من الوزير ومن الأتراك ، وهي تريد منه ذلك مدة ثلاثة أشهر ، ولايوافقها ، حتى ضجرت منه وأقامت اليازوري بواسطة الاستاذ عدة الدولة رفق.

فلما كانت سنة أربعين وأربعمائة سهل شجاع الدولة جعفر بن كليد وغيره على الوزير ابي البركات الحسين بن محمد الجرجرائي أمر حلب وأنه اذا سير عسكريا من مصر أخذت. فكتب الى ناصر الدولة الحسن بن حمدان متولي دمشق ، والى الكلابيين وغيرهم ، والى جعفر بن كليد بالسير ، فساروا الى المعرة ، وتسلمها جعفر ، ومضى ابن حمدان الى حلب فقاتلوه وانهمزم الى دمشق.

فبعث ثمال بن صالح بن مرداس يطلب من الخليفة المستنصر العفو ، وانه يقوم بما عليه من الحمل . فتوسط امره ابو نصر هذا ، الى ان اجيب بالصفح والرضى عنه . وخرج رسوله بذلك من القاهرة فورد الخبر بان ثمال بن صالح بعث مقلد بن كامل بن مرداس فواقع بجعفر بن كليد وقتله في يوم الاربعاء لست بقين من شهر رمضان ، وحمل رأسه الى حلب وشهرها ، واسر عدة من عسكريه . فاعيد رسول ثمال واخذت منه الكتب . واغرى الوزير ابو البركات الخليفة بابي نصر وانه يسعى فيما يضر الدولة ويعود عليها بالوضيعة من توسطه في امر ثمال لما في نفسه من الحقد لقتل أخيه ابي سعد . ومازال بالخليفة حتى قبض على ابي نصر وسجنه واخذ سائر

امواله وعاقبه حتى هلك تحت العقوبة في اخر سنة اربعين واربعمائة

obeikandi.com

أحمد شاه

(من بغية الطالب لابن العديم)

أحمد شاه التركي مقدم الأتراك بحلب ، وقيل انه شيباني ، كان يسكن مع الأتراك بالحاضر السلیماني ، وكان مطاعا مذكور شجاعا له مواقف حسنة مع الفرنج (هـ) . وهو الذي استعاد منبج من أيدي الروم سنة ثمان وستين ، وبعد ان كان ميخائيل بن اخت ارمانوس الرومي استولى عليها في ثامن محرم سنة ستين واربعمائة ، ففتحها أحمد شاه ، وصاحب حلب اذ ذاك نصر بن محمود في يوم الأحد لخمس خلون من صفر سنة ثمان وستين واربعمائة .

ولما افضى الامر بحلب الى نصر بن محمود بن نصر بن صالح قبض على أحمد شاه واعتقله بقلعة حلب في عيد الفطر من سنة ثمان وستين واربعمائة وشرب نصر الى العصر ، وحمله السكر على الخروج الى الأتراك الى الحاضر بظاهر حلب ، فحمل عليهم ، فرماه تركي بسهم فقتله ، وزحف الأتراك الى البلد يطلبون أحمد شاه وكان والي القلعة (١٦٥ - ظ) ورد وعنده الامير ابو الحسن بن منقذ وجماعة من الخواص ، فلما احسوا بذلك استدعوا يسابق بن محمود من البلد الى القلعة ونادوا بشعاره واثاروا عليه باطلاق أحمد شاه فأطلقه في الحال وخلع عليه .

ونزل أحمد شاه الى العسكر بالحاضر فسكن النائرة واخذ الفتنة ، فكان يسابق بن محمود بعد ذلك يعين الأتراك ويقربهم ويحسن اليهم ويقدمهم على اهله بني كلاب وينصرهم عليهم .
قرات بخط ابي غالب عبد الواحد بن مسعود بن الحصين :
استولى على البلد - يعني حلب - أحمد شاه التركي وفي كفالته يسابق بن محمود بن نصر .

وقرات بخط منصور بن تميم بن الزنكل السرميني : انه لما ملك

سابق اجتمعت بنو كلاب الى اخيه وثاب وعولوا على معونته عليه واخذ حلب له من اخيه سابق ، فلما تحقق سابق ذلك استدعى احمد شاه امير الاتراك - وكانوا الف فارس - وشاوروه ، فأنفذ احمد شاه الى رجل من الاتراك يعرف بمحمد بن دملاج كان نازلا في طريق بلد الروم في خمسمائة فارس ، وضمن له مالا كثيرا ، فوصله محمد بن دملاج في يوم الاربعاء مستهل ذي القعدة من سنة ثمان وستين وتحالفوا ، وخرجوا الى بني كلاب المجتمعين مع وثاب في غداة يوم الخميس مستهل ذي الحجة من سنة ثمان وستين واربعمائة ، وكان بنو كلاب في جمع عظيم ما اجتمعوا قط في مثله ، يقال انهم كانوا يقاربون سبعين الف فارس (١٦٦ - و) وراجل فعند معاينتهم الاتراك انهزموا من غير قتال ، وخلفوا حلالهم وكل ماكانوا يملكونه واهاليهم واولادهم ، فغزم احمد شاه واصحابه ومحمد بن دملاج واصحابه كل ماكان لبني كلاب ، فيقال انهم اخذوا لهم مائة الف جمل واربعمائة الف شاة ، وسبوا من حرمهم الحرائر جماعة كثيرة ومن إمانهم أكثر ، وكل ماكان في بيوتهم ، وعفوا عن قتل عبيدهم المقاتلة ، وكانوا يزيدون على عشرة الاف عبد مقاتل ، ولم يقتلوا احدا منهم ، وكان الذي غنمه الغز من العرب في ذلك اليوم مالا يحصى كثرة .

وبعد انهزام العرب بثلاثة عشر يوما دعا محمد بن دملاج التركي احمد شاه فخرج اليه ، وكان نازلا شمالي حلب ، فلما اكلوا وشربوا قبض محمد بن دملاج على احمد شاه واسره ، وكان في نفر قليل ، فاقام في اسره تسعة ايام ، ثم ان سابق بن محمود اشترى احمد شاه من محمد بن دملاج بعشرة الاف دينار وعشرين فرسا يوم السبت .

ووجدت بعض التواريخ يقول جامعة فيه : سنة سبعين واربعمائة : فيها حصر تاج الدولة تدش حلب ورحل عنها وعاد اليها ، وخرج منها احمد شاه وكبس العسكر وعاد .
ثم قال : سنة احدى وسبعين واربعمائة : قتل احمد شاه .

وذكر ابو يعلي حمزة بن اسد بن القلاسي قال في حوادث سنة إحدى
وسبعين وأربعمائة : وفي هذه السنة قتل احمد شاه مقدم الاتراك في
الشام (٦) (١٦٦ - ظ).

المستعلي الفاطمي

(من المقفى للمقريري - مجلة برتو يا ثنا)

احمد بن معد بن علي بن منصور بن نزار بن معد بن اسماعيل بن محمد بن عبيد الله ، الامام المستعلي بالله ، امير المؤمنين ، ابو القاسم ، ابن الامام امير المؤمنين المستنصر بالله ابني تميم ، ابن الامام امير المؤمنين الظاهر لاعزاز دين الله ابني الحسن ، ابن الامام امير المؤمنين الحاكم بامر الله ابني علي ، ابن الامام امير المؤمنين ابني منصور العزيز بالله نزار ، ابن الامام امير المؤمنين المعز لدين الله ابني تميم ، ابن الامام امير المؤمنين ابني الطاهر المنصور بنصر الله اسماعيل ، ابن الامام امير المؤمنين القائم بامر الله ابني القاسم محمد ، ابن الامام امير المؤمنين المهدي ابني محمد .

ولد في ثامن محرم - وقيل : في عشرين محرم - سنة ثمان وستين واربعمائة ، وبويع بالخلافة بعد موت ابيه في يوم الخميس الثامن عشر من ذي الحجة سنة سبع وثمانين واربعمائة .

وذلك ان الافضل شاهنشاه بن امير الجيوش بدر الجمالي ، سلطان مصر ، لما بلغه موت المستنصر ، بدر الى القصر واجلسه ولقبه بالمستعلي بالله ، واستدعي اخوته ، الامير نزار ، واسماعيل ، وعبد الله ، ليبايعوه ، فانفوا من ذلك لصغر سنه ، فقال لهم الافضل : قبلوا الارض لله تعالى ولولانا الامام المستعلي بالله وببايعوه ، فهو الذي نص عليه مولانا الامام المستنصر قبل وفاته ، بالخلافة من بعده

فامتنعوا وادعى كل منهم ان اباه وعده بالخلافة . وقال نزار : لو قطعت ما بايعت من هو اصغر سنا مني ، وخط والدي عندي باني ولي عهده ، وانا احضره .

وخرج مسرعا ليأتي بالخط ، فمضى من حيث لم يشعر به احد الى الاسكندرية ، كما هو مذكور في ترجمته .

ويقال ان الافضل قرر مع اخت المستنصر ان تقول بان المستنصر نص في مرضه على خلافة ابنه ابي القاسم . ووعدهما بانها تكفله ويكون الامر لها في الباطن ، وللأفضل في الظاهر ، فاجابت الى ذلك ، وشهد عليها اربعة من الاستاذين المحنكين عند قاضي القضاة وداعي الدعاة .

واجلسه على سرير الخلافة واخذ البيعة له على مقدمي الدولة ورؤسائها واعيانها . ثم مضى الی اسماعيل وعبد الله ، وهما في المسجد قد وكل بهما ، فقال لهما : ان البيعة تمت لمولانا المستعلي بالله ، وهو يقرنكما السلام ويقول لكما : تبايعاني ام لا ؟ فقالا : السمع والطاعة ! ان الله اختاره علينا .

وقاما وبإيعاه : وكتب بذلك سجلا ، قرأه على رؤوس الاشهاد من الامراء وغيرهم الشريف سناء الملك محمد بن محمد الحسيني الكاتب بديوان الانشاء .

وقال الاديب حظي الدولة ابو المناقب عبد الباقي بن علي التنوخي في ذلك :

ان كان قد اودى معد فانظروا
المستعلي العالي ابنه وتبصروا

تجدوا الامام ابا تميم نيرا
ما غاب حتى لاح منه نير

وكذا الامامة كالحديقة لم يزل
غصن بها يزوي وغصن يثمر

واقام المستعلي في الخلافة، ليس له مع الافضل امر ولانهي ، انما يخطب له على المنابر وينقش اسمه على السكة ، وسائر الامور مرجعها الى الافضل .

وفي خلافته خرج الفرنج من القسطنطينية ، وملكوا كثيرا من بلاد الساحل ، واستولوا على القدس في ثاني عشرين من شعبان سنة اثنتين وتسعين واربعمائة ، وملكوا الرملة ، وحصروا عسقلان ، ثم ملكوا حيفا وارسوف وقيسارية ويافا في سنة اربع وتسعين ، مع ما بأيديهم من اعمال الاردن وفلسطين .

وتوفي ليلة الثلاثاء سابع عشر صفر سنة خمس وتسعين واربعمائة ، فكانت مدة خلافته سبع سنين وشهرين إلا يومين . ولم تكن له سيرة تذكر لاستيلاء الافضل على الامر .

وترك ثلاثة اولاد ، هم : الامير جعفر ، والامير عبد الصمد ، وابو علي المنصور .

وقضاته : المؤيد بنصر الامام ابو الحسن علي بن يوسف بن نافع بن الكحال . ثم اعيد فخر الاحكام ابو الفضل محمد بن عبد الحاكم بن وهيب المليجي ، ثم بعده ابو الطاهر محمد بن رجاء . فلما مات في سنة ثلاث وتسعين ، ولي ابو الفرج محمد بن جوهر بن زكا النابلسي ومات المستعلي وهو قاض .

وكان المستعلي قد تزوج بابنة أمير الجيوش بدر ، التي يقال لها «ست الملك» . واعتنى ابوها بجهازها وأكثر من تعبئة الجواهر لها . فلما مات تناهب اخوتها ذلك الجوهر .

ويقال انه مات مسموما . وقيل : قتل سرا ، واتهم الافضل بذلك . واقيم بعده في الخلافة ابنه ابو علي المنصور ، وعمره خمس سنين .

أحمد ديل الكردي

(من بغية الضلب لابن العديم)

احمد ديل بن ابراهيم ، صاحب مراغة (٧) . قيل كان اقطاعه في كل سنة اربعمائة الف دينار ، وجنده خمسة الاف فارس .

سيره السلطان محمد بن ملكشاه الى الشام مع سكران القطبي ، ومودود بن التورتكين صاحب الموصل ، ومودود مقدم العساكر ، في سنة خمس وخمسمائة ، في عسكر عظيم لقتال الفرنج ، واجتازوا على بالاس ، ومضوا بالعساكر ، وافتتحوا حصوننا ، وقصدوا حلب ، فغلقت ابواب المدينة في وجوههم .

ومرض سكران بن التورتكين ، وعاد فمات ببالاس ، ثم تفرقوا بعد ذلك ، وعاد احمد ديل الى بغداد .

وفي المحرم من سنة عشر وخمسمائة كان احمد ديل في مجلس السلطان محمد ، فجاءه رجل ومعه قصة يشكو فيها الظلم وهو ينتحب ، وسأله ان يوصل قصته الى السلطان ، فتناولها منه فضربه بسكين كانت معدة ، فوثب عليه الامير مودود فتركه تحته ، فجاء اخر فضرب مودودا ، وجاء ثالث فتممه .

وهذا ممدود (٨) ليس بابن التورتكين ، لان ذلك قتل بدمشق في سنة ست وخمسمائة على ما ذكره في ترجمته ان شاء الله تعالى
... (١٦٨ - و) .

البساسيري

(من بغية الطلب لابن العديم)

ارسلان التركي ابو الحارث ، وقيل ابو منصور البساسيري
مذسوب الى بسا بلدة بفارس والعرب تسميها فسا ، وينسبون اليها
فسوي ، واهل فارس يقولون بسا بين الباء والفاء ، وينسبون اليها
البساسيري . وكان مولاه رجل من اهل بسا ، فذسب الغلام اليه ،
واشتهر بهذه النسبة ، وكان احد الامراء الاصفهسلارية فعظم شأنه
واستفحل امره ، وقويت هيئته ، وانتشر ذكره ، ومكنه القانم من
البلاد ، وكثر منه العيث والفساد ، وال امره الى العصيان على
القائم ، ونهب بغداد وكان رأس الاتراك بها ، فخرج عليه ، وهون
امرّه بكل ماوصلت قدرته اليه ، حتى كان يأخذ الجاني من حرم
ال خليفة ، ولايلحقه في سوء فعله نظر في عاقبة ولاخيفة .

وقرات في تاريخ ابي غالب همام بن جعفر بن المهذب المعري (٩)
انه كان اذا وصلت هدية من خراسان وغيرها من البلاد اعتقلها
شهرًا قبل ان يطلقها له بسؤال ، واشياء كثيرة تجري هذا المجرى في
حق الخليفة فعلها ، فلما زاد الامر على الخليفة بعث الى طغرلبيك ملك
التركمان والغز ، ابو طالب محمد بن ميكال ، (١٩٦ - ظ) وكان
مقيما بالري وقد ملك من جيحون الى بغداد ، واذل الملوك من اولاد
محمود والترك وغيرهم ، فوصله الرسول من الخليفة يأمره بأن يصل
الى بغداد ليستنجد به على البساسيري ابي منصور ، فاقبل اليه
طغرلبيك في مائة الف وعشرين الف من الترك والغز ، والاعاجم ،
والكرد ، والديلم ، وغيرهم من الاجناس ، فوصل بغداد وهجمها ،
وقتل منها خلقا عظيما ، ونهبها ، وذلك انهم قاتلوه ، وانهمزم
البساسيري منه فحصل في ارض الرحبة ، ولقيه معز الدولة -
يعني ثمال بن صالح - واكرمه ، وحمل اليه مالا عظيما ، وكان قد

وصل في قلة ، فحدث من شاهده من بني كلاب انه لم ير مثله في الشجاعة والمكر والحيلة ، وكان اذا ركب معز الدولة قفز اليه ليمسك له الركاب ويصلح ثيابه في السرج ، وهمت بنو كلاب بأخذه فمنعها معز الدولة ، وندم بعد ذلك عليه ، ثم انه تقدم الي ان حصل على الفرات ، وفزع منه معز الدولة وكثر عسكره ، فسلم اليه الرحبة لما طلبها من معز الدولة ، ليجعل فيها ماله واهله .

قلت : وكان حصوله على الفرات بأرض بالاس فانني قرأت في بعض تعاليق الشاميين في التاريخ ماصورته : ظهور البساسيري الى الشام ، ونزوله ارض بالاس مدة سنة وشهرين ، سنة تسع واربعين واربعمئة .

وقرات في تاريخ همام بن المهذب في حوادث (١٩٧ - و) سنة خمسين واربعمئة فيها : اضطرب الامر في خراسان على طغرل بك ، فسار لاصلاحه ، فجمع البساسيري من قدر عليه من الكرد والديلم ، واجتمعت اليه بنو عقيل ، وكان علم الدين قريش بن بدران زعيمها ، وبنو اسد زعيمها نور الدين دبيس بن مزيد ، وقصد بغداد ، وزحف معهم اهل الجانب الغربي من بغداد الى دار الخليفة القائم بأمر الله امير المؤمنين ابي جعفر بن القادر ، فنهبوا جميع ما فيها ، واستدعى الخليفة من فوق القصر علم الدين قريش بن بدران ، فجاءه فخرج اليه الخليفة وهو مبرقع ، وعليه بزدة النبي صلى الله عليه وسلم ، وفي يده قضيبه ، فأجاره ولم يمكث منه أحد ، ومنعه من البساسيري ، وسيره الى حصن عانة ، وقيل الحديثة ، وهو حصن منيع في وسط الفرات ، وصاحبه رجل يعرف بمهارش ، أحد أمراء بني عقيل ، فأكرمه اكراما عظيما ، وخدمه خدمة مرضية ، فبقي فيه عند مهارش شهورا .

قال ابن المهذب : - يعني سنة احدى وخمسين - دعا البساسيري للمستنصر صاحب مصر في جامع المنصور ببغداد ، وبقيت الدعوة شهورا .

وفيها : عاد طغرلبيك ملك التركمان ابو طالب محمد بن ميكال الى بغداد فانحاز البساسيري وجماعته العرب ، وخرج معهم من التجار ببغداد وغير هم خلق عظيم لا تحصى اموالهم ، وذكر انهم كانوا زهاء عن (١٩٧ - ظ) مائة الف وعشرين الفا ، وتبعهم من اصحاب طغرلبيك زهاء عن عشرين الفا ، فقتل البساسيري وخلق كثيرا لا يحصى عدده ، ونهبت تلك الاموال وكان الذين تبعهم ولقيهم من عسكر طغرلبيك نحو عشرين الفا .

وسار مهارش العقيلي الى بغداد في محمل ، فأعطاه من الاموال والاقطاع شيئا عظيما ، حتى انه صار مهارش ايسر بني عقيل . وسار الامير ابو ذؤابة عطية بن اسد الدولة صالح بن مرداس الى الرحبة ، فأخذ جميع ما تركه البساسيري بها من السلاح الذي لم ير مثله كثرة وجودة واموالا جزيلة كانت للبساسيري ، ثم ولى فيها بعض اصحابه .

اخبرنا ابو اليمن زيد بن الحسن الكندي أننا قال : اخبرنا ابو منصور عبد الرحمن القزاز قال : اخبرنا ابو بكر احمد بن علي بن ثابت الخطيب قال : ولم يزل امر القائم بأمر الله مستقيما الى ان قبض عليه في سنة خمسين واربعمائة ، وكان السبب في ذلك ان ارسلان التركي المعروف بالبساسيري ، كان قد عظم امره واستفحل شأنه لعدم نظرانه من مقدمي الاتراك المسمين الاصفهسلارية ، واستولى على البلاد ، وانتشر ذكره ، وطار اسمه وتهيبته امراء العرب والعجم ، ودعي له على كثير من المناظر العراقية ، وبالأهواز ونواحيها وجبى الاموال ، وخرّب الضياع ، ولم يكن الخليفة القائم بأمر الله يقطع (١٩٨ - و) أمراً دونه ، ولا يحل ويعقد الا عن رايه

ثم صبح عند الخليفة سوء عقيدته ، وشهد عنده جماعة من الاتراك ان البساسيري عرفهم - وهو اذ ذاك بواسطة - عزمه على نهب دار الخلافة والقبض على الخليفة ، فكاتب الخليفة ابا طالب محمد بن ميكال المعروف بطغرلبيك امير الغز ، وهو بنواحي الري يستنهضه على المسير الى العراق وانفض اكثر من كان مع البساسيري ،

وعادوا الى بغداد ، ثم اجمع رأيهم على ان قصدوا دار البساسيري وهي بالجانب الغربي في الموضع المعروف بسدرب صالحي ، بقرب الحريم الطاهري ، فأحرقوها وهدموا ابنيتهما ، ووصل طغرلبيك الى بغداد في شهر رمضان من سنة سبع وأربعين وأربعمائة ، ومضى البساسيري على الفرات الى الرحبة ، وتلاحق به خلق كثير من الأتراك البغداديين ، وكاتب صاحب مصر يذكر له كونه في طاعته ، وأنه على اقامة الدعوة له بالعراق ، فأمدّه بالأموال وولاه الرحبة .

واقام طغرلبيك ببغداد سنة الى ان خرج منها الى الموصل ، ووقع بأهل سنجار وعاد الى بغداد ، فأقام بها مدة ، ثم رجع الى الموصل ، وخرج منها متوجها الى نصيبين ومعه اخوه ابراهيم ، وانصرف بجيش عظيم معه بقصد الري ، وكان البساسيري راسل ابراهيم يشير عليه بالعصيان لأخيه ويطمعه في (١٩٨ - ظ) الملك والتفرد به ، ويعدّه بمعاضدته ومضافرته عليه ، فسار طغرلبيك في اثر اخيه ابراهيم ، وترك عساكره ، فتفرقت ، غير ان وزيره المعروف بالكندري وربيبه انوشروان وزوجته خاتون وردوا ببغداد بمن بقي معهم من العسكر في شوال من سنة خمسين وأربعمائة ، واستفاض الخبر باجتماع طغرلبيك ، وحصره في مدينة همذان ، فعزمت خاتون وابنها انوشروان والكندري على المسير الى همذان لانجاد طغرلبيك ، واضطرب امر بغداد اضطرابا شديدا ، وارجف المرجفون باقتراب البساسيري ، فبطل عزم الكندري على المسير فهمت خاتون بالقبض عليه وعلى ابنها لتركهما مساعدتها على انجاد زوجها ، ففرا الى الجانب الغربي من بغداد ، وقطعا الجسر وراءهما . وانتهبت دارهما واستولى من كان مع خاتون من الغز على ما تضمنتا من العين والثياب والسلاح وغير ذلك من صنوف الاموال ، ونفذت خاتون بمن ضوى اليها ، وهم جمهور العسكر ، متوجهة نحو همذان وخرج الكندري وانوشروان يؤمان طريق الأهواز ، فلما كان يوم الجمعة السادس من ذي القعدة تحقق الناس كون البساسيري بالأنبار ، ونهضنا الى صلاة الجمعة بجامع المنصور فلم يحضر الامام وانن المؤذنون بالظهر ونزلوا من (١٩٩ - و) المنذنة ، فأخبروا انهم راوا

عسكرا للبساسيري حذاء شارع دار الرقيق ، فبادرت الى ابواب الجامع فرأيت الأتراك البغداديين أصحاب البساسيري نفرا يسيرا يسكنون الناس ، ونفذوا الى الكرخ ، فصلى الناس في هذا اليوم بجامع المنصور ظهرا اربعا من غير خطبة ، ثم ورد من الغد ، وهو يوم السبت ، نحو مائتي فارس من عسكر البساسيري .

ثم دخل البساسيري بغداد يوم الأحد ثامن ذي القعدة ، ومعه الرايات المصرية ، فضرب مضاربه على شاطئ دجلة ، ونزل هناك والعسكر معه ، واجمع أهل الكرخ والعوام من أهل الجانب الغربي على مضافة البساسيري ، وكان قد جمع العيارين وأهل الرساتيق وكافة الذعار وأطمعهم في نهب دار الخلافة ، والناس اذناك في ضر وجهد قد توالى عليهم سنون مجدبة ، والأسعار غالية والأقوات عزيزة ، واقام البساسيري بموضعه والقتال في كل يوم يجري بين الفريقين في السفن بدجلة .

فلما كان يوم الجمعة الثالث عشر من ذي القعدة دعى لصاحب مصر في الخطبة بجامع المنصور ، وزيد في الأذان «حي على خير العمل» وشرع البساسيري في اصلاح الجسر فعقده بباب الطاق وعبر عسكره عليه وانزله بالزاهر ، وكف الناس عن المحاربة اياما ، وحضرت الجمعة يوم العشرين من ذي القعدة فدعى لصاحب (١٩٩ - ظ) مصر في جامع الرصافة كما دعى له في جامع المنصور وخندق الخليفة حول داره ، ونهر المعلى خنادق واصلح ما استرم من سور الدار ، فلما كان يوم الأحد لليلتين بقيتا من ذي القعدة حشر البساسيري أهل الجانب الغربي عموما ، وأهل الكرخ خصوصا ونهض بهم الى حرب الخليفة ، فتحاربوا يومين ، قتل بينهما قتلى كثيرة .

واستهل هلال ذي الحجة ، فدلف البساسيري في يوم الثلاثاء ومن معه دار الخلافة ، وأضرم النار في الأسواق بنهر معلى وما يليه ، ولم يكن بقي في الجانب الغربي الا نفر نو عدد ، وعبر الخلق للانتهاج ، واحاطوا بدار الخلافة ، فنهب ما لا يقدر قدره ، ووجه الخليفة الى

قريش بن بدران البدوي العقيلي ، وكان ضافر البساسيري ، واقبل معه ، فأزم قريش للخليفة في نفسه ، ولقيه قريش فقبل الأرض بين يديه دفعات ، وخرج الخليفة معه من الدار راكبا ، وبين يديه راية سوداء ، وعلى الخليفة قباء أسود وسيف ومنطقة ، وعلى رأسه عمامة تحتها قلنسوة ، والأتراك في أعراضه وبين يديه ، وضرب قريش للخليفة خيمة ازاء بيته بالجانب الشرقي ، فدخلها الخليفة ، وأحدق بها خدمه .

وماشى البساسيري وزير الخليفة ابا القاسم بن المسلمة ويد البساسيري قابضة على كم الوزير ، وقبض على قاضي القضاة ابي عبد الله الدامغاني وجماعة معه (٢٠٠ - و) وحملوا الى الحرير الطاهري ، وقيد الوزير وقاضي القضاة .

فلما كان يوم الجمعة الرابع من ذي الحجة لم يخطب بجامع الخليفة ، وخطب في سائر الجوامع لصاحب مصر ، وفي هذا اليوم انقطعت دعوة الخليفة من بغداد ، ولما كان يوم الأربعاء تاسع ذي الحجة ، وهو يوم عرفة ، أخرج الخليفة من الموضع الذي كان به ، وحمل إلى الأنبار ومنها إلى حديثة عانة على الفرات ، فحبس هناك وكان صاحب الحديثة والمتولي خدمة الخليفة بنفسه هناك مهارش البدوي ، وحكي عنه حسن الطريقة وجميل المعتقد .

فلما كان يوم الاثنين الثامن والعشرون من ذي الحجة شهر الوزير على جمل وطيف به في محال الجانب الغربي ، ثم صلب حيا بباب خراسان ازاء الترب ، وجعل في فكيه كلوبان من الحديد وعلق على جذع ، فمات بعد صلاة العصر من هذا اليوم ، واطلق قاضي القضاة ابو عبد الله الدامغاني بمال قرر عليه . وخرجت من بغداد يوم النصف من صفر سنة احدى وخمسين .

فلم يزل الخليفة في محبسه بحديثه عانة الى ان ظفر طغرل بك بأخيه ابراهيم وقتله ، ثم كاتب قريشا في اطلاق الخليفة واعادته الى داره ، وذكر لنا ان البساسيري عزم على ذلك لما بلغه ان طغرل بك

متوجه الى العراق ، واطلع البساسيري أبا منصور عبد الملك بن محمد بن يوسف على ذلك ، وجعله (٢٠٠ - ظ) السفير بينه وبين الخليفة فيه ، وشرط أن يضمن الخليفة للبساسيري صرف طغربك عن وجهه .

واحسب أن طغربك كاتب مهارشا في أمر الخليفة ، فأخرجه من محبسه وعبر به الفرات ، وسار به في البرية قصد تكريت في نفر من بني عمه ، واغذ السير حتى وصل به الى دجلة ، ثم عبر به وسار في صحبته قصد الجبل ، وقد بلغه أن طغربك بشهور فلما قطع أكثر الطريق عرف أن طغربك قد حصل ببغداد ، فعاد سائرا حتى وصل الى النهروان ، فأقام بالخليفة هناك ، ووجه اليه طغربك مضارب ورحلا وأثا، ثم خرج لتلقيه فانتهى اليها ونحن بدمشق في يوم عيد الأضحى من سنة احدى وخمسين وأربعمائة أن الخليفة تخلص من محبسه ، وانتهى إلينا لسبع بقين من ذي الحجة خبر حصوله ببغداد في داره .

وكتب إلي من بغداد من ذكر أن الخليفة حصل في داره في يوم الخامس والعشرين من ذي القعدة ، وأسرى طغربك إلى البساسيري عسكريا من الغز ، وهو في بلد ابن يزيد بسقي الفرات ، فحاربوه الى أن ظفر به ، وقتل وحمل رأسه الى بغداد ، فطيف به وعلق إزاء دار الخلافة في اليوم الخامس عشر من ذي الحجة سنة احدى وخمسين (٢٠١ - و) .

بسم الله الرحمن الرحيم وبه توفيقي

ذكر ابو الوفاء الأخشيكثي في تاريخه ، وحكاة عن الأديب ابي العباس أحمد بن علي ابن بابيه القاشي في ذكر ابي الحارث أرسلان التركي البساسيري قال : هو منسوب إلى بسا مدينة بفارس ، والعرب تقول فسما ، وينسبون إليها فسوي ، وأهل فارس ينسبون إليها البساسيري ، وكان مولاه رجلا من أهل بسا ، فنسب الغلام اليه واشتهر بهذه النسبة (١٠)

قرات بخط العماد الكاتب ابي حامد محمد بن محمد الأصبهاني

في سنة إحدى وخمسين وأربعمائة : وقتل في هذه السنة البساسيري
فإن السلطان سير أنو شروان ، وأزنم ، وساو تكين الخادم ،
وانضاف اليهم سرايا بن منيخ الخفاجي ، فقصدوا نور الدين دببسا
والبساسيري عنده ، فمضى نور الدين ووقف البساسيري في جماعة
ووقعت في فرس البساسيري ذشابة فاجتهد في قطع تجفافها ،
ورمته فرسه ، ووقع في وجهه ضربة ، وأسرهم كمشتكين دواتي عميد
الملك ، وحز رأسه ، وحمله إلى السلطان .

أخبرنا أبو هاشم عبد المطلب بن الفضل الهاشمي قال أخبرنا
أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني قال : دفع إلي
أبو الحسن (٢٠٢ - ظ) علي بن أحمد بن الحسين اليزدي الفقيه
جزء في آخره بخط محمود بن الفضل بن أبي نصر الأصبهاني دعاء
الامام القانم بأمر الله أمير المؤمنين رضي الله عنه لما أخذ
البساسيري وحمله إلى الحديثة ، وهو في السجن ، فعمل هذا الدعاء
وسلمه إلى بدوي وأمره أن يعلقه على الكعبة :

الى الله العظيم ، من عبدك المسكين ، اللهم انك العالم بالسرائر
والمحيط بمكنونات الضمانر ، اللهم انك غني بعلمك واطلاعتك على
أمر خلقك عن إعلامي بما أنا فيه ، عبد من عبيدك قد كفر بنعمتك
وما شكرها ، والقى العواقب وما ذكرها ، أطغاه حلمك ، وتجبر
بأناتك ، حتى تعدى علينا بغيا ، وأساء إلينا عتوا وعدوانا .

اللهم قل الناصرون لنا ، واعتز الظالم ، وأنت المطلع العالم ،
والمنصف الحاكم ، بك نعتز عليه ، واليك نهرب بين يديه ، فقد تعزز
علينا بال مخلوقين ونحن نعتز بك يا رب العالمين .

اللهم إنا حاكمناه إليك ، وتوكلنا في إنصافنا منه عليك ، وقد
رفعت ظلامتي إلى حرمك ووثقت في كشفها بكرمك ، فاحكم بيني
وبينه ، وانت خير الحاكمين ، وارنا منه ما نرتجيه ، فقد أخذته العزة
بالأثم .

اللهم فأسلبه عره ومكنا بقدرتك من ناصيته يا أرحم الراحمين .
فحملها البدوي وعلقت (٢٠٣ - و) على الكعبة فحسب ذلك اليوم ،

فوجد أن البساسيري قتل وجيء برأسه بعد سبعة أيام من التاريخ
نقلت من كتاب الربيع تاليف غرس النعمة محمد بن هلال
الصابيء ، وأنبأنا به عبد اللطيف بن يوسف عن أبي الفتح بن البطي
قال : أنبأنا أبو عبد الله الحميدي عنه قال : حدثني المسعود بن أبي
المعالي الفضل ، وكان أحد حجاب البساسيري ، في المحرم من سنة
اثننتين وخمسين وأربعمائة بالرحبة ، وقد خرجت إليها خوفا من
جريرة فعل البساسيري بالقائم بأمر الله ، قال : رأيت في منامي في
ذي الحجة كأن البساسيري جالسا في داره وأنا قائم على رأسه إذ
دخل عليه غلامان بثياب حسان ، فنهض اليهما وخدمهما وقبل
أيديهما وأرجلهما ، وجلس بين أيديهما ، فقالا له : يا هذا قصدت
البصرة فعضدناك ، والأنبار فأعناك ، وسنجار فساعدناك ، والموصل
فقويناك ، وبغداد فنصرناك ، ومالا بأيديهما يضمنانها ويبسطانها ما
معناه ، فما آخرناك وإلى متى ؟ يكررانه دفعات ، فاستطرفناك ،
وجاء خبره بعد أيام إلى الرحبة بقتله وزوال أمره .

قرأت بخط أبي منصور أسبه دوست بن محمد أسفار الديلمي في
ديوان شعره يرثي أبا الحارث البساسيري .

أقسمت بعدي لا أقول مديحا
حتى أصافح في التراب صفيحا

كلا ولا صاحبت غيرك صاحبا
إلا الأسى والحزن والتبريحا

الصبر يحسن عند كل مصيبة
واراه بعدي يا أجل قبيحا

لهفي على دمك العزيز وقد غدا
فوق التراب مضيعا مسفوحا

ان كنت لم تسكن ضريحا
فالحشامني لذكراك لا يزال ضريحا

ولقد علمنا ان طرحت على الثرى
ان الندى امسى هناك طريحا

أطسز بن أوق

(من المقفى للمقرئزي - مجلدة برتو باشا)

أطسز بن أوق الخوارزمي التركي ، مقدم الأتراك ، ومعنى أطسز ليس معه فرس ، وهي كلمة تركية ، وبعضهم يقول اتسز بالتاء عوضاً عن الطاء ، وأصله كما قلت لك أولاً .

كان أمير دمشق ، لقب نفسه بالملك المعظم ، وهو أول من ملك دمشق من الأتراك وقطع منها دعوة الخلفاء الفاطميين ، و أعاد دعوة خلفاء بني العباس .

وكان سبب قدوم الأتراك إلى الشام أنه لما تغلب ناصر الدولة بن حمدان في سنة إثننتين وستين وأربعمائة على مصر ، قصد أبطال دعوة المستنصر بالله وتغيير دولته ، فذنب الفقيه أبا جعفر محمد بن أحمد بن البخاري ، قاضي حلب ، وبعثه إلى السلطان ألب أرسلان أبي شجاع محمد بن داود ملك العراق وخراسان ، يسأله ان يسير إليه عسكرياً ليقوم الدعوة العباسية وتكون له مصر ، فمضى أبو جعفر إلى خراسان . وبلغ السلطان ألب أرسلان رسالة ناصر الدولة بن حمدان ، فتجهز من خراسان ، في عساكر عظيمة ، ونزل الرها في أول سنة ثلاث وستين وأربعمائة . وبعث إلى محمود بن نصر بن صالح ابن مرداس صاحب حلب يستدعيه ، فخاف منه ولم يتجاسر عليه ، فقطع السلطان الفرات فقال له الفقيه أبو جعفر : يا مولانا أحمد الله تعالى على ما أنعم به عليك ، فإنه لم يقطع هذا النهر تركي إلا مملوك وأنتم اليوم قد قطعتموه ملوكاً ، فأحضر الأمراء والمماليك وأمره فأعاد الحديث ، فحمد السلطان الله على ذلك

ثم خرج إليه محمود بن نصر فأكرمه ورده إلى حلب بعدما نزل السلطان عن حلب وحاصرها شهر في جمادى الآخرة ، فقطع محمود

خطبة المستنصر من حلب وإقام الدعوة العباسية ، وعزم السلطان على المسير الى مصر فأتته الأخبار بأن ملك الروم قطع بلاد أرمينية يريد خراسان . فعاد من حلب إلى بلاده .

وخلف طائفة من الترك ببلاد الشام فيهم أطسز ، فسار ومعه أخوته جاولي والمأمون وقرلو وشكلي إلى أعمال دمشق ونزل عليها وحاصرها في يوم الثلاثاء تاسع رمضان سنة تسع (١١) وستين وأربعمائة ، ثم انصرف عنها يوم الثلاثاء النصف من شوال ومعه أخوته ففتحوا أعمال فلسطين .

ثم اختلف الأتراك فصار بعضهم مع أمير الجيوش بدر الجمالي بعكا وبلاد الساحل التي في يده ، وبعضهم مع القاضي عين الدولة ذي الرئاستين أبي الحسن محمد بن القاضي أبي محمد عبد الله بن القاضي أبي الحسن علي بن عياض بن أحمد بن أبي عقيل صاحب صور .

وبقي أطسز وأخوته بفلسطين ، وفتح الرملة وطبرية وبيت المقدس (٢٠٧ - و) وصار يحاصر في كل سنة دمشق ويرعى زرعها ومنع الزراعة حتى صارت الغرارة القمح تباع بعشرين دينار . فلما كانت سنة سبع وستين حاصر شكلي بن أوق ثغر عكا واخذه بالسيف وقتل الوالي ، فسارت إليه عساكر دمشق وحاربوه على طبرية .

وفي سنة ثمان وستين حاصر أطسز بن أوق دمشق في يوم السبت سلخ ذي الحجة عقيب هروب معلى بن حيدرة ، ورحل عنها يوم الجمعة لأربع خلون من صفر سنة ثمان وستين ، وذلك أن معلى بن حيدرة بن منزو لما أساء السيرة بدمشق وثار الناس عليه فر منها إلى باندياس ، فأقاموا عليهم الأمير رزين الدولة إنتصار بن يحيى المصمودي إمام عسكر معلى بن حيدرة في يوم الأحد مستهل المحرم منها .

واشتد الغلاء ، وقدم أطسز الى دمشق في شعبان ، ولم يزل محاصرا لها حتى غلت الأسعار ، ولم يقدر على شيء من الأقوات ،

وبلغت غرارة الحنطة نيفا وعشرين دينارا ، ثم إنه فتح البلد صلحا ، ودخلها هو وعسكره يوم الاثنين من ذي القعدة منها ، وقطع خطبة المستنصر منها ، وأبطل الأذان بحى على خير العمل ، وأقام الخطبة للأمام المقتدي بأمر الله ابي القاسم بن الذخيرة بن القائم بأمر الله العباسي في يوم الجمعة خامس عشرين ذي القعدة ونظر في أمور دمشق وأحوالها .

وكثر عسكره ، بمن (١٢) فر إليه من مصر خوفا من أمير الجيوش بدر الجمالي ، وحدثته نفسه بأخذ مصر فسار إليها في سنة تسع وستين وأربعمائة وقد صار إليه ناصر الجيوش ابنو الملوك تركان شاه بن سلطان الجيوش يلدكوز ، وأهدى إليه ستين حبة لأولوة تزيد زنة الحبة منها على مثقال ، وحجر من ياقوت زنته سبعة عشر مثقالا في تحف كثيرة مما كان قد أخذه أبوه من خزائن القصر ، وأغراه بأخذ مصر ، وأطمعه في أهلها ، فحشد ، وهم على حين غفلة ، وكان أمير الجيوش قد خرج لقتال العرب بالصعيد ، فنزل أطمسز في أرياف مصر ، وأقام بها شهر جمادى وبعض شهر رجب ، ومعه نحو الخمسة آلاف ، فلما بلغ ذلك أمير الجيوش قدم الى القاهرة واستعد للقاءه ، وخرج في يوم الخميس سابع عشر رجب وسير المراكب في النيل بالعلوفات والميرة ، وسار في نحو الثلاثين ألفا ما بين فارس وراجل ، فخافه أطمسز وعزم على العودة عن مصر إلى الشام ، فلم يوافق أصحابه على ذلك ، وقالوا له : قد طنت ديارهم وتعود بغير فائدة ، فلم يلتفت إلى قولهم ، فقال له أخوه المأمون وابن يلدكوز : لا يغرنك كثرتهم فإنما هم سوقة ، وصيحة واحدة تهزمهم ، فلا ترجع عن هذا الملك الذي أشرفت على أخذه ، وما زال به أخوه حتى تقدم للقتال في يوم الثلاثاء ثاني عشر منه ، وقدم الجيوش ، فتراخى أطمسز عن الحرب إلى الليل بعدما استظهرت ميمنته ، فأحاطت العرب به من ورانه ونهبوا سواده ، فانهزم وقتل أخوه المأمون ، ولحق أطمسز نفر ، وأقام بالرملة حتى وصل إليه من بقي من عسكره ، ودخل دمشق يوم السبت العشرين من شعبان .

وعاد أمير الجيوش مظفرا ، فندب بالعساكر مع ناصر الدولة

الجيوشي ، وبعثه إلى دمشق فحاصرها أياما ، وعاد في سنة سبعين ، فلما خاف اطمسز من ظفر أهل مصر به راسل تاج الدولة تتش بن الب ارسلان يستنجه ، فتحرك لذلك ويسأل اخاه السلطان ملك شاه ابن الب ارسلان ان يوليه الشام ، فأقطعه السلطان ابو الفتح ملك شاه بن الب ارسلان الشام ، (فسار) اليها ونزل حلب سنة إحدى وسبعين ، فلم يقدر عليها ، فشتا بديار بكر ، وسار إلى دمشق وتسلمها من اطمسز ، ثم قبض عليه في ربيع الآخر سنة إحدى وسبعين وأربعمائة ، فكانت مدة ملكه بدمشق ثلاث سنين وستة اشهر وواحد وعشرين يوما .

آق سنقر قسيم الدولة

(من بغية الطلب لابن العديم)

آق سنقر بن عبد الله ، المعروف بقسيم الدولة ، مملوك السلطان أبي الفتح ملك شاه ، وقيل أنه لصيق له ، وقيل اسم أبيه آل ترغان من قبيلة ساب يو ، نقلت ذلك من خط أبي عبد الله محمد بن علي العظيم ، وأنبأنا به أبو اليمن الكندي وغيره عنه .

وتزوج آق سنقر داية السلطان ادریس بن طغان شاه ، وحظي عند السلطان ملك شاه ، وقدم معه حلب في سنة تسع وسبعين وأربعمائة حين قصد تاج الدولة تتش أخاه ، فانهزم عن حلب ، وكان قصدها وملكها السلطان ملك شاه في شهر رمضان من سنة تسع وسبعين وخرج عنها الى انطاكية وملكها وخيم على ساحل البحر اياما ، وعاد الى حلب ، وعيد بها عيد الفطر ، ورحل عنها ، وقرر ولاية حلب لقسيم الدولة آق سنقر في اول سنة ثمانين وأربعمائة ، فأحسن فيها السياسة والسيرة ، وأقام الهيبة ، وجمع الذعار ، وأفنى قطاع الطرق ، ومخيفي السبل ، وتتبع اللصوص والحرامية في كل موضع ، فأستأصل شأفتهم ، وكتب إلى الأطراف أن يفعلوا مثل فعله لتأمن الطرق وتسلك السبل ، فشكر بذلك الفعل وأمنت الطرق والمسالك (٢٦٧ - ظ) وسار الناس في كل جهة بعد امتناعهم لخوفهم من القطاع والأشرار ، وعمرت حلب في أيامه بسبب ذلك بورود التجار اليها والجلابين من جميع الجهات ، ورغب الناس في المقام بها للعدل الذي أظهره فيهم رحمه الله .

وفي أيامه جدد عمارة منارة حلب بالجامع في سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة وأسمه منقوش عليها الى اليوم ، وهو الذي أمر ببناء مشهد قرنبيا ووقف عليه الوقف ، وأمر بتجديد مشهد الدكة

أخبرني عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن الأثير الجزري

قال : كان قسيم الدولة أق سنقر أحسن الأمراء سياسة لرعيته ، وحفظا لهم ، وكانت بلاده بين عدل عام ، ورخص شامل ، وأمن واسع ، وكان قد شرط على أهل كل قرية في بلاده متى أخذ عند أحدهم قفل ، أو أحد من الناس ، غزم أهلها جميع ما يؤخذ من الأموال من قليل أو كثير ، فكانت السيارة إذا بلغوا قرية من بلاده القوا رحالهم وناموا ، وقام أهل القرية يحرسونهم الى أن يرحلوا ، فأمنت الطرق ، وتحدث الركبان بحسن سيرته.

سمعت والدي القاضي أبا الحسن رحمه الله يقول لي فيما يأثره عن أسلافه: إن قسيم الدولة أق سنقر كان قد نادى في بلد حلب بأن لا يرفع أحد متاعه ولا يحفظه في طريق لما حصل من الأمن في بلاده. قال : فخرج يوما يتصيد ، فمر على قرية من قرى حلب ، فوجد بعض الفلاحين (٢٦٨ - و) قد فرغ من عمل الفدان وطرح عن البقر النير ورفع على دابة ليحمله إلى القرية ، فقال : ألم تسمع مناداة قسيم الدولة بأن لا يرفع أحد متاعا ولا شيئا من موضعه ؟ فقال له حفظ. الله قسيم الدولة قد أمنا في أيامه ، وما نرفع هذه الآلة خوفا عليها ان تسرق ، لكن هنا دابة يقال لها ابن أوى تساتي الى هذا النير فتاكل الجلد الذي عليه ، فنحن نحفظه منها ، ونرفعه لذلك

قال : فعاد قسيم الدولة من الصيد ، وأمر الصيادين فاتبعوا بنات أوى في بلد حلب فصادها حتى أفنوها من بلد حلب . قلت : وهي إلى الآن لا يوجد في بلد حلب منها شيء إلا في النادر دون غيرها من البلاد .

قرأت في كتاب عنوان السير تأليف محمد بن عبد الملك الهمذاني قال : واقطع السلطان حلب وقلعتها مملوكه أق سنقر ، ولقبه قسيم الدولة ، وذلك في سنة تسع وسبعين وأربعمائة فأحسن السيرة ، وظهر منه عدل لم يعرف بمثله ، واستغلها في كل يوم ألف وخمسمائة دينار ، ولم يزل بها حتى قتله تاج الدولة تتش بن الب أرسلان في سنة سبع وثمانين وأربعمائة .

قلت وكان تاج الدولة تتش قتلته صبيرا بين يديه بسبعين ، قرية من قرى حلب من نقرة بني أسد على نهر الذهب ، وقيل بكارس الى جنبها وذلك أن تتش كان قد حصل في نفسه شيء من قسيم الدولة ، وكان (٢٥٨ - ظ) قسيم الدولة يستصغر أمر تتش حتى أنني قرأت بخط أبي الحسن علي بن مرشد بن علي بن منقذ في تاريخه ، سنة أربع وثمانين وأربعمائة وفيها :

نزل تاج الدولة إلى السلطان ، يعني نزل تتش إلى ملك شاه ، فلما رآه ترجل له ، وكان في الصيد ، خيفة أن يتخيل منه ، وحضر هو وقسيم الدولة في حضرته ، فقال تاج الدولة تتش : كان من الأمر كذا وكذا ، فقال له قسيم الدولة : تكذب ، فقال له السلطان : تقول لأخي كذا ، قال : نعم ، يطلع الله في عينيه ما يريده لك ، ويطلع في عيني ما أريده لك .

قلت : وعاد تتش من خدمة أخيه إلى دمشق ، فلما توفي السلطان ملكشاه برز تاج الدولة تتش في شهر ربيع الأول من سنة سبع وثمانين ، وخرج معه خلق من العرب ، ولقيه عسكر انطاكية بالقرب من حماة مع يغى سغان ، وسار تاج الدولة ، وقطع العاصي في شهر ربيع الآخر من السنة ، ورعى عسكره الزراعات ، ونهب المواشي وغيرها ، واتصل الخبر باق سنقر وهو بحلب ، وكاتبه السلطان بركيارق وخطب له بحلب ، فجمع وحشد ، واستنجد بمن جاوره ، فوصل اليه كربوقا صاحب الموصل ، وبزان صاحب الرها ، ويوسف ابن ابق صاحب الرحبة في الفي فارس وخمسائة فارس ، منجدين قسيم الدولة على تتش ، وحصل الجميع بحلب ، ووصل تاج الدولة تتش الى الحانوتة ، ورحل منها إلى الناعورة ، وأغارت خيله على المواشي بالنقرة ، وأحرقوا بعض زرعها ، ورحل من الناعورة قاصدا نهر الوادي (٢٦٩ - و) وادي بزاعا ، فتهيا أق سنقر للقاءه ، والخروج إليه ، واستدعى منجما ليأخذ له الطالع ، فحضر عنده واختار له وقتا ، وقال : تخرج الساعة ، فركب ومعه النجدة التي وصلته ، وجماعة كثيرة من بني كلاب مع شبل بن جامع و مبارك بن

شبل ، وكان أطلقهما من الاعتقال ، ومحمد بن زائدة ، وجماعة من أحداث حلب ، والديلم والخراسانية ، في أحسن زي ، وأكمل عدة ، وقيل أنه قدر عسكره بعشرين ألف فارس ، وقيل كان يزيد عن ستة الاف ، وقصد تاج الدولة يوم السبت التاسع من جمادى الأولى من السنة ، وقطع أق سنقر سواقى نهر سبعين قاصدا عسكر تَدَش (١٣) فأقاموا على حالهم ، وكان أول من برز للحرب أق سنقر ، فالتقى الفريقان .

ولم يثق أق سنقر بمن كان معه من العرب ، فنقلهم من الميمنة إلى الميسرة في وقت المصاف ، ثم نقلهم إلى القلب ، فلم يغنوا شيئا ، وحمل عسكر تَدَش على عسكر أق سنقر ، فلم يثبت ، وانهزمت العرب وعسكر كربوقا ويزان معهم إلى حلب ، ووقع فيهم القتل ، وثبت قسيم الدولة ، فأسر وأكثر أصحابه وحمل إلى تاج الدولة تَدَش فلما مثل بين يديه أمر بضرب عنقه وأعناق بعض خواصه ، ودخل تَدَش إلى حلب وملكها على ما نذكر في ترجمته إن شاء الله .

وبلغني أن تاج الدولة تَدَش قال لقسيم الدولة أق سنقر لما حضر بين يديه : لو ظفرت بي ما كنت صنعت ؛ (٢٦٩ ظ) قال : كنت أقتلك ، فقال تَدَش : فأنا أحكم عليك بما كنت تحكم علي ، فقتله صبورا .

وقرأت بخط بعض الحلبيين أن السلطان ملك شاه بن العادل وصل ، يعني إلى حلب ، في شعبان سنة تسع وسبعين ، فتسلم البلد والقلعة وسلمها إلى قسيم الدولة أق سنقر ، فأقام بحلب ثمان سنين فقتل بكارس من أرض النقرة ، نقرة بني أسد ، في صفر سنة سبع وثمانين وأربعمائة ، قتله تاج الدولة بن العادل .

وقرأت بخط أبي غالب عبد الواحد بن مسعود بن الحصين الشيباني في تاريخه: في جمادى الأولى ، يعني سنة سبع وثمانين ، كان المصاف بين تاج الدولة تَدَش وبين الأميرين أق سنقر ويزان ومن أمدهما به برشيا روق قريبا من حلب ، فلما التقى الصفان استأمن ابن أبوق إلى تَدَش ، وانهزم الباؤون ، وأسر أق سنقر فجيء

به الى تتش فقال له تتش : لو ظفرت بي ما كنت صانعا؟ قال:
أقتلك ، قال: فاني أحكم عليك بحكمك في ، وقتله.

قال : وكان اق سنقر من احسن الناس سياسة ، وآمنهم رعية
وسابلة .

وقرات بخط ابي منصور هبة الله بن سعد الله بن الجبراني الحلبي:
الصحيح ان قسيم الدولة قتل يوم السبت عاشر جمادى الآخرة سنة
سبع وثمانين وأربعمائة .

ونقلت من خط ابي الحسن علي بن مرشد بن علي بن منقذ في تاريخه
سنة سبع وثمانين وأربعمائة ، فيها : كانت وقعة قسيم الدولة (اق)
سنقر وتاج الدولة يوم السبت تاسع جمادى الأولى (٢٧٠ - و)
وذلك ان تاج الدولة لما اراد العبور مختفيا ليضمي إلى خراسان ،
فبلغ خبره قسيم الدولة ، فخرج إليه ، فقال لأصحابه الحقوني بحبال
لكتاف الاسرى استصغارا لهم ، فقال له سكرمان بن ارتق : حركش
هم - اي ارانب هم - ؟ ولم يتمهل إلى حين تصله خيله ، فمضى
واستعجل ، فكسره تاج الدولة بأرض نبل ، واسره ورحل من موضع
الكسرة إلى حلب فملكها ، واستولى على المواضع التي كانت لقسيم
الدولة وجلس في قلعة حلب ، وشرب فيها ، واحضر قسيم الدولة ،
كما حدثنا رومي بن وهب ، قال : حضرته وقد احضر قسيم الدولة ،
فدخل وفي رقبته بند قبائه يسحب ، فلا والله إن أنكرت من عزة نفسه
شيئا مما كنت اعرفه ، فما زال يمشي حتى وقعت عينه على تاج
الدولة فجلس وادار ظهره إليه فسحبوه وكلموه ، فما رد جوابا ولا
تحرك ، فقام إليه تاج الدولة فكلمة ، فلم يرد له جوابا مرتين او ثلاثة
فضرب رقبته بيده ، وقطع راسه فطيف به البلاد وحملت جثته
فدفنت عند مشهد قرنبيا .

وبقي ليلتين ، وسار تاج الدولة إلى خراسان ، وبقي قسيم الدولة
في قبره ، وقد طوف براسه إقليم الأرض من الشام ، من سنة خمس
وثمانين إلى سنة ست وعشرين ، إلى حين ولى السلطان ، والخليفة
المسترشد بالله ، ولده زنكي بن اق سنقر وهو عماد الدين ، ملك

الأمرء بهلوان جهان ، عمر له مدرسة تولى أمرها الشيخ الأجل
الفقيه الامام أبو طالب بن العجمي ووقف عليها ضيعتين
(٢٧٠ - ظ) يساوي مغلها ألف دينار كل سنة ، وعمر بها عمارة
معجزة ، ونقل رمتة اليها ، رأيتها في سنة سبع وعشرين ، ولم تكن
كملت ، وهي تزيد عن الوصف ، وجعل قبره قبالة البيت المسجد من
الشمال ، وأجرى إليها قناة ماء ، وغرس وسطها ، وجعل القبر مثل
قبر أبي حذيفة رضي الله عنه .

هكذا نقلت من خط ابن منقذ وفيه اوهام من جملتها أنه قال:
«فكسرة تاج الدولة بأرض نبل» وليس كذلك ، بل بأرض سبعين أو
كارس من نقرة بني أسد ، ونبل ليست من هذه الكورة وبينهما
مسافة يوم ، ومن جملة اوهامه أنه قال : «جلاس في قلعة حلب
وضرب رقبة أق سنقر فيها وليس الأمر كذلك ، بل ضرب
رقبته عقيب الكسرة بسبعين ، أو كارس ، ورومي بن وهب حكى له
صورة قتلة ، لأنه كان بحلب والذي قتله تاج الدولة صبيرا بحلب هو
بُرّان صاحب الرها ، وكان انهزم في هذه الواقعة الى حلب ، فلما
دخلها تساج الدولة احضره وقتله وقيل بل أسره ، وحمله الى حلب
فقتله على ما نذكره في ترجمته إن شاء الله تعالى : «بقي
قسيم الدولة في قبره من سنة خمس وثمانين إلى سنة ست وعشرين»
وهذا طغيان من القلم ، فان قسيم الدولة قتل سنة سبع
وثمانين ، وقد ذكره كذلك ، وقال : «عمر - يعني ولده زنكي له -
مدرسة ، ووقف عليها ضيعتين ، والمدرسة لم يعمرها زنكي ، بل
عمرها سليمان بن عبد الجبار بن أرتق ، وابتدا في عمارتها في سنة
سبع عشرة ، واسمه وتاريخ عمارتها على جبارها ، لكن قسيم
الدولة أق سنقر (٢٧١- و) لما قتل دفن الى جانب مشهد قرنيبا بالقبّة
الصغيرة المبنية بالحجارة من غربي المشهد ، وكان قسيم الدولة بنى
مشهد قرنيبا لنام راه بعض أهل زمانه ، ووقف عليه وقفا ، فدفن
الى جنبه ، وعمر على قبره تلك القبّة ، فلما ملك زنكي حلب أثر أن
يبني لأبيه مكانا ينقله اليه ، وكانت المدرسة بالزجاجين لم تتم
وكان شرف الدين أبو طالب بن العجمي هو الذي يتولى عمارة هذه

المدرسة ، فأشار على زنكي أن ينقل أباه إليها فنقله ، وتم عمارة المدرسة ، ووقف على من يقرأ على قبره القرية المعروفة بشامر ، وهي جارية الى الآن ، وأما كارسن التي هي وقف على المدرسة ، فأظنها وقف سليمان بن عبد الجبار .

واخبرني أبو حامد عبد الله بن عبد الرحمن بن العجمي قال : أراد أتابك زنكي أن ينقل أباه إلى موضع يجده عليه ، ويليق به ، فقال له أبي : أنأقد عمرت هذه المدرسة بالزجاجين ، وسأله أن ينقل إليها ففعل ، واتخذ الجانب الشمالي تربة لأبيه ، ولمن يموت من ولده وغيرهم .

وحكى لي والدي رحمه الله أن أتابك زنكي لما نقل أباه من قرنديا ، وأدخله إلى مدرسة الزجاجين لم يدخل به من باب من ابواب مدينة حلب ، وأنهم رفعوه من بعض الأسوار ودلوه إلى المدينة ، لأنهم يتطيرون بدخول الميت إلى البلدة .

قال لي أبي : ووقف زنكي القرية المعروفة بشامر على تربة أبيه أق سنقر رحمه الله .

قرأت بخط أبي عبد الله محمد بن علي بن محمد العظيبي وأنبأنا به عنه المؤيد بن محمد الطوسي وغيره قال . سنة (٢٧١ - ظ) ثمانين وأربعمائة دولة قسيم الدولة وزيره أبو العز بن صدقة؛ فيها استقرت الرتبة بحلب للامير قسيم الدولة أق سنقر من قبل السلطان العادل أبي الفتح ، وتوطدت له الأمور بها ، وأقام الهيبة العظيمة التي لايقدر عليها احد من السلاطين ، وأظهر فيها من العدل والانصاف مع تلك الهيبة ما يطول شرحه ، ورخصت الأسعار في أيامه الرخص الزائد عن الحد ، وقرب الحلبيين وأحبهم الحب المفرط ، وأحبوه اضعاف ذلك ، وأقام الحدود ، وأحيا أحكام الاسلام وعمر الأطراف ، وأمن السبل ، وقتل قطاع الطرق، وطلبهم في كل فج ، وشنق منهم خلقا ، وكلما سمع بقاطع طريق في موضع قد قصده ، وأخذه وصلبه على ابواب المدينة ، وكثرت في أيامه الأمطار ، وتفجرت العيون والأنهار ، وعامل أهل حلب من

الجميل بما أحوجهم أن يتوارثوا الرحمة عليه إلى آخر الدهر .

قال : وفيها يعني سنة إحدى وثمانين وأربعمائة ، خرج الأمير قسيم الدولة أق سنقر رحمه الله يودع تابوت زوجته داية السلطان أبي الفتح ، ماتت بحلب ، وقيل إنه جلس وفي يده سكين ، فأوماً بها إليها ، فوقع في مقتل وهو غير متعمد لها ، فماتت في الحال ، فوضعها في تابوت ، وحملت إلى الشرق ، وخرج لوداعها يوم الاثنين مستهل جمادي الآخرة .

وقال : سنة أربع وثمانين وأربعمائة ، فيها تسلم الأمير قسيم الدولة قلعة افامية من يد ابن ملاعب يوم الخميس ثالث رجب ، وشحن بها بعض بني منقذ (٢٧٢ - و) .

وقال : سنة ست وثمانين وأربعمائة ، فيها فتح الأمير قسيم الدولة أق سنقر ومعه تاج الدولة مدينة نصيبين يوم الاثنين ثامن ربيع الأول ، وقيل في صفر ، حدثني بهذا والذي الرئيس أبو الحسن علي بن محمد العظيبي قال : كنت مع الأمير قسيم الدولة في هذا الفتح .

قال : وفيها شرق قسيم الدولة رحمه الله إلى بغداد إلى عند السلطان بكيارق (١٤) بن أبي الفتح ، وعاد إلى حلب في شوال سنة ست وثمانين .

قال : سنة سبع وثمانين وأربعمائة ، وكان قسيم الدولة عاد إلى حلب والتقى هو وتاج الدولة ، فكسر تاج الدولة قسيم الدولة وقتله على نهر سبعين شرقي حلب سابع جمادي الأولى ، وقيل يوم السبت تاسع جمادي الأولى ، وأصبح تاج الدولة يوم الأحد على حلب ومعه رأس الأمير قسيم الدولة رحمه الله ، فتسلم تاج الدولة مدينة حلب العصر من يوم الأحد عاشر جمادي الأولى ، وتسلم القلعة يوم الاثنين ، وقتل مع قسيم الدولة رحمه الله أربعة عشر مقدما منهم نختكين شحنة بغداد ، وقجقر شحنة حلب ، وطغان واسرائيل ، وقتل بحلب غلامه طغريك ، وله حكاية معروفة .

وعلي بن السليمان ، واخوه ومحمد البخاري الذي قفز على
انطاكية ، واخواجه أبو القاسم ، والطندكيني مع
سليمان ، والطرنطاس خاص ملك شاه ، وانهزم الى حلب بوزان
وكربوقا ، ويوسف بن أبق ، فأما بوزان فإنه قتل (١٥).

السلطان الب ارسلان

(من بغية الطلب لابن العديم)

الب ارسلان بن جغري بك بن سلجوق بن ثقاق بن سلجوق
وقيل سلجوق ، وله ولكل واحد من ابائه اسم اخر
بالعربية ، اسمه بالعربية محمد بن داود بن ميكائيل بن
سليمان ، ابو شجاع بن ابي سليمان الملقب بالعال
الدوري ، اصلهم من قرية يقال لها النور .

وتفاق اول من دخل منهم في الاسلام ، وتفاق بالتركية القوس من
الحديد وقيل في نسب سلجوق الاعلى : هو سلجوق بن داود بن ايوب بن
دقاق بن الياس بن بهرام بن يوسف بن عزيز .

ملك الب ارسلان خراسان بعد ابيه جغري بك ، وفتح العراق من
يد ابن عم ابيه قلطمش بن اسرائيل سنة ست وخمسين واربعمائة
واستقر في السلطنة حين توفي عمه السلطان طغرل بك في الثامن
من شهر رمضان سنة خمس وخمسين واربعمائة ، وكان ولي عهد
عمه ، لأن عمه لم يكن له نسل ، فملك الب ارسلان بعده ، وهو اول
من ذكر على منابر بغداد بالسلطان .

وقدم حلب محاصرا لها وفيها محمود بن نصر بن صالح بن مرداس
سنة ثلاث وستين واربعمائة ، فدام على حصارها الى أن خرج اليه
محمود مع والدته السيدة ، فأنعم عليه بحلب ، وسار الى الملك
ديوجانس ، وقد خرج من القسطنطينية ، فالتقاه وأسره ، ثم من عليه
وأطلقه ، وغزا الخزر والأبخاز ، وبلغ ما لم يبلغ أحد من الملوك ،
وكان ملكا عادلا مهيبا مطاعا (٢٧٩ - ظ) .

حدثني والدي رحمه الله يآثره عن سلفه قال : قدم السلطان ،

- يعني الب أرسلان - وحاصر حلب ، وكان نازلا بميدان باب
قذسرين ، ونصب على برج الغنم منجنيقا وتواتر ضرب المنجنيق
عليه ، فأخذ عوام حلب شقة أطلس وربطوها على ذلك البرج
استهزاء به ، يعنون أن البرج قد صدعه رأسه من ضرب
المنجنيق ، فسأل السلطان عن ذلك ، فقالوا : إنهم قد عصبوا
البرج ، يعنون أن البرج قد صدعه رأسه من ضرب المنجنيق ، وقد
عصبوه على رأسه ليستريح من الصداع الذي يلحقه من ضرب
المنجنيق .

قال فاستشاط السلطان غضبا وفرق تلك الليلة في عسكره كذا
وكذا ألف فرقة نشاب من الخلنج (١٦) غير ما كان من غيرها ، وباكر
البلد بالزحف حتى أشرف على الأخذ ، فخرجت اليه السيدة أم
محمود ومعها ابنها محمود ، وحملا مفاتيح البلد والقلعة ودخلا تحت
طاعته ، ووطنًا بساطه ، والناس في خدمته بالميدان صفان ، فدخلت
وابنها بين الصفيين ، وجعلا يقبلان الأرض خدمة له حتى انتهى
اليه ، فأكرمهما وقال للسيدة ، أنت السيدة؟ فقالت: سيدة قومي ،
فاستحسن ذلك منها ، ورد البلد على ابنها وأكرمه ، وعاد الى المدينة
مكرما مسرورا .

قال : وقصد بتطويل الحصار تعظيم البلدة لكونها مجاورة
للروم ، فيقع عندهم أن هذا السلطان مع عظم قدره ، وكثرة
عساكره نزل عليها هذه المدة ، ولم ينل منها ما أراد ، فلا يطمع
فيها العدو . (٢٨- و) .

وقيل إن السيدة أقامت في البلد ، وخرج محمود اليه ، وأن
بخولها عليه كان بالرما ، توجهت اليه وهو متوجه الى حلب
فسألها : أنت السيدة ؟ فأجابته بما ذكرناه

وقرأت بخط ابي الفوارس حمدان بن عبد الرحيم (١٧) : إن
محمود ووالدته خرجا اليه ، فعفا لهما عن حلب بعد أحد وثلاثين
يوما من مقامه .

وسمع أن ملك الروم ديوجانيس قد خرج من القسطنطينية على

طريق الثغور والدروب ، فرحل عن حلب بعد خروج محمود اليه بخمسة ايام وقصده حتى لحقه على مناظر كرد ، فحاربه حتى هزمه ، وأسر ملك الروم ، وغنم معسكره ، وكانت عدة الترك ستمائة ألف رجل .

وقرات في بعض التواريخ التي لم يسم جامعها ان الب أرسلان العادل نزل على حلب محاصرا لها في سنة ثلاث وستين وأربعمائة وبها محمود بن نصر بن صالح ، ثم ملكها بالأمان ، خرج اليه محمود بن نصر في يوم الثلاثاء سابع عشر جمادى الآخرة من السنة فأنعم عليه وأمنه ، وولاه حلب من قبله .

ثم رحل عنها في الثالث والعشرين من جمادى الآخرة قاصدا بلد الروم في طلب ملكهم وقد توجه الي مناظر كرد ، فلحقه في عساكره وأوقع به ، فهزمه ، الأتراك ، وحصل ملك الروم أسيرا في أيدي المسلمين ، وصار الي الب أرسلان ، فلم تزل المراسلات بينه وبينه الي ان تقرر إطلاقه (٢٨٠ - ظ) على مهادنة منها ان لا يعرض لبلاد المسلمين ، ثم سيره الي بلاده ، فيقال إن اهل مملكته قتلوه لأمر نقموها عليه .

قرات بخط الحافظ ابي الخطاب عمر بن محمد العليمي وأنبأنا به ابو عبد الله بن أحمد بن محمد النسابة عنه قال: وجدت بخط ابي الحسن يحيى بن علي بن محمد بن زريق: ذكر اخبر السلطان الشهيد المعظم الب أرسلان ، ابي شجاع محمد بن داوود ، برهان أمير المؤمنين، نضر الله وجهه. والسبب في وصوله الي الشام:

كان هذا السلطان رحمه الله ولي بعد وفاة عمه السلطان الأعظم ابي طالب طغرل بك بن ميكائيل في سنة سبع وخمسين وأربعمائة ، وعمر السلطان طغرل بك على ما ذكر قد أناف على ثمانين سنة ، ونازع السلطان المذكور في المملكة قتلمش ابن عمه ، ولم يثبت لمقاومته ، وذكر أنه لقيه في تسعين الفسا ، ومع السلطان يومئذ اثنا عشر الفسا ، فكسره ، وانهزم قتلمش على وجهه ، وسقط عن دابته في هزيمته ، فوجد ميتا ، وحمل ودفن

بالري. وكانت الدامغان دار مملكته ، وقيل إن اللقاء بقرب ضيعة تعرف بده نمك ، وكان أخو السلطان قاورت متملك كرمان ، وكان بينهما منازعات ، والت الحال بينهما الى الصلح والاتفاق .

وفي أيامه أغمدت سيوف الفتنة بخراسان ، وبطل ما كان عليه الترك من الفساد والعيث قبل استقرار المملكة ، وانتشر عدله ودعوته .

وكان سبب ظهوره الى الشام ما حدثني به الفقيه أبو جعفر محمد ابن أحمد بن البخاري رسول ناصر الدولة بن حمدان ، المتغلب على مصر اليه ، يستدعي عساكره ليسلم ديار مصر ، ويغير الدعوة ، وذلك لما كان بينه وبين جماعة من الأمراء بمصر منهم يلدكوز وغيره بمصر ، وأمير الجيوش بدر الجمالي بالشام ، وكانت المراسلة في سنة اثنتين وستين على يد الفقيه المذكور ، فحين ورد عليه الى خراسان ، جهز العساكر التي تملأ الفضاء وتضيق بها الدهناء ، عُدَّة وَعُدَّة ، ووصل من بلاده على طريق ديار بكر ، ونزل الرها في أول سنة ثلاث وستين ، وأقام عليها نيفا وثلاثين يوما ، وسير الفقيه المذكور رسولا الى محمود بن نصر بن صالح صاحب حلب يستدعيه الى وطى بسياسة وخدمته أسوة بمن وفد عليه من الملوك ، مثل شرف الدولة مسلم بن قريش ، وابن مروان ، وابن وثاب ، وابن مزيد ، وأمراء الترك والديلم ، فلم يفعل ، وخاف منه .

فسار عن الرها الى الشام قاصدا له ، وقطع الفرات في النصف من شهر ربيع الآخر من السنة ، وهو اليوم التاسع عشر من كانون الثاني ، وكان قد راسله السلطان في سنة اثنتين وستين يأمره بإقامة الدعوة العباسية ، والمشاركة الى الخدمة ، وأنفذه خلعاً وتشريفاً ، فامتثل أمره من إقامة الدعوة للإمام القائم بأمر الله أمير المؤمنين ، والسيطان المعظم بعنده ، ولبس الخُطيب السواد ، وبطلت الدعوة المصرية من الشام في شوال من سنة اثنتين وستين .

ولما قطع السلطان المعظم الفرات من نهر الجوز نزل بعض المروج

على الفرات ، فرآه حسنا ، فأعجب به ، فقال له الفقيه أبو جعفر :
يامولانا أحمد الله تعالى على ما أنعم به عليك ، فقال : وما هذه
النعمة؟ فقال : هذا النهر لم يقطعه قط تركي الا مملوك وأنتم اليوم قد
قطعتموه ملوك ، قال : فلعهدي به وقد أحضر جماعة من الامراء
والملوك ، وأمرني باعادة الحديث ، فأعدته ، فحمد الله هو وجماعة
من حضر عنده حمدا كثيرا .

ونزل السلطان المعظم نقرة بني أسد الى أرض قنسرين الى
الفنيدق ، والرسل مترددة الى محمود ليخرج الى الخدمة ، وهو
خائف منه ممتنع عليه ، وتمادى الأمر نحو شهرين ، وحصن
محمود حلب وجفل الناس من سائر الشام اليها ، ودخل الرعب في
قلوب الناس لعظم هيئته وبأسه ونجدته وما اجتمع اليه من العساكر
الجمة والجيوش الكثيفة الضخمة ، وكان الأمر بخلاف ما ظن
الناس من ذلك الخوف ، وأنه رحمه الله لما ينس من خروج محمود
إليه عاد منكفئا من منزل يعرف بالفنيدق ، ونزل حلب في آخر جمادى
الآخرة من السنة ، وكانت الخيام والعساكر من حلب ، الى نقرة
بني أسد الى عزاز الى الأثارب ، متقاربة بعضها من بعض ، وبعض
العساكر ببلد الروم وسائر مروج الشام .

وسار بعض عساكره مع ابن جابر بن سقلاب الموصلبي أحد
الكتاب الى طرابلس لتقرير أمرها .

واقام محاصرا لحلب شهر واحد ويومين ، ولم يقساتلها غير يوم
واحد ، فحدثني من كان مع محمود صاجب حلب وهو داخل السور
لتحريض الناس على القتال في وقت الزحف ، انه لم يعبر محلة من
محال حلب الا واهلها قد أشرفوا على الهجوم عليهم ، ونقب البرج
المعروف ببرج الغنم ، وهو أحصن برج بها ، وعلق فظفر اهل حلب
بمن دخل ذلك النقب ، فساخذوا بعضهم ووقع الردم على
الباقيين . وحمل السلطان في ذلك اليوم ، فوقع يد فرسه في خسف
كان هناك ، وأصاب في الحال رأس فرسه حجر المنجنيق فركب

غَيرها وعاد وصرف الناس عن الحرب بعد أن أشرف البلد على الأخذ.

ونكر عن هذا السلطان أنه قال: أخشى أن أفتح هذا الثغر بالسيف فيصير إلى الروم ، وراسل السلطان أمراء بني كلاب وأحضرهم من البرية ، فوصلوا إليه ، وعزم على تقليد بعضهم وتركه في مقابلة محمود ، وعوده لأجل ما بلغه من ظهور ممتلك الروم ووصوله في الخلق العظيم إلى بلاد أرمينية طالبا لبلاد خراسان ، فشعر محمود بوصول أمراء العرب ، وأنه إن تم ذلك خرج الشام من يده ، فراسل السليمانى المتردد إليه ، كان في المراسلة ، يعلمه أنه قد عزم على وطىء بساطة وخدمته خوفا مما أشرف عليه ، وخرج إلى السلطان على غفلة منه في أول شعبان من السنة ، فرأى منه من الأكرام والتشريف والخلع ما زاد على أمديته ، وفي الحال رده إلى حلب ، وقال: أرجع إلى الدتك ، وكانت والدته المعروفة بالسيدة علوية بنت وثاب قد خرجت إليه برسالة ابنها عند كونه بالرها وتردد خروج محمود دفعة بعد أخرى ، وقرر معه السلطان أن يخرج بعساكره ويضيف إليه السليمانى ، وأن يتوجها إلى بلاد دمشق والأعمال المصرية ليفتحها ، ففعل ما أمره به .

وحكى الأمير أبو الحسن علي بن منقذ أن خواجا بزرگ (١٨) الوزير سأله عند حضوره عنده وقت خروج محمود إليه عمّن قتل بحلب يوم الحرب ، فقال: انهم نفر يسير ، فتعجب من ذلك ، وقال: في ذلك اليوم رمي من الخزانة بثمانين الف نشاب ، سوى ما رماه بقية العسكر ، ودفع الله عن أهل الشام ، ولم يقاتل فيه مدينة ولا حصن ولا سيبت حرمة ، ولا اعتراض لأحد من المسلمين وذلك من حسن سيرة هذا السلطان ، وعظيم هيئته ، تغمده الله بالغفران .

وعاد السلطان منكمنا إلى بلاده على طريق العراق ، معرجا منه نحو بلاد أرمينية قاصدا لممتلك الروم ، وأسرع في سيره بمن خف معه ، ووصل فالتقى ممتلك الروم بالقرب من خسلط وتلك

البلاد ، فاعتبر من وصل معه من عسكره فكانت عدتهم ثلاثة عشر الفا ، وتصاف العسكران في يوم الجمعة ، ووقف السلطان عن قتاله أنتظارا لوقت الصلاة والدعاء على منابر الاسلام ، وترقبا للاجابة في نصره المسلمين ، فلما صلى الظهر ناجزهم الحرب فأظفروه الله تعالى بعسكر الروم ، وأجراه على جميل العادة في الظفر ، ومكنه ممن بغى وكفر ، ونهب العسكر بأسره ، وأسر مملك الروم ، وأقامه بين يديه ومعه باز وكلب صيد ، ثم أنعم عليه ، وخلع وأكرمه ، وأصطنعه وسيره مع قطعة من عسكره ليعده الى بلاده ومملكته ، فاختلت الأمور عليه ، ولم يتم له ما أراد ، وذكر انه كحل ومات بعد مدة .

ولم يجر في الاسلام منذ ظهر مثل هذا الظفر ، ولا أسر للروم ممتلك قبل هذا في الاسلام ، وكان السلطان سأل ممتلك الروم عند حضوره بين يديه ماسبب خروجه وتعريضه نفسه وعسكره لهذا السبب ، فذكر انه لم يرد إلا حلب ، إذ كان كلما جرى على الروم كان محمود هو السبب فيه ، والباعث عليه لمن قصدها من الترك . وغنم من هذا العسكر ما يفوت الاحصاء والعد ، وتجاوز الأمد والحد ، وبيع من غنائه ما يساوي مائة دينار بدينار واحد ، فله الحمد على ذلك كثيرا .

قلت : ومن ذلك اليوم عرف تل السلطان بتل السلطان لنزول الب أرسلان على التل (٢٨٣ - ظ) وكان يعرف المكان اولا بالفنيديق ، وكان فيه فندق صغير يأوي إليه الناس ، شاهده قبل أن يجسد الأمير سيف الدين علي بن سلمان بن جندر هذا الخان الذي هو الآن موجود .

قرات بخط ابي الحسن علي بن مرشد بن علي بن منقذ في تاريخه ، في سنة ثلاث وستين وأربعمائة ، في ذكر العادل الب أرسلان وحصاره حلب قال : حدث الأمير طفتكين صاحب دمشق ابي قال : كنت حامل وراء السلطان حين ضربه حجر المنجنيق ، ولو

سلم ساعة لأخذها ، وكان قد وصل الشام بريد الطلوع الى مصر ليافتحها ، ولو طلع لأخذ البلاد جميعها ، وأخذ مصر .

قال: وحدثني مولاي ابي قال: كانت خيامه من شمالي مسجد مرج دابق الى قناطر قدسرين ، اي موضع عبرت فيه ورأيت السراق والخيام قلت في هذه السلطان .

وقال: قال ابي: وحدثني وزير تاج الدولة أبو النجم (١٩) قال: شرب السلطان على حلب وسكر ، وضل رشده بالسكر ، فقال هاتو الأمير البدوي ، يعني محمود ، لأضرب رقبتك ، فجاء الغلمان إلى خواجا بزرك وقالوا : قد قال السلطان كذا وكذا ، فمضى إليه خواجا بزرك ، وقال له : يا سلطان العالم يظهر عنك مثل هذا وكان السلطان قد بلغ منه السكر ، فضربه بالمغسل الذي في دسست الشراب ، وقال : أريده ، ففتح أثراً في وجهه (٢٨٤ - و) فمضى خواجا إلى جانب السراق إلى خاتون فقال ، بادرينا يا خاتون وإلا الساعة يتلف العسكر وينهب بعضه بعضا ، كان كذا وكذا ، فقامت تمشي إليه ، فقال لها : خاتون ما جاء بك ؟ فقالت : نم أنت سكران ، وتفرقوا ، فلما أصبحت قالت له : ما تحدثم تفتح عليك باب غدر ، قال : لا إن شاء الله ، قالت : بلى البسارحة ، أردت تحضر الأمير البدوي وتضرب رقبتك ، وأنت قد أعطيتك أمانك ، هذا وأنت تريد تفتح مصر وما دونها ، وفعلت كذا وكذا بخواجا بزرك قال : والله ما معي علم من هذا جميعه ، ولما حضر عنده خواجا قال له : يا حسن ما هذا الأثر في وجهك ؟ فقال : يا سلطان العالم هذا أثر ، وقعت البارحة وأنا خارج من خيمتي ضربني عمود الخيمة ، ولم يعلمه بذلك ، فاستحسن الناس منه ذلك ، ثم رحل السلطان من حلب يريد مصر ، فرحل مرحلة واحدة فجاءه الخبر بأن ملك الروم ذيوخانس قد خرج لما رأى البلاد خالية من العساكر ، فرحل على أدرجه يريد ملك الروم .

قرات بخط ابي غالب عبد الواحد بن مسعود بن الحصين : سار السلطان الب أرسلان ، يعني في سنة ثلاث وستين وأربعمائة، إلى ديار

بكر ، فخرج إليه نصر بن مروان وخدمه بمائة الف دينار ، وقصد حلب وحاصرها ، فخرج إليه محمود بن نصر ليلا ، ومعه والدته ، فدخلها على السلطان ، فقالت له : هذا ولوي فافعل به ما تحب ففعل معه الجميل وخلع عليه ، وغزا السلطان الب أرسلان بلاد الروم ، وخرج أمر (٢٨٤ - ظ) الخليفة القائم إلى الخطباء على المنابر بالدعاء له بما صيغته :

اللهم أعلي راية الاسلام وناصره ، واحض الشرك بجب غاربة ، وقطع أواصره ، وامدد المجاهدين في سبيلك الذين في طاعتك بذفوسهم سمحوا ، وعلى متابعتك فازوا وربحوا ، بالعون الذي تطيل به باعهم ، وتملأ بالأمن والظفر رباعهم ، وأحب شاهنشاه الأعظم برهان أمير المؤمنين بالنصر الذي تذر به اعلامه ، وتستبشر بمكانه من اختلاف الظلال أيامه ، وأوله من التأييد الضاحكة مباسمه ، القائمة أسواقه ومواسمه ما تقوي به في إعزاز دينك يده ، ويقضي بأن يشفع يومه في الكفار غده ، واجعل جنوده بملائكتك معسودة ، وعزائمه على اليمن والتوفيق معقودة ، فإنه قد هجر في كريم مرضاتك الدعة ، وتاجرك من بذل المال والنفوس ما انتهج فيه مسالك أوامرك الممتثلة المتبعة ، فإنك تقول ، وقولك الحق : « يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم. تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم » (٢٠) .

اللهم فكما أجب نداءك وإباه ، واجتنب التثاقل عن السعي في حياة الشريعة وإباه ، ولاقى أعداءك بنفسه وواصل في الانتصار لدينك يومه بأمره ، أنت أخصمه بالظفر ، وأعنه في مقاصده بحسن مجاري القضاء والقدر ، وحطه بحرر يدرأ عنه من الأعداء كل كيد . ويشمله من جميل صننع بأقوى أيد ، ويسر له كل (٢٨٥ - و) مطلب يرومه ويزاوله حتى تكون نهضته الميمونة عن النصر مسفرة ، ومقلة أحزاب الشرك مع إصرارهم على الضلال غير مبصرة فابتهلوا معاشر المسلمين إلى الله تعالى في الدعاء له بذية صافية ، وعزيمة صادقة ، وقلوب خاشعة ، وعقائد في رياض الاخلاص

راتعة ، وواصلوا الرغبة إلى الله في إعزاز جانيه ، وفل غرب
مجانبه ، وإعلاء رايته ، وأنالته من الظفر أقصى حده وغايته

وأذفد السلطان في مقدمته أحد الحجاب ، فصادف عند خلأط
صليبا تحته متقدم الروسية في عشرة الاف من الروم ، فصاربوهم ،
وأعطى الله المسلمين النصر عليهم ، فأخذ الصليب وأسر المقدم ،
وتقارب السلطان ، وعظيم الروم في مكان يعرف بالزهرة بين خلأط
ومنازکرد في يوم الأربعاء خامس ذي القعدة ، وكان السلطان في
خمسة عشر الفا ، وصاحب الروم في مائتين الوف .

وراسل السلطان ملك الروم في الهدنة ، فقال ملك الروم : لاهدنة
الا بالري ، فعزم الله على السلطان على الرشد، ولقيه يوم الجمعة
وقت الزوال ، وهو سابع ذي القعدة ، وأعطى الله المسلمين النصر
فقتلوا منهم قتلا ذريعا ، وأسر ملك الروم ، وضربه الب أرسلان ،
ثلاث مقارع ، وقطع عليه الف الف وخمسمائة الف دينار ، واي وقت
طلب السلطان عساكر الروم نفذها ملكهم اليه ، وأن يسلم كل أسير
من المسلمين عنده (٢٨٥ - ظ) (٢١)

ذكر صاحب ملك نامه الذي صنقه لألب أرسلان محمد بن داود أنه
استفاد أنسابهم وأحسابهم من الأمير اينانج بك اذ كان أسن القوم
وأعرفهم بأنسابهم وأحسابهم ، قال : كان الأمير سلجوق بن دقاق
من اعيان ترك خزر ، وكان دقاق يلقب بتمر بالغ اي شديد القوس .
قال اينانج بك : لما مر زمان على الأمير دقاق ، ولد له مولود مبارك
سماه سلجوقا ، وكان يلقبه بسباشي ، يعني مقدم الجيش ، وكان
لسلجوق أربعة اولاد : ميكائيل ، وموسى ، وأرسلان الملقب بينيغو
اكلان ، وآخر توفي زمن شبابه .

وكان للأمير ميكائيل بن سلجوق ولدان: طغرل بك ، وداود جفري
بك فعلى هذا يكون الب أرسلان محمد بن جفري داود بن ميكائيل بن
سلجوق بن دقاق .

وقرات في بعض التواريخ أن أباه جفري بك عهد اليه في سنة إحدى
وخمسين وأربعمئة حين مرض باليرقان، وضعف مزاجه ، وجهز

اليه السلطان مودود (٢٢٢) جيشا الى خراسان ، ففوض ولاية عهده الى ابنه الب ارسلان ، فأقام الب ارسلان ببلخ مدة حتى انكشف عنه وعثاء السفر .

ولما سمع مودود بذلك جمع الجنود ، ولزموا مكانهم ، فحمل عليهم السلطان الب ارسلان حملة ساق التقدير منها الى جيوش غزنة قتلا ذريعا ، وانهباما سريعا ؛ واسر الب ارسلان الف رجل من القواد ، وغنم من الخيل والسلاح ما لا يدخل في الحساب ، فلما دخل على ابيه جعفري بك سر بذلك وزال (٢٨٦ - ظ) مرضه ، ثم سار بعد ذلك جعفري بك الب ارسلان الى ترمذ ووالي القلعة بها الكاتب البيهقي (٢٣) ، فخرج منها ، وتوجه الى غزنة ، وسلمها الى جعفري بك ، ففوض جعفري بك ولاية بلخ وطرخيز ستان وترمذ وخش وولوالج الى الب ارسلان ، وشد ازره بوزارة ابي علي بن شاذان ، فعممر بلاده بحسن كفايته ، ولما قرب موته سال الب ارسلان ان يفوض الوزارة بعده الى نظام الملك

ثم ورد خاقان الترك ترمذ وخربها ونهبها ، فطرده الب ارسلان عنها فمضى الخاقان وخيم على جيحون من جانب بخارى ، وطلب المصالحة ، مصالحة جعفري بك ، واجتمع به ، ثم افترقا ، واثر المرض في جعفري بك ، وزاد ضعفه ، وكان عمره سبعين سنة ، فقضى نحبه في صفر سنة اثنتين وخمسين واربعمائة في سرخس ، وقام مقامه في الملك السلطان الب ارسلان ، وكان ملكشاه حينئذ ابن ست سنين ، وعاش طغر لبك السلطان بعد جعفري بك ثلاث سنين .
قرات في كتاب الربيع تاليف غرس النعمة ابي الحسن محمد بن هلال ابن الحسن بن ابراهيم بن هلال الصابىء ، واخبرنا به ابو محمد ابن عبد اللطيف بن يوسف بن علي البغدادي وغيره اجازة عن ابي الفتح محمد بن عبد الباقي بن البطي قال : انبانا ابو عبد الله الحميدي قال : اخبرنا غرس النعمة ابو الحسن قال : حدثني بعض الخراسانية ، قال : خرج الب ارسلان بن داود ، الملقب عضد الدولة ، وهو صبي الى الصيد فرأى شيخا ضعيفا على رأسه شوك قد قطعه

وتعب به ، وهو ذا يقاسي (٢٨٧ - و) من حملة شدة وصعوبة فقال له: يا شيخ قال : لبيك ، قال : اتحب ان اريحك مما انت فيه من هذا الكد والتعب والنصب مع الشيخوخة وكبر السن ؟ فظن الشوكي انه يعطيه ما يكفه به عن ذاك ويعينه ، فقال : اي والله يا مولاي ، فرماه بدشابة قتلته مكانه .

وهذا صدر من الب ارسلان في حال الصبوة والجهل ، وحمله عليه سكر الشباب ، اما في حالة اكتهاله واستقراره في الملك ، فكان من اعدل الملوك واحسنهم سيرة وارغبهم في الجهاد ونصرة الدين .

قرات في منتخب من كتاب زبدة التواريخ للامير ابي الحسن علي بن الشهيد ابي الفوارس ناصر بن الحسيني قال : لما استبدد السلطان الب ارسلان بالامر ، واستوى على سرير الملك بسط على الرعايا جناح العدل ومد عليهم ظل الرافة والبذل ، وقنع من الرعايا بالخراج الاصيلي في ذويتين من كل سنة ، وكان يتصدق في كل سنة في شهر رمضان باربعة الاف دينار ببلخ ، والف بمرؤ ، والف بهراة ، والف بنيساپور ، ويتصدق بعشرة الاف في حضرته .

وكتب السعاة اليه سعاية بنظام الملك ، وتعرفا بمكاسبه ، ووضعوه على طرف مصلاه ، فدعا السلطان نظام الملك وقال له : خذ هذا الكتاب فان صدقوا فيما كتبوه نهذب اخلاقك ، واصلح احوالك ، وان كذبوا فاغفر للجارم ، واشغل الساعي بمهم من مهمات الديوان حتى يعرض عن الكذب والبهتان (٢٤).

قرات بخط ابي غالب بن الحصين : في شهر رمضان - يعني من سنة ست وخمسين واربعمائة - وصل زكابي من تبريز بكتاب من نظام الملك يخبر ان السلطان الب ارسلان اوغل في الغزاة ببلاد الخزر ، وبلغ حيث لم يبلغ احد من الملوك ، وافتتح بلدا عظيما يسمى اسد شهر ، وقتل نحو ثلاثين الف رجل ، وسبى ما يوفي على خمسين الف مملوك ، وهادن ملك الابخاز ، وعاد من ذلك الثغر ، ونزل على مدينة آني من بلاد الروم ففتحها عنوة وهي مدينة عظيمة تشتمل على سبعمائة الف دار ، واسر منه خمسمائة الف انسان .

قال : وهو اول من ذكر على منابر مدينة السلام بالسلطان عضد الدين الب ارسلان .

وقرات بخط ابي غالب ايضا ، سنة خمس وستين واربعمائة : في اولها غزا السلطان الب ارسلان جيحون ، وكان معه زيادة على مائتي الف فارس ، وعبر عسكره اليهم في نيف وعشرين يوما من صفر ، وكان قد قصده شمس الملوك تكين بن طمغاج ، واتساه واصحابه بمستحفظ قلعة يعرف بيوسف الخوارزمي ، وحمل الى قرب سريره ، وهو مع غلامين ، فتقدم بان يضرب له اربعة اوتاد ، وتشد اطرافه اليها ، فقال : يا مخنث مثلي يقتل هذه القتلة ! فاحتد السلطان الب ارسلان ، واخذ القوس والنشاب ، وحرص على قتله ، وقال للغلامين : خلياها فحلياها ورماء ، فاخطاه ، ولم تخطيء له قط نشابة غير هذه ، فعدا يوسف اليه وكان السلطان جالسا على سدة ، فنهض ونزل فعثر ووقع على وجهه ، وقد وصله يوسف فبرك عليه وضربه (٢٨٨ - و) بسكين كانت معه في خاصرته ، ودخل السلطان الى خيمته وهو مثقل ، ولحق بعض الفراشين يوسف فقتله بمرودة كانت في يده ، وقضى الب ارسلان نحبه ، وجلس للعزاء به ببغداد ثامن جمادى الآخرة ، ومولده سنة اربع وعشرين واربعمائة ، وبلغ من العمر اربعين سنة وشهرين ، ودفن السلطان الب ارسلان عند قبر ابيه بمرود .

اخبرنا ابو هاشم عبد المطلب بن الفضل بن عبد المطلب الهاشمي قال : اخبرنا ابو سعد عبد الكريم بن محمد السمعاني قال : ملك البلاد الب ارسلان وهو محمد بن داود ، كسر قتلمش بنيه نمك في ذي الحجة سنة خمس وخمسين ، واستخلص الملك ، وغزا الروم في شعبان سنة ثلاث وستين ، وكسر الروم ، واسر ملكهم ، ونودي عليه في السوق ، ثم من عليه وخلاه ، ورد به الى ملكه ، وقتل ببليدة يقال لها نرزم على طرف جيحون ، سلخ صفر ، او غرة شهر ربيع الاول من سنة خمس وستين واربعمائة ، وحمل الى مرو ، ودفن بجانب ابيه . انبانا عمر بن طبرزد عن ابي القاسم بن السمر قنذي عن محمد

ابن هلال قال : حدثني ابو الحسن البصري الشاعر قال : رايت ابا طاهر بن ابي قراط العلوي في المنام وانا اقول له : ما فعل الله تعالى بك ، وكنت اعلم فساد اعتقاده ، فلم يجبني ، فلما كررت عليه القول وهو في حاله في ترك الاجابة قال لي : دع عنك هذا فقد ضرب الله نيسابورا اثنتين وسبعين عصا ، وانتبهت ، ففسرته على بعض من يدخل الي ممن له بذلك معرفة ، فقال : عدا يا سيدنا ائنين وسبعين يوما وانظر ما يتجدد بنيسابور ، فكان قتل عضد الدولة الب ارسلان ابن داود سلطانها على جيحون في الجانب الشرقي ، وقد عبر لقتال شمس الملك بن بوربخان صاحب سمر قند وبخارى وتلك الاعمال في اليوم الثالث والسبعين من المنام ، وكان ذلك عجيبا ، ويقال ان اهل بخارى وسمر قند وما يتاخمها من الاعمال اجتمعوا بسمر قند لما اظلمت من عساكر الب ارسلان وكانت عظيمة ، والاكثر يقول : انها قاربت مائتي الف فارس ، وان لم يكن لسلطانهم ولهم به قوة ، وبدا الاجتياح والنهب في الاعمال ، وبيات صلحاء الناس بسمر قند في الجامع مدة اسبوع يصومون ويفطرون على الرماد والملح ، ويدعون الله كفايتهم ما قد اظلمهم وامر من قد قصدهم ، فلم تندس الخيام الاسبوع حتى ورد اليهم خبير قتله ، وان يوسف احد اصحاب شمس الملك لما اخذ من قلعة هناك احضر بين يديه ، فتهدده وتوعده ، ثم ضرب اليه نشابة ، وقال لغلامين اتراكا كانا يمساكنه : خليا ورماه فلم يصبه ، وعدا اليه يوسف فبرك عليه وجرحه بسكين كانت في خفه جراحة عاش منها ثلاثة ايام ومات.

الاب ارسلان بن رضوان بن تتش

(من بغية الطلب لابن العديم)

الاب ارسلان ، ويسمى محمد ايضا ، بن رضوان بن تتش بن الب ارسلان بن جغري بك بن سلجوق بن تقاق ، ابو شجاع ، الملقب تاج الدولة ، الاخرس ، والاب ارسلان الذي قدمنا ذكره جد ابيه .

ملك حلب حين مات ابوه رضوان وهو صبي ، وتولى تدبير امزه خادم ابيض كان من خدم ابيه اسمه لؤلؤ (٢٨٨ - ظ) ويعرف باليايا ، فلم تتم له سنة حتى قتله غلماناه بالمركز من قلعة حلب ، ووافقهم على ذلك لؤلؤ اليايا .

وكان الثغ لا يحسن الكلام فدعي بالاخرس لذلك . وكان مهورا قليل العقل ، سفاكا للدم منهمكا في المعاصي .

سمعت والدي رحمه الله يقول : جمع تاج الدولة الاخرس بن رضوان جماعة من الامراء والاجناد وادخلهم الى موضع بالقلعة شبيه بالسرداب او المصنع لينظروه ، فلما حصلوا كلهم فيه قال لهم ايش تقولون فيمن يضرب رقابكم كلكم ها هنا ، فتضرعوا اليه ، وايقنوا بالقتل ، وقالوا : يامولانا نحن مماليكك وبحكمك ، وخضعوا له حتى اخرجهم ، ثم انهم خافوا على انفسهم منه فاجمعوا على قتله فقتلوه .

وقال لي الامير بدران بن جناح الدولة حسين بن مالك بن سالم : كان جدي مالك من جملة الامراء الذين فعل بهم ذلك ، فلما نزل من القلعة سار عن حلب الى قلعة جعبر ، وترك المقام بحلب خوفا على نفسه .

قال : ومضى اكثر الامراء من حلب من خدمته الى ان قتل ، عمل

عليه لؤلؤ الخادم مملوك ابيه مع جماعة من الامراء ، فقتلوه .
قال : ثم ان لؤلؤ خاف فاخذ الاموال من قلعة حلب ، وسار طالباً بلاد
الشرق ، فلما وصل الى دير حافر قال سنقر الجرمشي : تتسركونه
يقتل تاج الدولة ، ويأخذ الاموال ، ويمضي ! فصاح بالتركية - يعني
- الارنب الارنب ، فضربوه بالسهم فقتلوه .

قال : ولما هرب لؤلؤ (٢٨٩ - و) اقامت القلعة في يد امنة
خاتون بنت رضوان يومين فلما قتل لؤلؤ ، ملكوا سلطان شاه بن
رضوان . هكذا قال لي ، ولؤلؤ ، هو الذي نصب سلطان شاه بعد قتل
اخيه ، وبقي سنة وثمانية اشهر يدير دولته .

وقرات في كتاب عنوان السير تاليف محمد بن عبد الملك الهمذاني
قال : وولي بعده - يعني رضوان - ابو شجاع محمد بن رضوان ،
وكان لا يحسن ان يتكلم ، واستولى على حلب وله من العمر تسع
عشرة سنة ، وقتل خالقا من اصحاب ابيه ، فاغتاله خادماً كان
خصيصاً به اسمه لؤلؤ في رجب سنة ثمان وخمسمائة ، وكان ملكه
بحلب سنة واحدة .

قال لي بدران بن حسين بن مالك : بلغني ان تاج الدولة الاخرس
خرج يوماً الى عين المباركة ، ونصب بها خيمة ، واخذ معه اربعين
جارية ، ووطنهن كلهن في ذلك اليوم .

انبانا ابو نصر محمد بن هبة الله بن محمد القاضي قال : اخبرنا
الحافظ ابو القاسم علي بن الحسن الدمشقي قال : الب ارسلان بن
رضوان بن تتش بن الب ارسلان التركي ولي امرة حلب بعد موت
ابيه رضوان في جمادى الاخرة سنة سبع وخمسمائة وهو صبي
عمره ست عشر سنة ، وتولى تدبير امره خادماً لابيه اسمه لؤلؤ ،
ورفع عن اهل حلب بعض ما كان جدد عليهم من الكلف ، وقتل اخويه
ملك شاه وميريجا (٢٥) ، وقتل جماعة من الباطنية ، وكانت دعوتهم قد
ظهرت في حلب ايام ابيه ، ثم كاتب (٢٨٩ - ظ) طغتكين امير
دمشق ، ورغب في استعطافه ، فأجابه طغتكين الى ذلك ، ودعا له على
منبر دمشق في شهر رمضان من هذه السنة ، ثم قدم الب ارسلان في

هذا الشهر دمشق ، وتلقاه طغتكين واهل دمشق في احسن زي ، وانزله في قلعة دمشق ، وبالغ في اكرامه ، فاقام بها اياما ، ثم عاد الى حلب في اول شوال ، وصحبه طغتكين ، فلما وصل حلب لم ير طغتكين ما يحب ففارقه وعاد الى دمشق .

وسمعت سيرة الب أرسلان بحلب وانهمك في المعاصي واغتصاب الحرم ، وخافه لؤلؤ اليايا ، فقتله بقلعة حلب في الثامن من ربيع الاخر من سنة ثمان وخمسمائة ، ونصب اخاله طفلا عمره ست سنين ، وبقي لؤلؤ بحلب الى ان قتل في اخر سنة عشر وخمسمائة (٢٦) .

قرات في مدرج وقع الي بخط العضد مرهف بن اسامة بن منقذ فيه تعاليق من الحوادث في السنين قال : وفيها - يعني سنة ثمان وخمسمائة ، قتل الاخرس ابن الملك رضوان في يوم الاثنين خامس شهر ربيع الاخر .

قلت : ومن العجب العجيب الذي فيه عبرة لكل اريب ان رضوان لما ملك حلب قتل اخوين كانا له ، فقوبل في عقبه ، فلما ولي الب أرسلان قتل اخويه ابني رضوان .

نقلت من خط ابي عبد الله محمد بن علي العظيبي ، وانبأنا به ابو اليمن الكندي عنه قال : سنة سبع وخمسمائة ، فيها : مات الملك رضوان بحلب ، وجلس موضعه ولده تاج الملوك الب أرسلان ، وصار اتابكه لؤلؤ الخادم ، وقتلوا من الخدم والخواص جمعا حتى استقام امرهم ، وقبض على اخوته ، وفيها قتل تاج الدولة بن الملك رضوان اخوته ملك شاه وابراهيم صبيبين احسن الناس صورا ، وقتل خادم ابيه التونتاش المجني ، وقتل الفتكين الحاجب وخافه الناس ، فالب عليه خادمه اتابكه لؤلؤ من قتله .

ثم قال : سنة ثمان وخمسمائة ، فيها ، قتل تاج الدولة الب أرسلان بن رضوان صاحب حلب بداره في قلعة حلب بتدبير اتابكه لؤلؤ ، واجلسوا موضعه اخاه الملك سلطان شاه بن رضوان (٢٧) .

كذا قال العظيمي : « ملك شاه و ابراهيم » وهو وهم وانما هو
وميريجا ، واما ابراهيم فانه اخر من بقي من ولد رضوان ، ولم يبق
من ذرية رضوان الا عقبه الى يومنا هذا . (٢٩٠ - و) .

بدر الجمالي

(من المقفى للمقريزي - مجلدة برتو باشا)

بدر ابو النجم الجمالي المنعوت بالسيد الاجل امير الجيوش سيف الاسلام ناصر الامام ، كافل قضاة المسلمين ، وهادي دعاة المؤمنين . كان مملوكا ارمينيا لجمال الدولة ابي الحسن علي بن عمار صاحب طرابلس الشام ، وما زال ياخذ نفسه بالجد من زمن الشببية فيما يباشره ويوطن نفسه على قوة العزم ، وينتقل في الخدم الى ان ولي دمشق من قبل المستنصر بالله في يوم الاربعاء الثالث والعشرين من شهر ربيع الاخر سنة خمس وخمسين واربعمائة ، فتسلمها ومعه الشريف القاضي ثقة الدولة ذو الجلالين (٢٤٢ - و) ابو الحسين يحيى بن زيد الحسيني الزيدي ناظرا في الاعمال ، واقام بها الى ان خرج منها كالهارب من اهلها في ليلة الثلاثاء لاربع عشرة خلت من شهر رجب سنة ست وخمسين ، ثم وليها ثانيا يوم الاحد السادس من شعبان سنة ثمان وخمسين ، فاقام بها الى ان بلغه قتل ولده بعسقلان ، فخرج منها ونزل على مسجد القدم خارج دمشق في شهر رمضان سنة ستين واربعمائة ، فخرج الاحداث والعسكرية الى قصره واحرقوه .

وفي سنة اثنتين وستين نزل على صور وحاصر القاضي عين الدولة ابا الحسن محمد بن عبد الله بن عياض بن ابي عقيل الغالب عليها ، ثم حصره في سنة ثلاث وستين .

وتتابع وصول الاتراك من العراق الى اعمال فلسطين والساحل وبلاد الشام مع اتسز بن اوق الخوارزمي واخوته جاولي والمامون وقرلو وشكلي ، واخذوا اعمال فلسطين ، واختلفوا هناك فصار بعضهم مع امير الجيوش بدر بعكا وبلاد الساحل التي هي في يده ، وبعضهم مع القاضي عين الدولة محمد بن ابي عقيل صاحب صور ،

وبقي اتسز بن اوق الخوارزمي واخوه بفلسطين ، واستولى على الرملة وطبرية والقدس ، فلم يزل امير الجيوش بعكا الى ان انتهكت حرمة المستنصر بتغلب ناصر الدولة الحسين بن حمدان الى ان قتل ، فاستطال عليه الامير يلد كوز والاتسراك والوزير ابن ابي كدينة ، فكتب الى امير الجيوش كتابا من املاء الوزير ابي الفرج محمد بن جعفر بن المغربي ، وهو يومئذ يتولى الانشاء ، يستدعيه للقدوم عليه وانجاده من جملته :

« فإن كنت ماكولا فكن خير اكل » ، والا فادركني ولما امزق

فلما بلغه الكتاب قال : لبيك وكررها ثلاثا ، وكتب الى المستنصر يشترط عليه انه لا يقدم الا بعسكر معه ، وانه لا يبقى على احد من عساكر مصر ، فانعم له بذلك ، فسار من عكا بمائة مركب مشحونة بالارمن وغيرهم من العسكر ، فنهاه الناس عن ركوب البحر من اجل ان الوقت شتاء في كانون الاول ، فابى ونزل على دمياط بعد (٢٨) يومين من اقلعه ، فزعم البحرية انهم لم يعرفوا صحوة تهادت اربعين يوما في الكوازين الا هذه ، فكان هذا الامر بدء سعادته ، واستدعى تجار تنيس واقترض منهم مالا ، واقام له سليمان اللواتي بالعليق وغيره من الضيافة ، وسار الى ظاهر قيلوب ، وبعث الى المستنصر يقول له : لا ادخل الى القاهرة ما لم يقبض على يلد كوز ، فامسكه ، وعبر امير الجيوش عشية يوم الاربعاء لليلتين بقيتا من جمادى الاولى سنة ست وستين واربعمائة ، ودخل على المستنصر ، فاستدعاه وقربه ، ودعا له وشكر سعيه ، وبالغ في كرامته ، وقرر ان يكون السفير بينه وبين امير الجيوش الوزير ابن المغربي كاتب الانشاء ، فصار ابن المغربي اليه وعرفه ما فيه الغرض ، وصار من خواصه ، ولم يكن عند اهل الدولة علم من ان المستنصر استدعاه وظنوا انه قدم زائرا فلم يتاخر احد منهم عن ضيافته والقيام بما يتعين من كرامته وقدموا اليه اشياء كثيرة (٢٩) ، وحين كملت خدمة الجميع استدعى الامراء الى دعوة صنعها لهم وقرر مع خواصه انه اذا بات الامراء ، وجهم الليل ، فانه لا بد لكل واحد منهم ان يصير الى الخلاء لقضاء حاجته فمن صار منهم الى الخلاء يقتل فيه ،

ووكل بكل امير منهم واحدا من اصحابه (٣٠) وجعل له سائر ما هو بيد ذلك الامير من اقطاع وجار ودار ومال وجواري وغير ذلك ، فلما حضر الامراء عنده وقام لهم بما يليق بهم ظلوا نهارهم عنده (٣١) وهم في ارغد العيش ، وباتوا مطمئنين اليه ، فلم يطلع الفجر حتى استولى اصحاب امير الجيوش على بيوت الامراء . وصارت رؤوس الامراء بين يديه ، فقويت شوكته وانبسطت يده ، وخذت الديار له من منازع ، فاستدعاه حينئذ المستنصر وقرره في الوزارة ، ورد اليه الامور كلها ، وعاهده على ذلك ، وكتب له سجل نعت فيه بالاسيد الاجل امير الجيوش كافل قضاة المسلمين وهادي دعاة المؤمنين ، وصار القاضي والداعي نائبين عنه يقلدهما (٢٤٢ - ظ) هو ، وكان من جملة ما في سجله بعد التقريظ الكبير : وقد قلدك امير المؤمنين من ذلك ، مدبرا للبلاد ، مصلحا للفساد ، ومدمرا لاهل الفساد ، وخلع عليه بالعقد المنظوم بالجواهر بدل الطوق الذي كان للامراء ، وزيد له الحنك الذي يعرف اليوم باللثام مع الذؤابة المروحة ، وهي التي يقال لها العذبة ، وجعل له الطيلسان المقور ، ويعرف اليوم بالطرحة وهي التي يلبسها قاضي القضاة ، ونزل الى داره ، فحضر اليه المتصدرون بالجامع للسلام عليه ، وقرأ القارىء : « ولقد نصركم الله ببدر (٣٢) وسكت عن تمام الآية ، فقال له بدر : والله لقد جاءت في مكانها ، وجاء سكوتك عن تمام الآية احسن ، وانعم عليه وشرع في تدبير الاحوال ، واستبد بأمور الدولة وحجرت على المستنصر اتم حجر وكبر امره واخذ في تلافي ما انتهك من حرمة ، وكانت الاحوال قد فسدت والامور قد تغيرت ، وطوائف العسكر قد انتشرت ، والوزراء (٣٣) «يقنعون بالاسم دون نفاذ الامر والنهي ، والرخاء قد ايس منه ، والصلاح لايطمع فيه ، ولو اته قد ملكت الوجه البحري كله ، والعبيد في الصعيد ، والطرقات قد انقطعت برا وبحرا الا بالخفارة الثقيلة ، والخراب قد شمل مدينة مصر والعسكر .

فتجرد لازالة الفساد ، وساعدته الاقدار حتى اشاد دولة جديدة واستعاد ما كان قد تغلبت عليه امراء البلاد وقضاتها مثل عسقلان وصور وطرابلس وقتل سائر اهل الفساد ، وانشاداً داراً بحارة

برجوان من القاهرة ، وسكنها فعرفت بعده بدار المظفر ، وقتل من امائل المصريين وقضاتهم (٣٤) ووزرائهم واعيانهم خلقا كثيرا ، وقدم اليه عدة من طوائف الارمن تقوى بهم .

فلما دخلت سنة سبع وستين حاصر شكلي اخو اطسز الخوارزمي ثغر عكا واخذه بالسيف ، وكان به اولاد امير الجيوش واهله ، فلم يعترضهم بسوء واحسن اليهم ، وبعثهم اليه .

وفيها سار امير الجيوش الى الوجه البحري ، ووقع بعرب لواته وهزمهم ، وقتل مقدمهم سليم اللواتي وولده ، واستصفى اموالهما ، ثم سار الى دمياط وقتل عدة من المفسدين واحرقهم ، واصلح سائر البر الشرقي من مصر ، ثم عدا الى البر الغربي ، وقتل من الطائفة الملحية واتباعهم بالاسكندرية عددا كبيرا ، بعدما اقام اياما على الاسكندرية يحاصرها حتى اخذها من الملحية عنوة ، وعفا عن اهل البلد ، فلم يضرهم بشيء .

وفي سنة تسع وستين اجتمع كثير من عرب جهينة ، والجعافرة ، والثعالبة وغيرهم بمدينة طوخ العليا من صعيد مصر ، واتفقوا على محاربة امير الجيوش ، فخرج اليهم ، وسار حتى كان قريبا منهم ونزل تجاههم واقام الى نصف الليل ثم امر فضربت طبوله ، واشتعلت المشاعل ، واكثر من وقود النار ، وضرب الطبول والبوقات . وصر كل من في عسكره ، وحملوا حملة واحدة على العرب ، فقتل اكثرهم بالسيف ، وانهزم باقيهم ففرقوا ولم ينج منهم الا القليل ، واحتوى من اموالهم على ما لا يحد كثرة وبعثها للمستنصر .

ثم سار الى اسوان وبها كنز الدولة مجمد قد تغلب عليها ، وعظم شأنه ، وكثرت اتباعه ، فقاتله وقتله ، وبني في موضع الوقعة مسجدا سماه مسجد النصر ، ثم عاد الى القاهرة ، وقد صلحت ارض مصر كلها اعلاها واسفلها ، وزالت العربان والعساكر المفسدة منها . وقدم اتسز بن اوق الخوارزمي في مدة غييبته ببلاد الصعيد الى القاهرة يريد الاستيلاء عليها ، فقابله (٣٥) المستنصر وهزمه

ثم خرجت عرب قيس وعرب فزاره وسليم عن الطاعة ، فخرج اليهم وقاتلهم وهزمهم الى برقة .

ثم ندب في سنة سبعين واربعمئة العساكر الى دمشق وقدم عليها نصر الدولة ايتكين الجيوشي ، فسار اليها وحاصرها مدة ايام ، ثم رجع ، فلما كانت سنة اثنتين وسبعين سير عسكرا اخر فحاصرها (٢٤٢ -) وحتى اشرف على اخذها ، ثم عاد خوفا من قدوم تاج الدولة تتش .

وفي سنة سبع وسبعين عصى الاوحد بن امير الجيوش على ابيه بالاسكندرية وصار في جمع كبير من العسك فحاصره بالاسكندرية الى ان اخذها وقبض على ولده ، وقتل كثيرا من الناس واغرم اهل البلد مالا كثيرا ، وبنى بها الجامع المعروف بجامع العطارين ، وقتل ابنه .

فلما كانت سنة اثنتين وثمانين واربعمئة جهز جيشا اخذ صور وصيدا ، وفتح جبيل وعكا ، وكانت بيد تاج الدولة تتش ، واخذ عدة من اصحابه وقبض منهم مالا كثيرا من نخائر تتش .

وفي سنة خمس وثمانين انشأ باب نويلة الكبير على ما هو عليه الان ، وانشأ باب الفتوح ، وباب النصر ، بناها له ثلاثة اخوة من اهل الرها ، ولم يزل على قوة وسداد من امره الى ان مات ، بعد مرض طويل اسكت فيه مدة ولم يقدر على الكلام ، في ذي القعدة ، وقيل في شهر ربيع ، وقيل في جمادى الاولى سنة سبع وثمانين واربعمئة عن ثمانين سنة ، منها مدة تحكمه بديار مصر زيادة على عشرين سنة ، وكان شديد الهيبة ، مخوف السطوة ، كثير البطش قتل في سلطنته خلقا لاتعد من كبار المصريين وقوادهم وكتابهم ووزرائهم ، وقد ذكره الشريف ابو يعلى محمد بن محمد بن الهبارية في كتاب الصادح والباغم فقال :

كان بمصر بدر

له عليها الامر

يقتل كل ساعة
من اهلها جماعة
ويشرب الدماء
حتى تخال ماء
اصلحها بسيفه
وجوره وحيفه
جزاء كل فعل
لديه سوء القتل
لما عصاه ولده
وبان منه نكده
خنقه بيده
ثم رمى بجسده
فغضب المستنصر
وقال هذا منكر
فقال : لو عصاني
قلبي من جثمانى
نزعته من صدري
ولم يكن بنكر
ثم غزا لواته
اذ ظنهم حماته
فحين قيد الاسرى
قال اقتلوهم صبورا
عشرين الفا كانوا
حتى جرى الميدان
في النيل من دمانهم
ولج في افنانهم

وهو على ظهر الفرس
كضيغم اذا افترس

ومات حتف انفه

لم يعدسف بعسفه (٣٦).

وكان واسع النفس بحيث انه كان عنده وهو بعكا ثلاثمائة قنطار
بالشامي سكرا ، فعز في سنة اثنتين وستين واربعمائة السكر بعكا ،
وبلغت قيمة القنطار الى خمسين دينارا وطلب فلم يوجد في اول شهر
رجب منها ، فليل ليدر ثمن السكر الذي عندك خمسة عشر الف دينار
تبيعه او بعضه ، فامتنع وقال : نحن نحتاج اليه في هذه الشهور ،
يعني رجب وشعبان ورمضان ، فاستعملت كلها (٣٧) في مطابخه ،
وسمحت نفسه باتلاف هذا المبلغ الكبير من الذهب .

وعلى يده صلحت ارض مصر وعمرت بعد تحكّم الفساد بها
وخرابها ، ومن محاسن سيرته انه اباح الارض لمن يزرعها مدة ثلاث
سنين حتى تراجع الى الفلاحين احوالهم واستغنوا في ايامه ،
ومنها انه بسط العدل فامنت الطرق .

وحضر الى القاهرة ومصر كثير من التجار وارباب الاموال بعد
انتزاحهم عنها في ايام الشدة .

ومنها كثرة كرمه وقد حكى ان علقمة بن عبد الرزاق
العلمي قصده فاذا على بابہ اشرف الناس واکابرهم فلم يتجاسر
على العبور الى مجلسه وبقسي اياما الى ان (كان) خروج امير
الجيوش يريد الصيد فوقف له على تل رمل واشمار برقعة في يده
وانشد :

نحن التجار وهذه اعلاقنا

در وجود يمينك المتاع

(٢٤٣ - ظ)

قلب وفتشها بسمعك انما

هي جوهر تختاره الاسماع

كسدت علينا بالشأم وكلما
قل النفاق وتعطل الصناعات
فأتاك يحملها اليك تجارها
ومطيتها الآمال و الاطماع
حتى اناخوا ببابك والبرجا
من دونك السمسار والبيع
فوهبت ما لم يعطه في دهره
هرم ولا كعب ولا القعقاع
وسبقت هذا الناس في طلب العلى
والناس بعدك كلهم اتباع
يا بدر اقسام لو بك اعتصم الورى
ولجوا اليك بعدك كلهم ما ضاعوا (٣٨)

قال العليمي : وكان بيده باز فدفعه لاحد مماليكه وجعل يستعيد
الادبيات وانا معه الى ان استقر في مجلسه ، فلما اطمأن (٣٩) قال
للحاضرين: من احبني فليخلع عليه فخرجت من عنده ومعني سبعون
جملا يحملون انعامه، وأمر لي من ماله بعشرة الاف درهم •
وهو اول من ولي في الدولة الفاطمية الوزارة من ارباب السيوف
واقام دولة الأرمن بديار مصر •

بشارة الاخشيدي الخادم

(من المقفى للمقريري - مجلة برتو باشا)

فلما مات سيف الدولة بن حمدان بحلب سار بتابوته الى ديار بكر بشارة الخادم وتقي ، في جمادى الاولى سنة ست وخمسين وثلاثمائة وكان بينهما منافرة ، فاذاغ تقي (٤٠) عن بشارة انه كاتب حمدان بن ناصر الدولة وكان قد غلب على الرقة (٤١) عند وفاة عمه سيف الدولة وحثه (٤٢) على اخذ حلب وكتب تقي الى قرعوية القائم بضبط حلب نيابة عن سعد الدولة ابي المعالي شريف بن سيف الدولة فقبض قرعوية على اسباب بشارة بحلب.

فما بلغ ذلك بشارة داخل تقي ووادسه ، فأنس به ، وصفي بنيته له واطلعه على انه يريد ديار بكر ليعمل على ابي المعالي شريف بن مولاه ويقبض عليه ، ويملك التدبير وضمن لبشارة انه يسلم له ميفارقين ، فاطهر له بشارة القبول ، وسار بمسيره الى قريب من ميفارقين فكتب بشارة مع من يثق به الى ابي المعالي يحذره الخروج الى (٢٤٨٧ - و) لقاء تابوت ابيه ويعرفه ما عزم عليه تقي

فلما قرب تقي كتب اليه بخبر التابوت وان يخرج لتلقيه ، فاطهر ابو المعالي علة وامتنع عن الركوب ، واخرج كل من في البلد لتلقيه ، وضرب تقي مضاربه ولم يدخل المدينة (٤٣) ، ووكل بابوابها الرجال ، فطلع بشارة على السور، وغلق الابواب وخاطب اصحابه عن الامير ابي المعالي بكل جميل ، فانقلبوا عن تقي ، وبطل ما دبّره ، وسلمه الى بشارة فقتله .

وسار الى حلب في رجب منها ومعه بشارة فلم يزل عنده اسيرا الى ان مات في رمضان سنة احدى وثمانين وثلاثمائة وببايع اجناده كلهم ابنه ابا الفضائل سعيد بن شريف الا بشارة استأمن الى

العزیز بالله نزار بن المعز لدين الله (٤٤) معد الفاطمي في نحو اربعمائة غلام ، وقدم عليه بالقاهرة ومعه وفاء الصقلي ايضا في ثلاثمائة غلام ، فقبلهم العزیز ، وكان يميل الى الاتراك اكثر من المغاربة لاسيما الحمدانية لشدة باسهم ، وفضل النجدة فيهم .

وولى بشارة طبرية وولى وفاء ثغر عكا ، وولى رباحا قيسارية وذلك في سنة احدى وثمانين وثلاثمائة فاستجلب بشارة من جند حلب عدة وضبط الامور وعمل وقوي امره بطبرية ولما خرج يبتكين التركي من القاهرة على عسكر كبير لقتال (دغفل) (٤٥) بن الجراح سار اليه بشارة من طبرية ليكون عوناً له على ابن الجراح فلقي ابن الجراح وهزماه عن الرملة ، وسارا الى دمشق وفيها قسام فقاتلة وابلى اصحاب بشارة في القتال بلاء حسناً لكثرة الرماة فيهم الى ان اخذ قسام وحمل الى مصر ، ولم يزل في طبرية الى ان كتب له من من القاهرة بولاية دمشق فسار ونزل عليها يوم الجمعة رابع رجب سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة فاجتمع جيشه مع عسكر جيش بن الصمصامة على دمشق ، فاستخلف على البلد .

وسار مع جيش في رابع عشر رجب الى افامية ، وقد نزل عليها الدوقس (٤٦) متملك انطاكية فقاتلوه قتالاً شديداً انهزم فيه عسكر جيش وملك الروم ما معهم ، فانهزم من كان مع بشارة من بني كلاب وغيرهم من العرب ، وتفرقوا على طريق جوسية (٤٧) الى بعلبك وعلى طريق الجادة الى دمشق ، فلما رأى جيش وبشارة لما نزل بالناس حملاً فيمن معهما على الروم فانهزموا واخذهم السيف فقتل منهم نحو الخمسة آلاف وقتل الدوقس وذلك يوم الثلاثاء لتسع بقين من رجب ، وتفرق المنهزمون في الجبال ووصلوا الى انطاكية .

ونفر الناس بعد ذلك من دمشق واعمالها ومن الساحل الى عسكر جيش ، فسار بهم الى مرعش وسار بشارة الى دمشق فنزلها يوم الاثنين النصف من شوال وقدم جيش لتسع بقين من ذي القعدة فنزل بيت لثيا (٤٨) وكان الشتاء قد هجم ، فكتب من مصر بصرف بشارة عن دمشق الى طبرية وولاية جيش .

ثمال بن صالح بن مرداس

(من المقفى للمقريزي - مجلدة برتو باشا)

ثمال بن صالح بن مرداس بن ادريس • الأمير معز (٤٩) الدولة
ابو علوان الكلابي تغلب ابوه صالح بن مرداس على حلب الى ان
قتله امير الجيوش انو شتكين الذبيري بالاقحوانة على الاردن في
محاربتة العرب في ربيع الاخر سنة عشرين وأربعمائة ، فاقتسم من
بعده ابناه معز الدولة هذا واخذ القلعة ، واقام اخوه شبل الدولة
نصر في المدينة ثم ان معز الدولة جرى بينه وبين زوجته كلام ،
فغضبت عليه وخرجت الى الحلة بظاهر حلب فأمر ان يصاغ لها
لالكة من ذهب مرصعة بالجواهر فلما تهيأت اخذها في كفه وخرج الى
زوجته فيادر اخوه نصروركب واخذ القلعة وقال : ان من قدم اخي
علي اساء لأنني أولى بمدارة الرجال ، وهو أولى بمدارة النساء .

وانفرد نصر بن صالح بأمر قلعة حلب والمدينة ، وجعل لآخيه ثمال
بالس والرحبة ، وذلك في سنة احدى وعشرين واربعمائة ، فاستمر
نصر في ملك حلب الى ان قتله الذبيري في نصف شعبان سنة تسع
وعشرين وملك حلب من بعده ، فلما مات في النصف من جمادى
الاولى سنة ثلاث وثلاثين قدم معز الدولة ثمال بتوقيع سيره اليه
امير المؤمنين المستنصر بالله ابو تميم معد بن الظاهر بولاية حلب
فتسلم البلد لليلتين بقيتا من جمادى الاخرة (٢٩١ - ظ) وكان
الوزير بمصر يومئذ علي بن احمد الجرجاني ، فقرر عليه في كل سنة
مالا يحمله ، فلما صارت الوزارة الى الوزير صدقه بن يوسف
الفلاحي ثم وزارة ابي البركات الحسن بن محمد الجرجاني فسأخر
الحمل سنتين باربعين الف دينار ، فسير اليه الامير ناصر الدولة ابا
محمد الحسن بن الحسين بن الحسن بن حمدان متولي دمشق بعد
الذبيري ، فوصل الى حلب ، ورجع عنها الى دمشق من غير ان يقدر

على شمال فنقم عليه ذلك وقبضه الامير منذر الدولة ثم ان معز الدولة بعث الى المستنصر بالقسطنطين على يد شيخ الدولة علي بن احمد بن الايسر، وسير معه ابنه الامير وثاب وزوجته السيدة علوية بنت وثاب ومعها من مال القلعة اربعين الف دينار وهدايا فاخرة فأكرمها المستنصر ، وكتب لمعز الدولة بحلب واعمالها وسير اليه بتشريف ولجميع بني عمه (٥٠) .

ولما اندفع الامير ابو الحارث ارسلان البساسيري من بغداد الى الشام في سنة سبع واربعين منهزما من طغرلبيك وحصل في ارض الرحبة، وقد وصل في قل من الرجال، فلقبه شمال واكرمه وحمل اليه مالا عظيما ، فقيل عن البساسيري انه لم ير مثله في الشجاعة والمكر، وكان اذا ركب معز الدولة قفز اليه ليمسك له الركاب ويصلح ثيابه في السرج، وسلم اليه معز الدولة الرحبة في سنة ثمان واربعين ليجعل فيها ماله واهله .

فلما ولي الوزير الناصر للدين ابو محمد الحسن بن عبد الرحمن اليازوري وزارة المستنصر لم يرض من معز الدولة بما رضىه منه الوزراء قبله ورأى ان الحيلة والخديعة ابلغ فيما يريده فاستعمل السياسة وبعث خفايا التدبير وندب لذلك رجلا من ثقافته فسار الى حلب وساس الامر واحكم التدبير مع كاتب الدولة معز بكثرة ما وعده به ومناه الى ان نزل معز الدولة من القلعة وسلمها الى الامير مكين الدولة ابي علي الحسن بن علي بن ملهم بن دينار العقيلي نائب المستنصر وسار من حلب الى مصر . فلما بلغ رفح سمع بالقبض على اليازوري ، فقال : والله اني اموت بحسرة نظرة الى من استلبني من ذلك الملك ، واخرجني بلا رغبة ولاهبة الا بحسن السياسة ولو رام ذلك مني قسرا ربما تعذر عليه : وسار حتى قدم على المستنصر بالقاهرة في المحرم سنة خمسين واربعمئة ، فعوضه عن حلب مدينة عكا وبيروت وجبيل فاتفق في مدة اقامته بمصر قتل البساسيري ، فسار اسد الدولة ابو نؤابة عطية بن صالح بن مرداس الى الرحبة واخذ جميع ما تركه البساسيري بها من السلاح

الذي لم ير مثله كثرة وجوده. فطمع بنو كلاب في حلب وقدموا عليهم محمود بن نصر بن صالح بن مرداس، ففسار اليها في جمادى الاولى سنة اثنتين وخمسين وتسلمها فانحاز مكين الدولة بن ملهم الى القلعة وانفذ الى المستنصر يطلب النجدة فوصل اليه ناصر الدولة ابو علي الحسين ابن ناصر الدولة الحسن بن الحسين بن حمدان وكانت وقعة الفنديق وهو المعروف بقل السلطان ، واسر ابن حمدان وعاد محمود بن نصر الى حلب .

فلما بلغ ذلك المستنصر صرف معز الدولة عن عكا وببيروت وجبيل وقال له : ان هذه اخذتها عوضا عن حلب وقد عادت الى ابن اخيك ، فامضي الى حلب واستعددها منه، فعاد الى ان وصل معرة النعمان فسير محمود ابا محمد عبد الله بن محمد الخفاجي رسولا الى ملك الروم يستنجد به على عمه معز لدولة. ثم صالح محمود عمه وسلم اليه حلب يوم الاثنين اول شهر ربيع الاخر سنة ثلاث وخمسين، فلم يزل بها حتى مات فيها يوم الخميس لست بقين من ذي القعدة سنة لربيع وخمسين واربعمائة، فدفن في مقام ابراهيم الفوقاني بقلعة حلب وبقي الى ايام (٥١) الملك رضوان فقلع وبلط عليه .

و كان معز مع الدولة كريما حكيما حكى ان العرب اقترحوا عليه مضيرة فتقدم (٢٩٢ - و) الى وكيله ان يطبخها لهم وسأله كم نبحت لاجلها فقال : سبعمائة وخمسين راسا فقال والله لو اتممتها الفا لو هبت لك الف دينار .

ويحكى عن حلمه ان فراشا صب يوما على يده ماء بابريق كان في يده فصادت انبوبة الابريق بعض ثنية معز الدولة فكسرتها وسقطت في الطشت وهم به الغلمان فمنعهم ، وامر برفعها وعفا عنه ، فقال ابن ابي حصينة فيه من ابيات :

حليم عن جرائمنا اليه

وحتى عن ثنيته انقلعا (٥٢)

وقدم عليه الوزير فخر الدولة ابو نصر محمد بن محمد بن جهير

فاستوزره وفوض اموره اليه جميعها فحسد علي مكانته وقربه منه ،
وسعي به اليه وكان معز الدولة له وفاء وزمه ، فنهبه علي ما سعي به
عليه فاستأذنه ابو نصر في المفارقة فأنز له وسار من حلب ، وذلك في
سنة ست واربعين واربعمائة .

ولما مات معز الدولة ولي بعده حلب اخوه اسد الدولة ابو ذؤابة عطية
بن صالح بن مرداس .

جعفر بن فلاح

(من المقفى للمقرئزي - مجلدة برتو باشا)

جعفر بن فلاح بن مروان ، أبو الفضل الكتامي ، من أرقى الكتامين بيتا واجلهم قدرا ، كان أبوه قائدا جليلا ولي مدينة طرابلس وبرقة وباجة ، وكان حسن السيرة في الرعية ، مات في رجب سنة خمس وأربعين وثلاثمائة . ونشأ ابنه جعفر بالمغرب في خدمة المعز لدين الله وهو أحد الجعفرين اللذين أرشد ابن هانيء الشاعر الاندلسي اليهما . فإنه لما امتدح جوهر القائد أعطاه مائتي درهم فاستقلها ، وسأل عن كريم يمدحه فقبل له عليك بأحد الجعفرين : جعفر بن فلاح ، وجعفر بن علي بن حمدون المعروف بابن الاندلسية ، فمدح جعفر بن فلاح فأعطاه مائتي دينار ومن شعره فيه :

كانت محادثة الركبان تخبرني

عن جعفر بن فلاح اطيب الخبر

حتى رأيت فلا والله ما سمعت

اذناي بال عشر مما قد رأى بصري

ثم انتقل الى جعفر بن الاندلسية وهو يومئذ أمير الزاب ، فلم يزل عنده الى أن استدعاه المعز لدين الله فبعث به اليه في جملة تحف وطرائف .

ولما جهز المعز لدين الله القائد جوهر من بلاد المغرب لأخذ مصر سار معه جعفر بن فلاح الى أن وافت العسس اكر الجيزة وقد نزل الاخشيدية بالجيزة التي تعرف اليوم بالروضة لقتال جوهر ، وضبطوا الجسرين وتقدم منهم عدة الى الجيزة ، فلما شاهد جوهر ذلك عاد الى منية شلقان فعبر مصر من هناك ، وبعث فاستقبل المراكب الواردة من تديس ودمياط واسفل الأرض فأخذها ، وتولى العبور اليهم جعفر بن فلاح عريانا في سراويل ومعه جمع من المغاربة

فوقع القتال، وقتل خلق من المصريين، وكان الفتح ودخول جوهر
وبنائه القاهرة في شعبان سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة.

فأقام جعفر بن فلاح بالقاهرة الى ثاني عشر المحرم سنة تسع
 وخمسين وثلاثمائة، وسار الى الشام في عسكر كبير الى أن قدم
 الرملة وبها الحسن بن عبيد الله بن طغج وجعفر بن القرمطي وفاتك
 ودرامك وعدة من قواد الاخشيدية ورجالهم، فقاتلهم قتالا شديدا
 وأسر الحسن بن عبيد الله وجعفر القرمطي وابن الرياحي وفاتك
 وعدة من الأعيان في يوم الثلاثاء لسبع خلون من ربيع الآخر،
 وأنفذهم الى القاهرة في القيود مع ابنه، وأخذ السيف بقيتهم فقتل
 كثيرا منهم، وتمكن من الرملة وذلك للنصف من شهر رجب، وأقام
 يتبع ما للحسن بن عبيد الله ولأصحابه من الأموال حتى استخلصها،
 ثم سار الى طبرية وأخذ يبني قصرا عند جسر الصنبرة، وكان
 على طبرية فاتك غلام ملهم من قبل الاخشيدية، فكاتبه جعفر وقعه
 حتى قعد عن الحسن بن عبيد الله، وكاتب شمول الاخشيدي وهو
 على دمشق قد استخلفه عليها الحسن بن عبيد الله واستماله ووعد
 فتمكن من طبرية، وثقل عليه امراء بني عقيل أهل بلاد حوران
 والبتنية الذين أقامهم كافور الاخشيدي وهم شبيب بن... وظالم بن
 موهوب بن... (٥٣) فاستجلب اليه عرب مرة وعرب فزارة وأوعز
 الى من يفتك بفاتك غلام ملهم، فوقف له عدة من المغاربة ووثبوا به
 على حين غفلة، فجرد سيفه وضرب رجلا منهم رمى نصف رأسه،
 وكثروا عليه وقتلوه، فتبرأ جعفر من قتله، وأظهر جزعا عليه وقبض
 على الجماعة الذين قتلوه وبعثاني ابن ملهم، فقال لما وصلوا اليه
 (٣٠٠ ظ) : هو غلامي ومملوكي وقد وهبته للقائد، وأطلق الجماعة
 الذين قتلوه.

واتفق من الأمر الرديء أهل دمشق، أن مشايخ أهلها لما بلغهم
 قدوم جعفر بن فلاح الى طبرية خرجوا الى لقائه وفيهم عقيل بن
 الحسن بن الحسين العلوي و (أبو القاسم) (٥٤) بن أبي يعلى
 العباسي، فوافوا يوم دخولهم الى طبرية قتل فاتك وقد ثارت فتنة،

والمغاربة ركباناً وفيهم من يأخذ الناس، فقصدوا أهل دمشق
 فأخذوهم وجردوهم من ثيابهم وسبوهم وتوعدوهم وقالوا لهم : أو
 ذا نحن سائرون اليكم ، فصاروا في أسوأ حال قد أخذت أثقالهم
 وثيابهم فلقوا جعفر بن فلاح وعادوا الى دمشق ، فأخبروا الناس
 بما جرى عليهم من الوعيد ، وأنهم لقوا قوما جفاة قباح المنظر
 والزي والكلام ناقصين العقول ، فاستوحشت قلوب أهل دمشق من
 المغاربة ، وكان شمول قد خرج الى لقاء جعفر بن فلاح ، وخذت مدينة
 دمشق من السلطان ، فطمع الطامع وكثر الذعار وحمل
 السلاح (٥٥) اتفق ايضاً ان جعفر لما قتل فاتك عمل في قلع بني عقيل
 من ارض حوران والبيثنية ، فانفذ اليهم مرة وفزارة ، وجهد بعدهم
 جيشاً من المغاربة فالتقى القوم وادركهم المغاربة فانهزم العقيليون
 وتبعوهم الى ارض حمص ، ثم عادوا عنهم ومالوا على جبل سننبر
 الذي يقال له اليوم جبل الثلج فنهبوا ونزلوا الغوطة ، فجالوا فيها
 وساروا حتى نزلوا على نهر يريد نحو الدكة ، فثار عليهم أهل دمشق
 وقتلوهم وقتلوا منهم كبيراً (٥٦) من العرب يقال له عيسى بن دهاس
 الفزاري وهزموهم عن دمشق ، وذلك يوم الخميس لثمان خلون من
 ذي الحجة ، فاقبل صبيح بطلانغ (٥٧) عسكر جعفر بن فلاح ونزل
 خارج دمشق ، فخرج الناس اليه مستعدين في خيل ورجل فاقتتلوا
 يومهم ذلك ثم انصرفوا واصبحوا يوم الجمعة فاقتتلوا وصاح الناس
 في جامع دمشق بعد الصلاة النفير ، فخرج النفير واشتد القتال الى
 آخر النهار ، ونزل جعفر يوم السبت لعشر خلون من ذي الحجة يوم
 عيد الاضحى فقاتله الناس على الشمامسية والقطيعة ولم يصل
 الناس يوماً منذ صلاة العيد ، وخرج ابن ابي يعلى فلم يزل القتال الى
 بعد العصر ، فكلت الدماشقة ، وحمل عليهم المغاربة فانهزموا وركبت
 المغاربة اقفيتهم وبذلوا فيهم السيف فقتلوا من ظفروا به ، وقام بأمر
 البلد ابو اسحق محمد بن عصيبيدا ، واغلق الابواب واقف الرماة
 على شرفات السور فرموا المغاربة بالذشاب ، ونزل العسكر ارض
 عاتكة وطرحوا النار فيما هنالك من الأبنية ، فانهزم ابن ابي يعلى
 وانفصل (٥٨) من كان معه فقتل خلق ودخلت (٥٩) فرقة من المغاربة باب

الجابية فتكاثر الناس عليهم واخرجوهم واغلقوا الباب ، فأحاط
 العسكر بالبلد من كل ناحية ووقعت المضاربات ، وارتفع ضجيج
 الرجال والنساء والصبيان بالبكاء والنفير ، وظنوا أن القوم يدخلون
 البلد بالسيف ، وكان قد قرب غروب الشمس ، فأمسك العسكر عن
 القتال وتقدم رجل من العسكر وأشار الى من فوق الأسوار ،
 وحدثهم فأمسكوا عن الرمي ، وبات أهل دمشق ليلة الأحد في سد
 الأبواب وتضييق الدروب وكسر القني في الأسواق وحفر الخنادق ،
 وعزموا على القتال وباتوا على خوف فلما أصبحوا خرج المشايخ
 الى جعفر بن فلاح ليتحدثوا معه في الصلح ، فما هو الا أن ساروا
 عن البلد قليلا خرج عليهم فرسان من المغاربة أخذوا ما عليهم من
 الثياب وقتلوا منهم رجلين ، فلما رأى من كان فوق المآذن والأسطحة
 ذلك صاحوا : اضبطوا الأبواب فقد شلحوا المشايخ فظن الناس أن
 العسكر يريد الركوب ، ودخل المشايخ عريا فارتاع أهل البلد واشتد
 خوفهم وتحيروا ، ثم جرت بينهم مراسلة فخرجوا الى جعفر فرعب
 عليهم (٣٠١ - و) ووعد البلد بالنار والسيف فعادوا خائفين
 وجليين ، وبلغوا أهل البلد ما أقلقهم ، فاشتد اضطرابهم ، وعاد
 المشايخ ثانيا الى جعفر فاشتد عليهم وأرعد وابرق فسأله العفو ،
 فقال : ما أعفو عنكم حتى تخرجوا إلي ومعكم النساء فيتضرعن
 ويكشفن شعورهن ويمرغنهن في التراب بين يدي ، فقالوا : نفعل ما
 يقول القائد ، ورجعوا الى البلد ، وخرجوا اليه بما طلب من تضرع
 النساء وكشفهن الشعور بين يديه وهو مع ذلك يرهبهم ثم باسطهم
 وقال : أريد أدخل يوم الجمعة الى الصلاة ، فانصرفوا عنه وركب
 يوم الجمعة في عسكره ودخل البلد ، فلما خرجوا من الجامع وضع
 جماعة من العسكر أيديهم في السوق ونهبوه ، ثم أرادوا أن يدخلوا
 الى الأزقة فثار بهم الناس وقتلوا كثيرا من الرجال ، فاشتد جعفر
 على المشايخ ووعدهم بكل مكروه وقال لهم : دخل رجال أمير المؤمنين
 إلى الصلاة فقتلتموهم لأسوين بهذا البلد الأرض ، فلطفوا به
 وداروه فقال : أريد دية من قتل من رجال أمير المؤمنين ، فأذعنوا
 لذلك ، وكان الذي يتولى خطابه الشريف أبو القاسم أحمد بن

الحسين العقيقي و ... (٦٠) بن أبي هاشم ، ودخلوا البلد وقسطوا المال على الناس، وشرع العسكر في البناء فوق نهر يزيد عند الدكة وعملوا مساكن وأسواقا حتى صارت تشبه المدينة ، وبنوا قصرا عظيما شاهقا في الهواء غريب البنيان .

فلما استقر في الدكة طلب حمال السلاح وضرب أعناق كثير منهم وصلب جثثهم وعلق رؤوسهم على أبواب المدينة ، منها رأس اسحق ابن عسودا .

وبعث يازرق إلى حمص وسلمية فخرج إليه اهل السلمية بكتاب عبيد الله المهدي جد المعز لدين الله بترك الخراج لهم متى ملكهم ، فبعث بذلك إلى جعفر فأمره بالوفاء لهم .

وقدم ابن عليان العدوي وقد قبض على (أبي القاسم) (٦١) بن أبي يعلى العباسي لما انهزم من نحو تدمر وهو يريد بغداد ، فأمر به جعفر فشهّر في العسكر على جمل ، ثم حمله إلى القاهرة .

وأما محمد بن عسودا فإنه لما انهزم سار إلى الاحساء هو ووزالما بن مرهوب العقيلي ، وحثا القرامطة على المسير إلى الشام فوافق ذلك منهم الغرض لأن الاخشيدية كانت تحمل في كل سنة إلى القرامطة مالا ، فلما أخذ جوهر مصر انقطع المال عن القرامطة فأخذوا في الجهاز للمسير إلى الشام .

وجهاز جعفر غلامه فتروحا في عسكر إلى انطاكية وكانت بيد الروم ، فسار في صفر سنة ستين ، وطلب أهل أعمال فلسطين وطبرية ، وسير عسكرا بعد عسكر إلى انطاكية فنازلوها ، وكان الوقت شتاء إلى أن دخل الصيف وهم يداومون القتال ، وبعث سرية فيها أربعة آلاف إلى إسكندرونة وعليهم عرايس ومعهم ابن الزيات أمير طرسوس ، وكان عليها عسكر للروم ، فظفروا في طريقهم بمائتي بغل تحمل علوفه لأهل انطاكية فقفوا بها ، وساروا إلى مرج إسكندرونة وفيه مضارب الروم الديباج فتسرع إليها رجاله تنهبها ، فحمل عليهم الروم فانهزموا وأخذهم السيف ، ونجا عرايس وابسن الزيات في طائفة ولحقوا بجعفر ، وهلك كثير ممن كان في السرية .

فكثرت الأخبار بمسير القرامطة إلى الشام ، وأنهم نزلوا على الكوفة ، وكتبوا إلى الخليفة ببغداد ، فانفذ إليهم خزانة سلاح ، وكتب لهم بأربعمائة ألف درهم على أبي تغلب عبد الله بن ناصر الدولة بن حمدان من مال الرحبة ، وأنهم ساروا من الكوفة إلى الرحبة وأخذوا من ابن حمدان المبلغ ، فكتب جعفر إلى غلامه فتوح وهو على انطاكية يأمره بالرحيل ، فوافاه الكتاب مستهل شهر رمضان فشرع في شد أحماله (٦٢) ، ونظر الناس إليه فجفلوا ورموا خيمهم ، وأراقوا طعامهم وأخذوا في السير مجددين إلى دمشق ، فلما وافوا جعفر أراد أن يقاتل بهم القرامطة فلم يقفوا ، وطلب كل قوم موضعهم ولم يبالوا بالموكلين على الطرق .

وعندما نزل القرامطة على الرحبة أكرمهم أبو تغلب ، وبعث إلى الحسن بن أحمد بن أبي سعيد الجنابي المعروف بالأعصم كبيرهم يقول له : هذا شيء أردت أن أسير أنا فيه بنفسي ، لكنني مقيم في هذا الموضوع إلى أن يرد إلي خبرك ، فإن احتججت إلى (٣٠١ - ظ) مسيري سرت إليك ، ونادى في عسكره من أراد السير من الجند الأخشيدية وغيرهم إلى الشام مع الحسن بن أحمد فلا اعتراض لنا عليه وقد أذننا له في المسير ، والعسكران واحد ، فخرج إلى القرامطة كثير من الأخشيدية الذين كانوا بمصر وفلسطين ممن فر من جوهر ومن جعفر بن فلاح ، وكان جعفر لما أخذ طبرية بعث إلى أبي تغلب بن حمدان بداع يقال له أبو طالب التنوخي يقول له : إنا سائرون إليك فتقيم لنا الدعوة ، فلما قدم الداعي على أبي تغلب وهو بالموصل وأدى (٦٣) الرسالة ، قال له هذا ما لا يتم لأننا في دهليز بغداد والعساكر منا قريبة ، ولكن إذا قربت عساكركم من هذه الديار أمكن مآذركته ، فانصرف بغير شيء .

ثم إن الحسن بن أحمد القرمطي سار عن الرحبة إلى أن قرب من دمشق فجمع جعفر خواصه واستشارهم فانفقوا على أن يكون لقاء القرامطة في طرف البرية قبل أن يتمكنوا من العمارة ، فخرج إليهم

ولقيهم فقاتلهم قتالا كبيرا ، فانهزم عنه عدة من أصحابه ، فولى في عدة ممن معه ، وركب القرامطة أقفيتهم وقد تكاثرت العربان من كل ناحية ، وصعد الغبار فلم يعرف كبير من صغير ، ووجد جعفر قتيلا لا يعرف له قاتل ، وكانت هذه الواقعة في يوم الخميس لست خلون من ذي القعدة سنة ستين وثلاثمائة ، فامتألت أيدي القرامطة بما احتوا عليه من المال والسلاح وغيره ، وخرج محمد بن عسودا إلى جثة جعفر بن فلاح وهي مطروحة في الطريق ، فأخذ رأسه وصلبه على حائط داره ، أراد بذلك أخذ ثأر أخيه إسحق بن عسودا ، وملك القرامطة دمشق ، وورد الخبر بذلك على جوهر القائد ، فاستعد لحرب القرامطة .

وكان جعفر أحمقا هذارا كثير الكلام ، أكثر كلامه بغير طائل ، وكان يحسد جوهر القائد لتقدمه عليه ، وكانت العرفية لجوهر كما هو المذكور في ترجمة جوهر .

جوهري الصدقيني

(من المقفى للمقريني - مجلدة برتو باشا)

جوهري بن عبد الله ، القائد ، ابو الحسن الصدقيني (٦٤) الرومي الكاتب ، مولى المعز لدين الله ابي تميم معد ، ولد في سنة اثنتي عشر وثلاثمائة ، وصار إلى ملك غلام لهم يقال له صابر ، ثم انتقل إلى خادم لهم يقال له خيران ، ثم إلى خادم يقال له خفيف ، فأهداه خفيف إلى الامام المنصور بالله ابي الظاهر اسماعيل ، فحمله (إلى) (٦٥) ابنه الامام المعز لدين الله وهو صغير ، فرباه حتى بلغ مبالغ الرجال في خدمته ، وكناه بأبي الحسن ، ورقاه في الخدم إلى أن قام في الخلافة بعد ابيه (٦٦)

ولما كانت (سنة) (٦٧) خمس وأربعين وثلاثمائة ارتفع أمر جوهري ، وصار إلى رتبة الوزارة ، ثم أخرجه المعز في يوم الخميس لتسع خلون من صفر سنة سبع وأربعين على عسكر عظيم بالعدة والقوة ليتوجه به إلى جعفر بن علي الأندلسي ، وزير بن مناد الصنهاجي ، ويعلى بن محمد الزناتي ، فخرجوا معه بعساكرهم ، حتى وصلوا إلى تاهرت (٦٨) ، فتلقاها يعلى بن محمد الزناتي ، وكان صاحب المغرب ، وأكرمه وقام له بالوظائف والعلف أياما غير أن أهل مدينة (٦٩) أفكان (٧٠) كانوا إذا باعوا أهل عسكر جوهري شتموهم واستخفوا بهم ومع (٣٠٦ - ظ) ذلك فإن (٧١) يعلى لم يسارع بالمسير مع جوهري ، فلما رحل جوهري بعساكره من عند يعلى ، مشى يعلى ليشيعه ، فسار جوهري ، وأخذ العسكر في رفع أثقالهم إذ سمع صياحا عظيما فقال : ما هذا ؟ فقيل له : أصحاب يعلى قد ضربوا على ساقه (٧٢) العسكر ، وقد شغبوا ، فقال يعلى : أنا أمضي لأفرقهم ، فمنعه جوهري من المضي ، وزاد الصياح ، فأمر جوهري ببيعلي فأرجل عن فرسه وأركب بغلة ، ثم زاد الأمر ، فأمر جوهري ببيعلي فانزل عن البغلة ومشى بين يديه راجلا ، فاشتد

الأمر ، ونهبت الزوامل (٧٣) فأتى أبو طاعة بن يصل الكتامي إلى جوهر وقال : السيف يعمل في عسكرنا وهذا حي ، فجرد سيفه فضرب يعلى أطار رأسه ، ورفعها على قناة وحملها إلى موضع القتال ، فلما راها أصحابه انهزموا ، فمال عليهم العسكر حتى بلغوا إلى أفكان والسيف يعمل فيهم ، فدخلوا أفكان بالسيف ، فقتل أكثر أهلها ، ونهب كل ما فيها وأسر يدو بن يعلى ، ثم هدمت أفكان ، وحرقت بالنار ، وذلك كله يوم الاثنين الثاني من جمادى الأولى .

ورحل جوهر حتى انتهى إلى فاس وبها أحمد بن بكير ، فامتنع من جوهر وقاتله مدة ، فلم يقدر عليه جوهر ، ورحل عن فاس إلى سجلماسة ، فلما قرب منها فر عنه محمد بن الفتح الملقب بالشاكر لله أمير المؤمنين ، وكان قد تغلب عليها ست عشرة سنة ، ثم أخذ أسيرا وحمل إلى جوهر في يوم الأربعاء لثمان خلون من رجب بغير حرب .

فمضى جوهر الى البحر المحيط وامر أن يصطاد له من حيتانه وجعلها في قلة فيها ماء ، وكتب الى المعز كتابا في قصبة من ضريع (٧٤) البحر المحيط ، وبعثه بذلك اليه ، يشير أنه انتهى الى البحر المحيط .

ثم عاد الى فاس بعد ان ملك تلك البلاد كلها ، فنزل عليها وقاتل أهلها مدة قتالا طويلا حتى يذس منها ، ثم جد فيها الى ان ملكها ونهب عسكره ما فيها ، وسبوا نزاريتها ، وأخذ احمد بن بكير وقيده وجعله مع محمد بن الفتح أمير سجلماسة ، وذلك لعشر بقين من رمضان ، وعمل قفصين من خشب سجن فيهما المذكورين وقلل الى افريقية بعدما فتح الفتوح ، وأداد البلدان الى البحر المحيط ، ولم يتعرض لسبته وكانت بيد بني امية .

فلما قدم تاهرت ولى عليها زيري بن مناد وضمها الى يده فقوي امره وتركه بها ، وسار الى المسلية (٧٥) فتركها عليها عاملها جعفر ابن علي الاندلسي ، ورد كل قوم الى مواضعهم ، ووصل الى

المنصورة (٧٦) ومعه أحمد بن بكير أمير فاس (٧٧) ومحمد الزناتي أمير تاهرت وكثير من الأسرى في يوم الجمعة لاثنتي عشرة بقية من شوال.

ثم أخرجه المعز في سنة سبع وخمسين لإصلاح المغرب في عسكر عظيم ، وليحشد كتامة الذين ينهض بهم إلى المشرق ، ويجبي من البربر خمسمائة ألف دينار ويدوخ المغرب ، وقدم يوم الأحد لثلاث بقين من المحرم سنة ثمان وخمسين بعساكر عظيمة من كتامة والجند والبربر فاقام خارج المنصورة لتجتمع إليه الحشود والعساكر وفتح المعز بيت المال وأعطى الأموال من ألف دينار إلى عشرين ديناراً .

ثم دخل في يوم السبت لاربع عشرة مضت من ربيع الأول بالعساكر ومعه زيادة على مائة ألف فارس ، وبين يديه أكثر من ألف ومائتي صندوق فيها المال ، فنزل برقادة (٧٨) وخرج إلى المعز وخلا به ، وأطلق يده ليتصرف في بيوت أمواله كيف شاء ، ويأخذ منها زيادة إلى مائة ما أحب واختار.

فقال المعز وجوهر قائم بين يديه ، والعساكر مجتمعة والله (٧٩) لو خرج جوهر هذا وحده بسوطه لفتح مصر وليدخلن مصر بالأردية من غير حرب ولينزلن في خرابات ابن طولون ، وتبنى مدينة تسمى القاهرة تقهر الدنيا.

وامر المعز أولاده وأخوته وسائر الأولياء وعبيد الدولة أن يمشوا بين يدي جوهر وهو راكب ، وكتب (٣٠٧ - و) إلى جميع من يمر عليه جوهر من العمال يأمرهم إذا قدم عليهم أن يترجلوا إليه عند لقائه ، ويمشوا في خدمته ، ثم تقدم إلى جوهر بالمشير ، فرفع من مناخه والمعز واقف ، ثم أكب على جوهر وقد ركب فرسه فساره طويلاً ، ثم التفت إلى الأمراء أولاده وأخوته فقال : ودعوه فنزلوا عن خيولهم ، ونزل بنزلهم كافة الناس فودعوه على قدر

مراتبهم واحدا بعد واحد فلما فرغوا من وداعه اقبل جوهر فقبل يد
المعز وحافر فرسه فقال له المعز: اركب فركب وسار والمعز يسايره
طويلا ثم وقف وقال له: سر فسار ثم التفت والمعز قائم ، فأوما اليه
بكمه ان امض ، فتحرك جوهر يريد عسكره حتى لحق بهم ثم نزل
منزله وعاد المعز الى منزله فنزع ثيابه وانفذها كلها الى جوهر ما
عدا السراويل والخاتم ، وانشد ابو القاسم محمد بن هانى قصيدة
بديعة في يوم رحيل جوهر ، وكان من ايام الله العظيمة المهولة منها:

رايت بعيني فوق ما كنت اسمع
وقد راعني يوم من الحشر اروع

غداة كان الأفق سد بمثله
فعاد غروب الشمس من حيث تطلع

فلم ادر اذ ودعت كيف اودع
ولم ادر اذ شيعت كيف اشيع

الا ان هذا حشد من لم يذق له
غرار الكرى جفن ولا بات يهجع

اذا حل في ارض بناها مداننا
وان سار على ارض ثوت وهي بلقع

تحل بيوت المال حيث يحله
وجم العطايا والرواق المرفع

وكبرت الفرسان لله اذ بدا
وظل السلاح المنتضى يتقعقع

وعب عباب الموكب الضخم حوله
وزف كما زف الصباح الملمع

رحلت الى القسطنطينية اول رحلة
بأيمن فال بالذي انت تجمع

فان يك في مصر ظمأء لوزد
فقد جاءهم نيل سوى النيل يهمع

ويمسهم من لايفار بنعمة
فيسلبهم لكن يزيد فيوسع (٨٠)

وفي غد رحيل جوهر هرب من البربر خمسمائة فارس فخرج في طلبهم ففاتوه فقال المعز : الله اكرم من ان ينصرنا بأرازل البربر وإنني لأرجو ان يكون بزوالهم زوال النحس عن عسكرنا ، واقام جوهر بمكانه الى يوم الاحد لست بقين من شهر ربيع الأول ، ثم رحل بجميع العساكر في قوة عظيمة ومعه من الأموال والسلاح والعدد والكرام مالا يوصف كثرة فلم يزل سائرا حتى وصل الى برقة ، فافتدى منه أفلح الناشب الصقلبي متولي برقة بخمسين الف دينار يحملها اليه ويعفيه من ان يمشي راجلا بين يديه ، فلم يجد أفلح بدا من المشي لما لقيه حتى نزل .

واتت الاخبار الى مصر في جمادى الآخرة بمسير جوهر اليها وكان في عامة ارض مصر حينئذ من الشدة والغلاء والوباء امر لم يعهد قبله مثله بحيث انه أُحصي من مات في ايام يسيرة فكانوا ستمائة الف انسان ، وكانوا يلقون الغرباء في النيل وبلغ الفروج دينارا والبيضة درهما وبيع الأردب القمح بثمانين دينارا ، مع كثرة الفتن وتغلب كل واحد من العمال وغيرهم على ما يليه واختلاف اهل الدولة بمصر من الاخشيدية والكافورية وكثرة تحاسدهم ، وعظم الخوف من هجوم القرامطة على مصر ، وكانوا قد انتشروا ببلاد الشام ، فاختلفت من اجل هذا وشبهه الأحوال بـديار مصر واتضعت امور الناس ، وتغيرت نياتهم ، وساءت معاملاتهم (٣٠٧ -) وفست اكثر اوضاعهم وشمل الخراب عامة ارض

مصر لموت اهلها وقلة اموالها وتعذر وجود الاقوات وكثرة الخوف .

وكان بمصر جماعة من دعاة المعز قدا^(٨١) استمالوا خلائق من القواد ووجوه الرعية ، وانفذ اليهم المعز بنودا ففرقوها فيمن استجاب لهم وأمرهم أن يذشروها انا قاربت عساكره مصر ، فعندما قرب جوهر من أرض الاسكندرية جمع الوزير ابو الفضل جعفر بن الفضل بن الفرات ، المعروف بنين حنزانة الناس بداره من مصر واتفقوا على مراسلة جوهر وأن يشترطوا عليه أن يقرهم على ما يابيههم من الضياع التي يتولوها ، وشرط تحرير شويزان أن لايجمع مع جوهر وارسلوا اليه بذلك الشريف ابا جعفر مسلم ، والشريف ابا اسماعيل ابراهيم بن أحمد الرسي والقاضي ابا الطاهر محمد بن أحمد بن عبد الله بن نصر الذهلي ، وابو الطيب العباسي بن أحمد العباسي الهاشمي ، في جماعة ، فبرزوا الى الجيزة في يوم الاثنين ثامن عشر رجب ، وساروا فلقوا جوهر في تروجة^(٨٢) فوافقهم واجابهم الى ما لتمسوه وكتب لهم كتابا نصه بعد البسملة:

هذا كتاب جوهر عبد امير المؤمنين المعز لدين الله صلوات الله عليه لجماعة اهل مصر الساكنين بها من اهلها ومن غيرها :

إنه قد ورد من سألتموه الترسل والاجتماع معي وهم: ابو جعفر مسلم الشريف اطال الله بقاءه، وابو اسماعيل الرسي ايده الله ، وابو الطيب الهاشمي ايده الله ، وابو جعفر أحمد بن نصر اعزه الله ، والقاضي ابو طاهر اعزه الله ، وذكروا عنكم انكم^(٨٣) التمستم كتابا يشتمل على امانكم في انفسكم واموالكم وبلادكم وجميع احوالكم ، فعرفتكم ما تقدم به مولانا وسيدنا امير المؤمنين صلوات الله عليه ^(٨٤) وحسن نظره اليكم.

فاحمدوا الله على ما اولاكم ، واشكروه على ما اتاكم ، وادابوا فيما يلزمكم ، وسارعوا الى طاعته العاصمة لكم ، العائدة بالسعادة عليكم والعصمة الشاملة لكم ، وهو انه صلوات الله عليه

لم يكن اخراجه للعساكر المنصورة والجيوش المظفرة الا لما فيه اعزازكم وحمائتكم ، والجهاد عنكم ، اذ قد تخطفتمكم الأيدي واستطال عليكم المستدل واطمعتة نفسه بالاقتماد على بلدكم في هذه السنة والتقلب عليه واسر من فيه ، والاحتواء على نعمكم واموالكم حسب ما فعله في غيركم من اهل بلدان المشرق ، وتاكّد عزمه واشتد طلبه ، فعاجله مولانا وسيدنا امير المؤمنين صلوات الله عليه باخراج العساكر ، وبادره بانفاذ الجيوش المظفرة لمقاتلته دونكم ، ومجاهدته عنكم وعن كافة المسلمين ببلدان المشرق الذين عمهم الخزي ، وشملتهم الذلة ، واكتنفتهم المصائب وتتابعت لديهم الرزايا ، واتصل عندهم الخوف ، وكثرت استغاثتهم وعظم ضجيجهم وعلا صراخهم ، فلم يغفهم الا من ارضه امرهم ، ومضه حالهم وابكى عينه ما نالهم ، واسهرها ما حل بهم وهو مولانا وسيدنا امير المؤمنين صلوات الله عليه فرجا بفضل الله (٨٥) واحسانه لديه ، وما عوده واجراه عليه استفاد من أصبح منهم في نل مقيم وعذاب اليم ، وان يؤمن من استولى عليه الوجل ويفرخ روع من لم يزل في خوف ووجل ، واثر اقامة الحج الذي تعطل واهمل العباد فروضه وحقوقه من الخوف المستولي عليهم واذ لا يأمنون على انفسهم ولا على اموالهم مع اعتماد ما هي عادته من اصلاح الطرقات وقطع عبث العابثين فيها ليتطرق الناس آمنين ويمشوا مطمئنين ويتدفقوا بالأطعمة والأقوات ، اذ كان قد انتهى اليه صلوات الله عليه انقطاع طرقاتها لخوف مارتها ، اذ لازجر للمعتدين ، ولادافع للظالمين.

ثم تجديد السكة وضربها على العيار الذي (٣٠٨- و) عليه السكة الميمونة المنصورة المباركة وقطع الغش منها اذ كانت هذه الثلاث خصال ما يسع من ينظر في امور المسلمين الا اصلاحها واستقراغ الوسع فيما يلزمه منها

وما أوعز به مولانا وسيدنا أمير المسلمين (٨٦) صلوات الله عليه الى عبده من نشر العدل وبسط الحق ، وحسم الظلم ، وقطع

العدوان ، ونفى الأذى ، ورفع المؤن ، والمناداة في الحق ، واعانة
المظلوم ، والتقريب والاشفاق والاحسان ، وجميل النظر ، وكريم
الصحة ، ولطف العشرة ، وافتقار الأحوال ، وحيطة أهل البلد في
ليلهم ونهارهم ، وحسن تصرفهم في أوان ابتغائهم معاشهم ، حتى
لاتجري أمورهم الا على ما لم شعئهم ، واقام اودهم واصلح بالهم ،
وجمع قلوبهم والاف كلمتهم على طاعة وليه مولانا وسيدنا أمير
المؤمنين صلوات الله عليه.

وما أمر به مولاه من اسقاط الرسوم الجائرة التي لايرتضي
صلوات الله عليه باثباتها عليكم.

وأن اجريكم في المواريث على كتاب الله ، وسنة نبيه صلى الله
عليه وسلم ، وأضع ما كان يؤخذ من تركات موتاكم (٨٧) لبيت المال
عن غير وصية من المتوفى بها ، فانه لااستحقاق لتصييرها ببيت
المال.

وأن أتقدم في رم مساجدكم ، وتزيينها بالفرش والايقاد ، وأعطي
مؤذنيها وقومتها ومن يؤم الناس فيها أرزاقهم ، وأدرها عليهم ، فلا
اقطعها عنهم ، ولاأدفعها الا من بيت المال ، الا باحالة على من
يقبض منهم.

واما غير ما ذكره مولانا وسيدنا أمير المؤمنين صلوات الله عليه
مما نصه من ترسل عنكم ايدهم الله انكم ذكرتم وجوها التمسستم
ذكرها في كتاب امانكم ، فذكرتها اجابة لكم وتطمينا لأنفسكم وان لم
يكن لذكرها معنى ولانشرها فائدة ، ان كان الاسلام سنة واحدة
وشريعة متبعة ، وهي اقامتكم على مذاهبكم وان تتركوا على
ما (٨٨) انتم عليه من اداء الفروض في الاشتغال بالعلم والاجتماع
عليه في جوامعكم ومساجدكم ، وثباتكم على ماكان عليه سلف الائمة
من الصحابة رضي الله عنهم ، والتابعين بعدهم ، وفقهاء الامصار
الذين جرت الاحكام بمذاهبهم وفتواهم ، وان يجري فرض الأذان

والصلاة وقيام شهر رمضان وفطره والزكاة والحج والجهاد على ما
أمر الله به ، ونصه نبيه صلى الله عليه وسلم في سنته ، وأجراء
أهل الذمة على ما كانوا عليه .

ولكم علي أمان الله التام العام الدائم المتصل الشامل الكامل
المتجدد (٨٩) والمتأكد على الأيام وكرور الأعوام في أنفسكم وأموالكم
وأهليكم ونعمكم وضياعكم ورباعكم ، وقليلكم وكثيركم ، وعلى أنه
لا يعترض عليكم معترض ، ولا يجتني عليكم مجتني ولا يتعقب ، وعلى
أنكم تصانون وتحفظون وتحرسون ، ويذب عنكم ، ويمنع منكم ،
فلا يعترض الي أذاكم ، ولا يسارع أحد في الاعتداء عليكم ، ولا في
الاستطالة على قويكم فضلا عن ضعيفكم ، وعلى أن لا زال مجتهدا
فيما يعمكم صلاحه ، ويشملكم نفعه ، ويصل اليكم خيرته ، وتتعرفون
بركته ، وتغتبطون معه بطاعة مولانا وسيدنا أمير المؤمنين صلوات
الله عليه .

ولكم علي الوفاء بما الزمته نفسي ، وأعطيتكم إياه عهد الله وغليظ
ميثاقه ودمته وذمة أنبيائه ورسله ، وذمة الأئمة موالينا أمراء
المؤمنين قدس الله أرواحهم ، وذمة مولانا وسيدنا أمير المؤمنين المعز
لدين الله صلوات الله عليه ، فتصريحون بها وتعلنون بالانصراف
اليها ، وتخرجون وتسلمون علي ، وتكونون بين يدي الي أن أعبّر
الجسر ، وأنزل في المناخ المبارك وتحفظون (٣٠٨ - ظ) وتحافظون
من بعد على الطاعة ، وتتأبرون عليها ، وتسارعون الي فروضها ،
ولا تخذلون وليا لمولانا وسيدنا أمير المؤمنين صلوات الله عليه ،
وتلزمون ما أمرتم به ، وفقكم الله وارشدكم أجمعين .

وكتب جوهر القائد هذا الأمان بخطه في شعبان سنة ثمان
وخمسين وثلاثمائة ، وصلى الله على محمد النبي وعلى آله الطيبين
الطاهرين الأخيار.

وفي آخره قال جوهر الكاتب عبد أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه (٩٠) الأكرمين : كتبت هذا الأمان على ما تقدم به أمر مولانا وسيدنا أمير المؤمنين صلوات الله عليه ، وعلى الوفاء بجميعة لمن أجاب من أهل البلد وغيرهم على ما شرطت فيه والحمد لله رب العالمين ، وحسبي الله ونعم الوكيل ، وصلى الله على محمد وعلى آله الطيبين، وكتب جوهر بخطه وأشهد جوهر على نفسه جماعة الحاضرين وهم : أبو جعفر مسلم بن عبيد الله الحسيني (٩١) وأبو اسماعيل إبراهيم بن أحمد الرسي الحسيني (٩٢) . وأبو الطيب العباسي بن أحمد الهاشمي ، والقاضي أبو الطاهر محمد ابن أحمد وابنه أبو يعلى محمد بن محمد ، ومحمد بن مهذب بن محمد وعمرو بن الحارث بن محمد .

وأخذ منه أبو جعفر مسلم كتابا الى جماعة منهم : الوزير أبو الفضل جعفر بن الفضل بن الفرات ، وأجاز جوهر الجماعة ، وحملهم ، فلم يقبل أبو جعفر مسلم منه شيئا ، وطعم الجماعة عنده معه وودعوه وانصرفوا . فبلغهم أن الجماعة بمصر قد نقضوا الصلح فأسرعوا في الانصراف ، وبلغ ذلك جوهر فأدركهم بمحلة حفص ووقال لهم : قد بلغني أن القوم قد نقضوا الصلح فردوا علي أمانني ، فرفقوا به فقال لابي طاهر : يا قاضي ما تقول في هذه المسألة ؟ فقال : ما هي ؟ قال ما تقول فيمن أراد العبور الى مصر ليمضي الى الجهاد ويقاتل الروم . فمنع ، اليس له قتالهم ؟ فقال القاضي : نعم ، فقال جوهر : وحلال قتالهم ؟ قال : نعم ، فسار عبد العزيز بن هيج الكلابي من عسكر جوهر فدخل الفيوم ، وأقام الدعوة ، ففر منه مبشر الأخشيدي الى الفسطاط ، ووافى الشريف مسلم والجماعة من عند جوهر ، في ثامن شعبان ، ونزل بداره فاتاه الناس فيهم الوزير ابن الفرات ، فقرأ عليهم (أمان) جوهر ، وأوصل الى ابن الفرات وغيره كتبهم ، فامتنع الاخشيدي والكافورية وقال فرج البجكمي : لو جاءنا يا شريف جدك محمد صلى الله عليه وسلم بهذا ضربنا وجهه بالسيف ، فلامهم ابن الفرات على ذلك وقال لهم : انتم سألتم الشريف في هذه

الرسالة فلم يتمنع حتى أخذ معه أبا اسماعيل وهو حسني ، وأخذ معه قاضي المسلمين ، وأخذ رجلا عباسيا ، هذا وأبو جعفر مسلم ساكت لم يزد على أكثر من قوله : خار الله لكم ، واشتغل بمساررة ابن الفرات ، والكافورية مع الأخشيدي في خوض ، وقالوا كلهم : ما بيننا وبين جوهر الا السيف ، فقال ابو منجل : فتكون حرب بغير أمير ؟ فقالوا : هو كذلك ، فقال : ترضوا بمن أرضى ؟ فقالوا : (٩٣) نعم ، فقام قائما واستقبل نحرير شويزان وقال : السلام عليك أيها الأمير ، وقاموا كلهم فسلموا عليه ، وخرجوا يحدبوه الى داره ، فانهقد له الأمر ، وأحمد بن الأمير علي بن الأخشيدي لا يفكر فيه ولا يعتد به ، واستعد القوم للقتال ، وساروا في عاشره ونزلوا بالجزيرة ، وضبطوا الجسرين ، فلما رأى ذلك جوهر عاد الى منية شلقان (٩٤) ليعبر من هناك ، وبعث جعفر بن فلاح لاستقبال المراكب الواردة من تديس (٩٥) ودمياط أسفل الأرض ، فأخذها ، فبعث الأخشيدي نحرير الأزغلي ويمن الطويل ، ومبشر وبلال الطائي في خلق ليمنعوا من العبور فابتدي القتال في يوم الخميس حادي عشر شعبان ، فقتل من المصريين كثير ، وانصرف الناس عشية الأحد النصف من شعبان ، فلما كان نصف الليل انصرف من كان بالجزيرة الى دورهم ، وأصبحوا فارين الى الشام وكان ممن قتل نحرير الأزغلي ومبشر (٣٠٩ - و) الأخشيدي ، ويمن الطويل ، وبلال الطائي في خلانق ، فلما كان يوم الاثنين اجتمع أحمد بن محمد الرودباري الكاتب ، وعبد الله بن أحمد الفرغاني وغيره من الوجوه عند الشريف ابي جعفر مسلم ، وسألوه ان يكتب الى جوهر في اعادة الامان ، فكتب كتابا باملاء الرودباري وبعثه ، وكتب مع غلامه سعادة الأسود كتابا آخر وجلس الناس عنده لانتظار الامان نهارهم فطاف علي بن الحسين بن لؤلؤ صاحب الشرطة ومعه رسول لجوهر ومعه جابر بن محمد الداعي ، ومعهم بند عليه المعز لدين الله وبين أيديهما الأجراس : بأن لامونة ولا كلفة ، وأمن الناس ، وكان جابر قد فرق البنود التي عنده ، فنشر كل من عنده بند في دربه ، فلما

كان وقت العصر وأنى سعادة بجواب جوهر ونصه بعد البسمة :

وصل كتاب الشريف الجليل ، أطال الله بقاءه ، وأدام عزه وتأييده وعلوه ، فهو المهني بما هنا به من الفتح الميمون ، ووقفت على ما سأل من إعادة الأمان الأول ، وقد أعدته على حاله ، وجعلت الى الشريف أيده الله أن يؤمن كيف رأى وكيف أحب ، ويزيد على ما كتبه كيف شاء ، فهو أمانى وعن أذني واذن مولانا وسيدنا (٩٦) أمير المؤمنين صلوات الله عليه ، وقد كتبت الى الوزير أيده الله بالاحتياط على دور الهاربين الى أن يرجعوا الى الطاعة ويدخلوا فيما دخلت فيه الجماعة ، ويعمل الشريف أيده الله على لقائى في يوم الثلاثاء لسبع عشرة تخلو من شعبان .

فاستبشر الجماعة ، وعملوا على الغدو الى الجيزة ، ثم سأل الشريف غلامه عمن قتل ؟ فقال : نحرير الأزغلي ، ومبشر الأخشيدي ، ويمن الطويل وبلال ، فقال له : تدري ويلك ما تقول ؟ فقال : رأيت رؤوسهم في طشيت فضة فقال له : ومن ؟ فقال : وخلق كثير قد جمعت رؤوسهم ، فبات الناس على هدوء وطمانينة

ولما كان في غداة يوم الثلاثاء لسبع عشرة خلت من شعبان خرج الشريف أبو جعفر مسلم ، والوزير أبو الفضل جعفر بن الفرات ، وسائر الاشراف والقضاة وأهل العلم والشهود ، ووجوه التجار والرعية الى الجيزة ، فلما تكامل الناس أقبل القائد جوهر في عساكره ، فصاح بعض حجابيه الأرض الا الشريف والوزير ، وتقدم الناس وأبو جعفر أحمد بن ناصر التاجر يعرفه بالناس واحدا واحدا فلما فرغوا من الإسلام عليه مضى الى فسطاطه ، فأقام الى زالت الشمس فسارت العساكر ، وعبرت الجسر أفواجا أفواجا ، ومعهم صناديق بيت المال على البغال ، وأقبلت القباب ، ثم جاء القائد جوهر في حلة مذهبة ، مثقل يحف به فرسانه ورجالته ، ومد العسكر بأسره الى المناخ الذي رسم به المعز ، وهو موضع القاهرة .

فلما استقرت به الدار جاءت الالطاف (٩٧) والهدايا ، فلم يقبل من احد شيئا الا طعام الشريف مسلم وحده ، فلما أصبح أنفذ علي بن الوليد قاضي عسكره وبين يديه أحمال مال ومناذي ينادي : من أراد الصدقة فليصر الى دار ابي جعفر أحمد بن نصر فاجتمع خلق من المستورين والفقراء فصار بهم الى الجامع العتيق لصلاة الجمعة وخطب بالناس (٩٨) هبة الله بن أحمد خليفة عبد السميع بن عمرو العباسي ببياض حتى بلغ الى الدعاء قرأ من رقعة ما نصه : اللهم صلي على عبدك ووليك ثمرة النبوة وسليل السادة المهديّة ، عبدك معد ابي تميم المعز لدين الله ، امير المؤمنين ، كما صليت على أبائه الطاهرين وأسلافه الانمة الراشدين .

اللهم ارفع درجته وأعلي كلمته ، وأوضح حجته ، وأجمع الأمة على طاعته ، والقلوب على موالاته ومحبتته ، وأجعل الرشاد في موافقته ، وورثه مشارق الأرض ومغاربها ، وأحمده مبادئ الأمور وعواقبها ، فانك تقول وقولك الحق : «ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون» (٩٩) فقد أمتعض لديك ولما انتهك من حرمتك ودرس من الجهاد في سبيلك ، وأنقطع من الحج الى بيتك وزيارة قبر رسولك صلى الله عليه وسلم ، فأعد للجهاد عدته ، وأخذ لكل خطب أهبطه ، فسير الجيوش لنصرتك ، وأنفق الاموال في طاعتك ، وبذل المجهود في مرضاتك ، فارتدع الجاهل ، وقصر المتناول ، وظهر الحق وزهق الباطل.

فانصر اللهم جيوشه التي سيرها وسراياه التي انتدبها لقتال المشركين ، وجهاد الملحدين ، والذب عن المسلمين ، وعمارة الثغور والحرمين ، وازالة الباطل ، وبسط العدل في الأمم ، اللهم فاجعل رايته عالية مشهورة ، وعساكره غالبية منصوره ، واصلح به وعلى يديه.

وضرب السكة الحمراء ونقشها: دعا الامام معد لتوحيد الاله الصمد ، في سطر ، وفي السطر الآخر: المعز لدين الله أمير المؤمنين ، وفي السطر الثالث ، ضرب هذا الدينار بمصر في سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة. وفي الوجه الآخر لا اله الا الله محمد رسول الله (١٠٠) أفضل الوصيين ووزير خير المرسلين.

وجلد متزانيين وطاف بهما وظهر المرأة مكشوف .
وكاتب مزاحم بن محمد بن رائق ، وكان قد سافر فيمن سار يريد الشام ، فرجع عن الحوف (١٠١) في عسكر كبير.

وفي هذا الشهر ابتداء بذيان القصر ، وبني المصلى الذي للعيد ، وأفطر جوهر في عيد الفطر على عدد بغير رؤية ، وصلى صلاة العيد بالقاهرة ، صلى به علي بن الوليد الاشبيلي قاضي عسكره ، وخطب ، فلم يصل أهل مصر ، وصلوا من الغد في الجامع العتيق وفيهم القاضي أبو طاهر ، وكان قد التمس الهلال على عادته في سطح الجامع ، فلم يره ، فلما بلغ ذلك جوهر انكره وعاتب عليه وتهدد فيه .

وجلس للمظالم في كل سبت ، ثم رد المظالم الى أبي عيسى مرشد ، وصرف علي بن الحسين عن الشرطة وردها الى شبل المعرضي وإلى ابن عروبة المغربي ، وأشرك بين علي بن يحيى بن العرمم وبين رجاء بن صولات في الخراج ، وأشرك بين محمد بن أحمد الشداني وبين موسى بن الحسين البصنهاجي في ديوان الضياع الاخشيدية ، وأشرك بين محمد بن سالم وبين أبي اليمن قزمان بن مسنهاخي في الضياع الكافورية

ووردت كتب الاخشيدية والكافورية من الشام بطلب الأمان فأمנם ، ووافي منهم في ذي الحجة ستة الاف فأنزلهم جوهر خارج القاهرة.

وفي يوم الجمعة ثامن ذي القعدة زيد في الخطبة: اللهم صلي على النبي محمد المصطفى وعلى علي المرتضى ، وعلى فاطمة البتول ، وعلى الحسن والحسين سبطي الرسول الذين أذهب عنهم الرجس وطهرتهم تطهيرا. اللهم صلي على الأئمة الراشدين أبناء أمير المؤمنين الهادين.

ونودي على التوابيت في الجامع العتيق برفع البراطيل وقائم الشرطيين ، وكذلك نودي في سائر البلد.

وورد الخبر بقدوم القرامطة الى الرملة. وقدم كتاب المعز لدين الله من المغرب بوصول رأس تحرير ومبشر ويمن وبلال.

وفي ذي الحجة فر فاتك الهنكري الى الشام ، وبلغ جوهر أن المستأمنة من الاخشيدية والكافورية قد عزموا على القيام ، فحضر جنازة في خامسه ، وانصرف منها وهم معه ، فلما بلغ القصر من القاهرة قال للاخشيدية والكافورية: أنزلوا ، فنزلوا ، فقبض على ثلاثة عشر من وجوههم ، واعتقلهم ستة أشهر حتى سيرهم الى المعز بالمغرب مع الهدية ، وقبض على أموال تحرير الأزغلي وغيره. ودخلت سنة تسع وخمسين وثلاثمائة ، فحضر اعناق جماعة وصلبهم ، وندب جعفر بن فلاح لأخذ الشام ، فسار في ثاني عشر المحرم وملك الرملة ، وبعث علي بن عقبايا (١٠٢) الى الصعيد في البر ، وعلي بن محمد الخازن في البحر.

وفي ربيع الأول قبض على دواب الاخشيدية والكافورية وصرفهم مشاة ، وأمرهم بطلب المعيشة.

وتعذر الخبز لغلاء السعر ، فحضر جماعة من الطحانين وطيف

بهم.

وفي يوم الجمعة لثمان خلون من جمادى الأولى صلى في جامع أحمد بن طولون ، وخطب به عبد السميع بن عمر العباسي بقلندسوة وشي وطيلسان وشي ، وأذن المؤذنون حي على خير العمل ، وهو أول ما أذن به مصر ، وصلى به عبد السميع فقرا سورة الجمعة وإذا جاءك المنافقون ، وقتنت في الركعة الثانية وانحط ساجدا ، ونسي أن يركع ، فصاح به علي بن الوليد قاضي عسكر جوهر: بسطت الصلاة ، أعد ظهرا أربع ركعات. ثم أذن بحي علي خير العمل في سائر مساجد العسكر ، وأنكر جوهر على عبد السميع أنه يقرأ البسملة في كل سورة ، ولا قراها في الخطبة فصلى به الجمعة الأخرى ، وفعل ذلك ، وكان عبد السميع قد دعا لجوهر في الخطبة ، فأنكر جوهر عليه ، ومنعه من الدعاء له .

وقبض على الأحباس من يد القاضي أبي طاهر وردها الى غيره ، ولأربع بقين منه أذن في الجامع العتيق بحي على خير العمل ، وجهروا فيه بالبسملة في الصلاة ، وكانوا لا يفعلون ذلك بمصر ، وأمر في المواريث بالرد على نوي الأرحام ، وأن لا يرث مع البنت أخ ولا أخت ولا عم ولا جد ولا ابن أخ ، ولا ابن عم ، ولا يرث مع الولد ذكر كان أو أنثى الا الزوج والزوجة والأبوان والجدة ، ولا يرث مع الأم الا من يرث مع الولد .

وخاطب أبو الطاهر القاضي القائد جوهر في بنت وأخ وأنه قد كان حكم قديما للبنت بالنصف وللأخ بالباقي ، فقال: ما أفعل ، فلما ألح عليه قال: يا قاضي هذه عداوة لفاطمة عليها السلام ، فأمسك أبو الطاهر ولم يراجع بعد ذلك ، وأشار الشهود على القاضي أبي الطاهر أن لا يطلب الهلال لأن الصوم والفطر على الرؤية قد زال ، فانقطع طلب الهلال وصام القاضي في هذه السنة مع القائد جوهر كما يصوم ، وأفطر كما يفطر .

ولسبع عشرة خلت من جمادى الآخرة أنفذ جوهر ابنه جعفر بن جوهر بهدية الى المعز فيها تسع وتسعون بختية ، وإحدى وعشرون قبة بأجلة الديباج المنسوجة بالذهب ، ومناطق الذهب المكللة

بالجوهر ، ومائة وعشرون جملا عرابيا ، وستة وخمسون
جلا ، وثمانية وأربعون فرسا عليهما اجلة (١٠٣) الديباج
المنقوش ، والسروج على جميعها اصناف الحلية من الذهب ، ومنها
ماهو من الفضة مموه بالذهب ، ولجمها منها ماهو بالذهب ومنها
ماهو بالفضة مموه بالذهب ، وعودان عظيمان من عود كأطول
مايكون من الصواري كان جوهر قد وجدتهما فيما وجد لنحرير
الأزغلي ، وأنفذ مع الهدية جماعة من قواد الاخشيدية ، وقواد
الكافورية ، ومن أنفذه جعفر بن فلاح من الشام وهم : الحسن بن
عبيد الله بن طغج ، وجعفر بن غزوان صاحب القرامطة ، وفاتك
الهنكري ، والحسن بن جابر الرياحي - كاتب الحسن بن عبد
الله - ونحرير شويزان ، ومفلح الوهباني ، ودري الخازن ،
ودرامك ، وقيلغ التركي الكافوري ، وأبو منجل ، وجكل
الاخشيدي ، وفرج العجمكي ، ولؤلؤ الطويل ، وفنك الخادم ،
فخرجوا في القيود وساروا إلى رشيد ففكت قيودهم هناك ، وأركبوا
المحافل في البر إلى القيروان .

ومنع جوهر من (١٠٤) الدينار الأبيض ، وكان بعشرة دراهم ،
وأمر أن يجعل الدينار الراضي ، وهو الذي عليه اسم الخليفة الراضي
بالله - هو محمد بن المقتدر العباسي - بخمسة
عشر (٣١٠ - ظ) درهما ، والدينار المعزي بخمسة وعشرين
درهما ونصف ، فلم يرض الناس بذلك فردد الأبيض إلى ستة
دراهم ، فتلف بعد ذلك إلى آخر الدهر ، وافتقر خلق كثير .

وضرب أعناق عدة من الأخشيدية والكافورية ، وصلبهم عند
كرسي الجسر ، فأقاموا إلى أن دخل المعز إلى مصر .

وفي ذي الحجة أنفذ عسكريا وعشرين حمل مال وأحمال متاع إلى
الحرمين بمكة والمدينة .

وفي المحرم سنة ستين وثلاثمائة اشتدت الأمراض والوباء بمصر
والقاهرة ، ومنع جوهر من بيع الشواء إلا بعد سلب الغنم ، وكان
يباع مسموطا بجلده .

وفي جمادى الآخرة نقل مجلس المظالم عن يوم السبت إلى يوم الأحد وأطلق لأصحاب الراتب ألف دينار فرقت فيهم .

وورد الخبر بقدم الحسن بن أحمد الأعصم القرمطي (١٠٥) إلى دمشق وقتل جعفر بن فلاح واستيلاء القرامطة على دمشق وقصدهم مصر ، فتأهب جوهر لقتالهم ، وحفر جوهر خندقا ، وعمل بابين من حديد وبنى القنطرة على الخليج ظاهر القاهرة ، وحفر خندق السري ابن الحكم ، وفرق السلاح على العساكر فوجد رقاعا في الجامع العتيق فيها التحذير منه ، فجمع الناس ووبخهم فاعتذروا له فقبل عندهم ، ونزل القرامطة عين شمس في المحرم سنة إحدى وستين فاستعد جوهر وضبط الداخل والخارج .

وفي مستهل ربيع الأول التحم القتال بين القرامطة وبينه على باب القاهرة ، فقتل من الفريقين جماعة وأسر كثير ، ثم استراحوا في ثانيه ، والتقوا في ثالثه فاقتتلوا قتالا كثيرا قتل فيه ماشاء الله من الخلق ، وانهزم القرمطي يوم الأحد ثالث ربيع الأول ، ونهب سواده ومر على طريق القلزم ، ونودي في مدينة مصر: من جاء بالقرمطي أو براسه فله ثلاثمائة ألف درهم وخمسون خلعة ، وخمسون سرج محلى على دوابها ، وثلاث جوائز .

وقبض جوهر على تسعمائة رجل من جند مصر في ساعة واحدة وقبدهم وسجنهم بالقاهرة في دار ، ووجد عدة ودائع لقواد الاخشيدي فأخذها .

ورفع المعاملة بالدينانير المتقية وهي التي عليها اسم المتقي له ابراهيم بن المقتدر العباسي ، وجعل قيمة الدينار الأبيض ثمانية دراهم .

وأمر الا يظهر يهودي إلا بغيار ، فاعتمد ذلك .

وفي شعبان منها نخل أبو محمود ابراهيم بن جعفر الرملة ، وفيه مرض الشريف أبو جعفر مسلم ، فأرسل إليه القائد جوهر ابنه حسينا لعيادته ، ولتسع خلون من رمضان فرغ القائد جوهر من بناء

الجامع بالقاهرة وجمعت فيه الجمعة. وفي شوال ابتداء القائد جوهر بحفر الخندق بالقرافة ، وبدايته من بركة الحبش (١٠٦) والقى الأموات حتى تلقى (١٠٧) إلى قبر الشافعي فعدل به عنه ثم شق مشرقا إلى الجبل على المقابر إلى قبر كافور الاخشيدي ليحفظ طريق مصر من السفح حتى لايرد أحد من القلزم .

وفي ربيع الآخر سنة إثنيتين وستين وثلاثمائة تواترت الأخبار بقدوم المعز لدين الله إلى مصر ، فتأهب جوهر وأخذ في عمارة القصر ، وفي أول رجب تقدم إلى الناس بلقاء المعز ، فخرجوا في ثامنه ، وقدم المعز في سابع رمضان فنزل قصره من القاهرة ، وجلس على سرير الذهب في الايوان وجوهر قائم بين يديه يقدم الناس قوما بعد قوم حتى انقضى السلام ، ومضى وأقبل بهدية وهي : من الخيل مائة وخمسون فرسا مسرجة ملجمة منها بذهب ، ومنها مرصع ومنها بعنبر ، وإحدى وثلاثون ناقه من البخاتي عليها قباب بالثياب والديباج والمناطق والفرش ، منها تسعة بديباج مثقل ، وتسع نوق مجنوبة مزينة بمثقل ، وثلاثة وثلاثون بغلا منها سبعة مسرجة ملجمة ومائة وثلاثون بغلا للحمل ، وتسعون نجيبا ، وأربعة صناديق مشبكة (٣١١ - و) يرى مافيها ، وتحوي على أواني ذهب وفضة ، ومائة سيف محلى بذهب وفضة ، وتسعمائة ما بين سنفط وتخت فيها سائر ما أعده من ذخائر مصر .

ولما خطب المعز يوم العيد كان جوهر معه على المنبر ، وخلع عليه في سابع شوال خلعة مذهبة وعمامة حمراء ، وقلده سيفا ، وقاد بين يديه عشرين فرسا مسرجة ملجمة ، وحمل بين يديه خمسين ألف دينار ومائتي ألف درهم ، وثمانين تخت ثياب ، وكان إذا ركب المعز سار خلفه ، واستقر خليفة للمعز بديار مصر محكم في القاهرة ومصر ، ثم صرفه عن الخراج في سادس عشر المحرم سنة ثلاث وستين ، فكانت مدة تدبيره أمور مصر أربع وعشرين يوما ما صدر عنه فيها بخطه توقيع ملحون .

وأقام بالقاهرة حتى مات المعز في ربيع الآخر سنة خمس وستين

واستخلف بعده ابنه العزيز بالله أبو منصور نزار ، فانتدبه إلى الخروج إلى الشام ، وحمل إليه خزائن السلاح والأموال ، وسار من القاهرة في عسكر لم يخرج إلى الشام قبله مثله ، بلغت عدتهم عشرين ألفا ، فبلغ هفتكين (١٠٨) الشرابي وهو على عكا مسير جوهر ، والقرامطة على الرملة ، فولت القرامطة منهزمين عجزا عن مقاومته ، وسار هفتكين إلى دمشق وجوهر في إثره إلى أن نزل بين داريا وبين الشماسية ظاهر دمشق يوم الأحد لثمان بقين من ذي القعدة سنة خمس وستين ، وحفر على عسكره خندقا عظيما وجعل له أبوابا ، وبنى البيوت من داخل الخندق ، وكان قد انضم إليه ظالم ابن مرهوب العقيلي ، فأنزله خارج الخندق ، وجمع هفتكين الذعار وحمال السلاح من عوام دمشق ، وقدم عليهم قسام السننات (١٠٩) التراب ، وأجرى له الأرزاق ، وأخرجه إلى قتال جوهر ، فاستمرت الحرب بين جوهر وهفتكين من يوم عرفة ، فجرى بينهم ثنتي عشرة وقعة إلى سلخ ذي الحجة ، ولم تزل الحرب إلى يوم الخميس حادي عشر ربيع الأول سنة ست وستين وثلاثمائة ، فانهزم هفتكين ، وعزم على الفرار إلى انطاكية ، ثم ثبت عندما بلغه قدوم الحسن بن أحمد القرمطي إليه فاستظهر ، وبلغ ذلك جوهر فدعا إلى الصلح ، وكان الشتاء قد هجم عليه وهلك أكثر مامعه من الكراع ، وصار معظم أصحابه رجالا بغير خيل ، وقلت العلوفاست عنده ، واشتد وقوع الثلوج فامتنع هفتكين من إجابته ثم أذعن وأنفذ إلى جوهر بجمال ، ورحل عن دمشق بعدما أحرق ما عجز عن حمله من الخزائن والأسلحة ، وسار يوم الخميس ثالث جمادى الأولى مجدا لخوفه أن يدركه القرمطي ، فهلك كثير من عسكره لشدة الثلج ، وأخذ القرمطي يسير خلفه من طبرية إلى الرملة ، فتحصن جوهر بسزيتون الرملة ، وخرج هفتكين من دمشق ولحق بالقرامطة ، واجتمعوا على قتال جوهر فجرت بينهم حروب طويلة شديدة آلت إلى التجاء جوهر إلى عسقلان وقد فني معظم عسكره ونهبت أثقاله ، فنزل هفتكين عليه وحصره حتى بلغ منه الجهد الشديد ، وغلت عنده الأسعار بعسقلان فبلغ قفيز القمح أربعين دينارا ، وتذكر عليه من معه من الكتاميين واحتقروه وتنقصوه وشتموه ، وكانوا قبل ذلك تخاذلوا ولم

يصدقوا في القتال، وكايدوا القائد جوهر، فضاقت بجوهر ومن معه الأرض، ولأذ إلى الصلح، فبعث إليه هفتكين: إن أردت الخروج بمن معك فإنا أومئك حتى تنصرف إلى صاحبك، فتعاقدوا على ذلك، وصالح هفتكين على مال، وخرج وقد علق هفتكين سيفه على باب عسقلان حتى يخرج جوهر ومن معه من تحت سيفه، فسار (٣١١ - ظ) إلى القاهرة وقد بلغ العزيز ما هو فيه من الجهد، فبرز يريد السفر إلى الشام، فسار معه، وكانت مدة قتال القرامطة وهفتكين لجوهر على الزيتون ظاهر الرملة وعلى عسقلان سبعة عشر شهرا، فلما قدم جوهر على العزيز وبلغه تخالذ الكتاميين غضب من ذلك غضبا شديدا، وعذر جوهر وأظهر أنه قد تذكر له وعزله عن الوزارة وصير مكانه يعقوب بن كلس .

فلما فرغ العزيز من قتال هفتكين وعاد إلى القاهرة لم يزل جوهر بها إلى أن مات يوم الخميس لأحدى عشرة بقية، وقيل بل مات لسبع بقين من ذي القعدة سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة، فبعث العزيز بالله إليه بالحنوط والكفن، وبعث إليه الأمير المنصور بن العزيز، وبعثت إليه السيدة العزيزة أيضا ، فكفن في سبعين ثوبا ما بين منقل ووشي مذهب، وصلى عليه العزيز،

وكان له من الولد: حسين، وحسن، وأبو أحمد جعفر، فأما الحسين بن جوهر فإن العزيز خلع عليه وجعله في مرتبة أبيه، وله ترجمة كبيرة في هذا الكتاب، وأما حسن فإنه مات بالمغرب، وصلى عليه المعز لدين الله في سنة ستين وثلاثمائة، وأما أبو أحمد جعفر فبعثه أبوه من القاهرة إلى المغرب بهدية، وله ترجمة أيضا .

ولما مات جوهر لم يبق شاعر بمصر من أهلها ولا طارئ (١١٠) غريب إلا رثاه، ووصف مآثره وما فتحه من البلاد شرقا وغربا .

جيش بن الصمصامة

القائد ابو الفتح

(من المقفى للمقريري - مجلدة برتو باشا)

قدم الى القاهرة فيمن قدم اليها مع المعز ، وخرج مع خاله ابي محمود ابراهيم بن جعفر بن فلاح الى الشام ، فولاه مدينة دمشق لأيام بقيت في ربيع الآخر سنة اربع وستين وثلاثمائة ، وقتال اهلها فنزل عليها اياما ثم عبر اصحابه الى جهة باب الفرداييس فثار بهم اهل دمشق وقتلوا منهم ، وساروا الى الجيش ففر منهم ، وغنموا ما كان له فاصبح جيش ونازل المدينة ومعه نفاطون فضرب مواضع بالنار وقتل من قدر عليه الى ان اهل جمادى الأولى ، فناصبه الناس وجدوا في قتاله يوما خلف يوم من بكرة النهار الى الليل والى ان صرف ابو محمود عن دمشق بريان الخادم ، وسار الى الرملة فسار معه .

ثم لما قدم هفتكين الشرايبي الى دمشق وملكها بعثه أبو محمود (١١١) في نحو الألفين الى دمشق فسار حتى قرب من سنير (١١٢) وبها شبل بن معروف العقيلي في جمع من العرب فقاتله واسره واسلمه الى هفتكين فاسلمه هفتكين الى الدمستق ملك الروم وهو يومئذ نازل على دمشق ينتظر ما يجيى اليه اهلها من المال ، فما زال عنده حتى رحل عن دمشق بالمال وبزل طرابلس فهلك في طريقه ونجا جيش وصار الى خاله ابي محمود ، وقدم القاهرة فاقام بها الى أن ورد على العزيز كتاب منجوتكين بنزول بسيل (١١٣) ملك الروم على حلب فسيره على عسكر كبير في اول شهر رجب سنة خمس وثمانى وثلاثمائة الى الشام فمات العزيز بعد (٣١٣ - و) قليل وقام من بعده ابنه الحاكم بأمر الله وصرف منجوتكين عن الشام بسلمان (١١٤) بن جعفر بن فلاح ثم عزل سلمان بن جعفر بعد تسعة اشهر بجيش بن الصمصامة.

فسار من القاهرة في تاسع ذي القعدة سنة سبع وثمانين ونزل على دمشق بعدما اقام بالرملة مدة في يوم الجمعة لأربع خلون من رجب سنة ثمان وثمانين وقدم اليه بشارة متولي طبرية وسارا بالعساكر الى فامية يوم الاثنين رابع عشره ، وقد نازلها الروم فقاتلهم قتالا كثيرا قتل فيه من الروم نحو خمسة الاف وانهزم باقيهم في يوم الثلاثاء لتسع بقين من رجب. ومضى جيش الى نحو مرعش يحرق ويهدم، ونزل على انطاكية وبها الروم وقاتلهم اياما، ثم سار الى شيزر وعاد الى دمشق فنزل المزة يوم الثلاثاء لتسع بقين من ذي القعدة ونزل بشارة القصر الذي بدمشق على انه ولي دمشق فقدم الكتاب من مصر باستقرار جيش على اماره دمشق .

وكانت دمشق قد خربت وقل ناسها وضعفوا وثار قوم من الجهال وصاروا يأخذون الخفارة من الناس فكثرت اموالهم ، وركبوا الخيل ومشيت الرجاله بين ايديهم وزاد عجبهم واظهروا انهم تحت طاعة السلطان وفي خدمته ، فأمّنهم جيش ووعدهم بالأرزاق حتى اطمأنوا اليه فقبض عليهم وقيدهم وحبسهم وشد العقوبة عليهم حتى استصفى اموالهم وتتبع من استتر منهم وضرب اعناقهم وصلبهم على ابواب المدينة حتى خلا البلد منهم .

ثم طمع في بقية الناس من اهل المدينة والقرى وجبى منهم الأموال الى ان (١١٥) شمل ضرره الكافة فكثرت الدعاء عليه وهو يطرح الأموال على القرى وعلى اهل المدينة ويعددهم ببذل السيف فيهم .

وبينما هو في ذلك اذ ورد الخبر بمسير الروم اليه في طلب ثارهم بفامية ، فجمع العربان وغيرهم وانزلهم في حرسنا الى القابون ونزل الروم على شيزر وقاتلوا اهلها وملكوها ثم اخذوا مدينة حمص وسبوا وحرقوا ، وذلك في ذي الحجة سنة تسع وثمانين وهي دخلة الروم الثالثة حمص ، ثم ساروا الى طرابلس ونازلوها مدة ، ثم افرجوا عنها وتوجهوا الى الثغور الجزرية فاشتد بأس جيش عند رحيلهم وزاد ضرره لأهل دمشق .

وكان به طرف جذام فتزايد به حتى تمعط (١١٦) شعره ورشح

بدنه واسودت له انحنت سحنة وجهه واد كله ، وبتن جميع جسده
فصار يصيح: ويحكمم اقتلونني اريحوني الى أن هلك (١١٧) يوم
الأحد لسبع خلون من ربيع الآخر سنة تسعين وثلاثمائة ، وكان
مقامه على دمشق ستة عشر شهرا وستة عشر يوما.

ووصل ابنه عبد الله بتركته في جمادى الآخرة ، ودفع درجا الى
زيدان الصقلبي حامل المظلة بخط ابيه جيش يتضمن وصيته وتعيين
ما خلفه مفصلا مشروحا ، وفيه ان ذلك جميعه لأمير المؤمنين
الحاكم بأمر الله . لا يستحق احد من اولاده في ذلك درهما واحدا فما
فوقه وتبلغ قيمة ذلك زيادة على مائتي الف دينار ما بين عين ورحل
ومتاع، فلما مثل ابنه عبد الله بن جيش بحضرة الحاكم قال زيدان:
ان التركة كلها قد حزتها وهي على البغال محمولة تحت القصر
واستأذن الحاكم فيمن يتسلمها فاخذ الحاكم منه الدرج واوصله الى
ابني جيش بن الصمصامة وقال لهما بحضرة اوليائه ووجوه دولته
قد وقفت على وصية ابيكما رحمه الله من عين ومتاع مما وصى به
فخذوه هنيئا مباركا لكم فيه، وخلص عليهما فانصرفا بجميع التركة

الحسن بن الصباح

(من المقفى للمقرئى - مجلة برتو باشا)

الحسن بن صباح ، الرأى ، رءىس الاسماعيلية ، المعروف بالكىال •

كان رجلا شهما كافيا عالما بالهندسة والحساب والنجوم والسحر وغير ذلك • فمال الى دعوة الباطنية ، وصار تلميذا لأحمد بن عبد الله بن عطاش الطبيب • وكتب للرئىس عبد الرزاق بن بهرام بالرئى • فاتهمه أبو مسلم رءىس الرئى بدخول جماعة من المصريين عليه ، فخافه ابن الصباح وخرج من الرئى ، فطلبه أبو مسلم فلم يدركه •

ومضى ابن الصباح فطاف فى البلاد • فقدم الى مصر فى سنة تسع وسبعين وأربعمائة فى زئى تاجر واجتمع بالخليفة المستنصر بالله ، وحدثه فى إقامة دعوته ببلاد خراسان ، فوصله بمال ، وأقام عنده مدة • فبلغه عنه ما أوجب اعتقاله • ثم أخرجوه وأنعم عليه ، وكتب له بخطه جوابا عن مسائل سأله عنها على مذهب الاسماعيلية •

وخرج من القاهرة الى الشام والجزيرة وديار بكر وبلاد الروم • ورجع الى خراسان ودخل كاشغر وماوراء النهر ، وهو يطوف على الناس ويدعو الى المستنصر وينشر الدعوة ببلاد الجبل وقزوين واصبهان حتى شاعت • وسير دعواته ورسله الى بلاد العجم والقئى عليهم مسائلهم التى منها :

لم كانت الأيام سبعة ؟

والبروج اثنى عشر ؟

والسماوات سبعا ؟

والأرضون سبعا ؟

والشهور اثني عشر ؟
وفي كل كف من الانسان خمس اصابع ؟
وفي كل إصبع ثلاثة شقوق ؟
وفي ظهر الانسان اثنتا عشرة خرزة ؟
وفي عنقه سبع خرزات ؟
ونحو ذلك •

• وادعى انه استأثر من إمامه بغوامض علوم وبيديع أسرار •
• وكانت الدعوة الاسماعيلية هناك قديمة فقبلها كثير من الناس •
• واخذ في ابتياع الاسلحة والعدد الحربية سرا • وواعد أصحابه ممن
استجاب له على ليلة عينها لهم من شعبان سنة ثلاث وثمانين
واربعمائة • والسلطان يومئذ ملك شاه بن الب أرسلان • واخذ
قلعة الموت (١١٨) وهي بنواحي قزوين ، ولها بلاد كثيرة بأصبهان
وقلاع عديدة • وكانت قديما قبل الاسلام وفي صدر الاسلام لملوك
الديلم ، وهي من الحصانة والمناعة على غاية ، لا ترقى الهمم الى
بلوغها وتحيط بها بحيرة • فبعث نظام الملك عسكرا الى قلعة الموت
فحصر ابن الصباح الى ان ضاق زرعه بالحصر • فأرسل من قتل
نظام الملك ، فلما قتل رجع العسكر عنه •

ولما ملكها اجتمع باطنية أصبهان ونواحيها مع رئيس دعواتهم
أحمد بن عطاش ، وأخذوا قلعتين عظيمتين فعظم أمرهم وكثر عملهم
بالسكين • وكان أول عملهم بالسكين أن الحسن بن الصباح لما بث
دعوته وصار معه طائفة أظهر التدين والزهادة وقال لأصحاب قلعة
الموت : نحن قوم ضعفاء زهاد نريد عبادة الله عندكم • فبيعونا
نصف هذه القلعة !

فباعوها منهم بتسعة آلاف دينار وسكنوا فيها • فاستولى
عليها ، وبلغ خبره ملك تلك الناحية فقصده بعسكره ليحاربه • فقال
عليه اليعقوبي للحسن بن صباح ولمن معه : أي شيء يكون لي عندكم
إن كفيتمكم أمر هذا العسكر ؟

فقال : نذكرك في تسابيحنا •

فقال : رضيت •

ونزل بهم • وقسمهم أرباعا في أرباع العسكر : وجعل معهم
طبولاً وقال : إذا سمعتم الصائحة فاضربوا الطبول •

ثم هجم على صاحب العسكر في الليل وقتله • فوقع الصياح في
العسكر ، ف ضرب أولئك الطبول ، فلم يثبت العسكر لما ملأ قلوبهم من
الخوف وفروا بأجمعهم وتركوا خيامهم ، فنقلها أصحاب ابن
الصباح الى قلعة الموت •

ومن ذلك الوقت سنوا سنة السكين ، واغتالوا الملوك والرؤساء ،
وكثر قتلهم للناس •

فاستدعي الامام أبو حامد الغزالي الى نيسابور واقام بالمدرسة
النظامية فيها واشتغل بمناظرة أصحاب ابن الصباح والفقير كتاب
« المستظهرى (١١٩) » واجاب عن مسائلهم • وجد السلطان ملك شاه
في قلعهم فلم يتمكن من ذلك •

فلما مات المستنصر بالله في ذي الحجة سنة سبع وثمانين
واربعمائة ، ادعى الحسن بن الصباح انه قال للمستنصر لما كان
عنده : « من الامام بعدك ؟ قال : ولدي نزار » • وانكر إمامة
المستعلي ودعا لنزار بن المستنصر • فلما قتل نزار في ذي القعدة
سنة ثمان وثمانين قال أصحاب ابن الصباح له : إنك تدعي
حضوره •

فقال لهم : الآية في ذلك أن يطلع القمر في غير وقته من غير
مطلعه •

ثم عمد الى جبل بجانبهم شديد الارتفاع • وعمل بعض مخاريقه
فصار يرى كالقمر قد طلع من وراء الجبل • فعند ذلك صار بعضهم
يبشر بعضا بالامام نزار • وأقرفوا (١٢٠) من أهل مصر وشرعوا في
افتتاح الحصون فأخذوا قلاعاً ، واشتغلوا بعمل السكين التي سننها
لهم علي اليعقوبي • وأخذ ابن الصباح يقول لأصحابه : إن الامام
نزارا بين أعداء كثيرة ، والأعداء محيطة به ، والبلاد بعيدة ، ولم

يتمكن من الحضور ، وقد عزم على أن يستخفي في بطن امرأة ويستأنف الولادة ليجيء سالما .

فصدقوه في ذلك ، وأخرج إليهم جارية حبلى وقال لهم : « إن الامام قد اختفى في هذه » . فعظموها حتى ولدت ذكرا وسماه حسنا وقال : قد تغير الاسم بتغيير الصورة .

وفي المحرم سنة ثلاث وخمسمائة سير السلطان محمد بن ملك شاه وزيره أحمد بن نظام الملك الى قلعة الموت لقتال الحسن بن الصباح ، فحصره وهجم عليه الشتاء فعاد بغير طائل .

وفي سنة خمس وخمسمائة ندب ايضا لقتاله الأمير أنوشتكين شيركير صاحب ساوة فملك عدة قلاع للحسن بن الصباح ونزل على قلعة الموت بعساكره ، وأمه السلطان محمد بعدة من الأمراء ، فجدد في قتال الحسن وبني له مساكن يسكنها هو ومن معه . فضاق الأمر على الحسن وقلت الأقوات عنده حتى كان يجري لكل من أصحابه رغيفا وثلاث جوزات في اليوم . فبيناهم في ذلك إذ مات السلطان فرحل العسكر وغنم الحسن ما تخلف عنهم .

ثم إن ابن صباح ندب لقتل الأفضل ابن أمير الجيوش من أصحابه ، فلما قتل في شهر رمضان سنة خمس عشرة وخمسمائة وولي القائد أبو عبد الله محمد بن فاتك المعروف بالمأمون البطانحي وزارة الخليفة الأمر بأحكام الله بعد قتل الأفضل ، اتصل به أن النزارية والحسن بن الصباح فرحوا بموت الأفضل ، وأن أمسالهم امتدت إلى قتل الأمر والمأمون (١٢١) . وقد بعث ابن الصباح رسلا من في مصر من أصحابه بأموال تفرق فيهم .

فضبط حينئذ المأمون أمر مصر ضبطا عظيما حتى قبض على جماعة كثيرة من أصحاب ابن الصباح . وعقد مجلسا بالقصر للنظر في أمر النزارية . وكتب الى الحسن بن الصباح يعظه ويأمره بالرجوع عن القول بإمامة نزار ، فلم يقنع بذلك ، وأقام على دعوتيه الى أن مات بناحية الموت في سنة ثمانى عشرة وخمسمائة

وكان ذا سميت وزهد ، وله اتباع من جنسه .

وقام من بعده بالموت ديلمي يعرف بزرك أميد، وهذه الطائفة
الاسماعيلية يقال لها أيضا الباطنية ، وأصل دعوتها مأخوذ عن
القرامطة •

وأول ما عرف أمرها أنه اجتمع منها ثمانية عشر رجلا يوم العيد
في مدينة ساوة ، وقد فطن بهم الشحنة ، وأخذهم وسجنهم ثم سئل
فيهم فخلى عنهم ، وكان ذلك في سلطنة ملك شاه • ثم إنهم دعوا
مؤذنا من أهل ساوة كان بأصبهان فلم يجبههم فقتلوه فأمر الوزير
نظام الملك بتتبعهم • فأخذ رجل نجار اسمه طاهر وقتل ومثل به
وجرت العامة برجله في الأسواق •

فحزق الباطنية ودسوا على نظام الملك حتى قتلوه بالنجار ، ثم
اجتمعوا في موضع بالقرب من قاين وأخذوا قافلة عظيمة مرت بهم
من كرمان ، وقتلوا سائر من بها إلا رجلا تركمانيا ، فإنه فر إلى
قاين وأعلم الناس فخرجوا إليهم فلم يقدروا عليهم • وعظم أمرهم
واشتدت شوكتهم بنواحي أصبهان ، وصار دعواتهم يسرقون من
قدروا عليه ويقتلونه حتى اتلفوا خلقا كثيرا ، وانتشرت دعوتهم •

ثم إن الفقيه أبا القاسم مسعود بن محمد الخجندي الشافعي
تجرد لهم بمدينة أصبهان ، وجمع الجمع الغفير بالأسلحة وتطلبهم
وأخذ منهم عالما كبيرا ، وحفر لهم أخاديد وأضرمها نارا ، وجعلت
العامة تأتي بالباطنية أفواجا وفرادى وتلقيهم في النار ، وقد أوقفوا
على رأس الأخاديد رجلا سموه مالكا • فقتل منهم خلق كثير في
شعبان سنة أربع وتسعين وأربعمائة •

وكان الباطنية قد اجتمعوا على أحمد بن عبد الملك بن عطاش
والبسوه التاج وجمعوا له الأموال وقدموه عليهم ، مع جهله ، لأن
أباه كان مقدما فيهم • فاتصل بدردار قلعة أصبهان التي بناها
السلطان ملك شاه ، وبقي معه فوثق به الدردار وقلده الأمور • فلما
مات الدردار بعد موت ملك شاه في أيام خاتون الجلالية أم السلطان
محمد بن ملك شاه ، استولى أحمد بن عبد الملك بن عطاش على

القلعة بعده ، ونال المسلمين منه ضرر عظيم من اخذ الأموال وقتل
الأنفس وقطع الطريق والخوف الدائم .



وفي الحسن بن الصباح يقول الشريف أبو يعلى محمد بن محمد
ابن الهبارية العباسي ، وكتب بها من كerman في سنة ست وسمبعين
وأربعمائة إلى امين الدولة أبي سعد ابن الموصلايا نائب الديوان
ببغداد ، فعرضها على الخليفة المستظهر بالله ، وهي :

عز على المنصور والسفاح
ظهور امر الحسن الصباح

يدعو الي ميمونه القداح
بأسن السفاح والرماح

انانم أنت ابا العباس؟

ناحت دعاة القوم في النواحي
فدعوة الصباح كالصباح

قد صرحت بشرها الصراح
قائلة بألسن فصاح :

حي على قتل بني العباس!

فاكثر العالم مستجيب
إلا امره محقق نجيب

بقلبه من خوفهم وجيب
وذاك في هذا الورى عجيب

وكلهم شارب هذا الكأس

لم يبق في ظهورهم خفاء
قد ذهب النفاق والرياء

ولغبوا بالملك كيف شاؤوا
واستذابت للجرة الجماء
إذ غلبت أسد عن الأخيـاس
فالباطل اليوم جهارا ظاهرا
شيطانه للمسلمين قاهر
بكذبه معالن مجاهر
سيفه على العباد شاهر
مفتخر بمكره في الناس
حذار من شرهم حذار
فإنهم كالأسد الضواري
قانية الأنياب والأظفار
ليس لها في الغاب من قرار
شوقا الى العراك والمراس
فنارهم تستعر استعارا
ترمي إليك الجمر والشرار
ترى فراش ضوءها الأعمارا
فاحذر أبيت اللعن ثارا
فهـي بلا أس ولا نحاس
حقرتم الشرار في الرماد
فعاد كالجمـر في الاتقاد
وحره والله في فؤادي
وسائر القلوب والأكباد
قلوب اهل السنة الأكياس
كأننا نبصر ما يكون
إن اللبيب ظنه يقين

هونه قوم وما يهون
والاحتقار لهم جنون
واحزنا ليس لجرحي أس!
إن تم أمر القوم في كرمان
تب إلى الأقطار والبلدان
وانكشفت سريرة السلطان

وجاء بغداد بلا احتباس

نظام الملك أحد أفراد الدنيا

(من بغية الطالب لابن العديم)

وبه توفيقى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحسن بن علي بن اسحق بن العباس أبو علي الطوسي ، الوزير المعروف بنظام الملك ويعرف بخواجه بزرك ، وخواجه بالفارسية الوزير ، وبزرك العظيم ، وزر للسلطان العادل الب أرسلان بن جفري بك ، وقدم معه حلب في سنة ثلاث وستين وأربعمائة حين قدمها محاصرا لها .

ثم وزر بعده لولده السلطان ملكشاه أبي الفتح ، وقدم معه حلب سنة تسع وسبعين وأربعمائة ، وسمع بحلب أبا الفتح عبد الله بن اسماعيل بن الجلي الحلبي ، وروى عن أبي عبد الله بن محمد الطوسي ، وأبي بكر محمد بن يحيى بن إبراهيم المزكي ، وأبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري ، وأبي حامد أحمد بن الحسن الأزهري ، وأبي بكر محمد بن أحمد بن محمد الصفار ، وأبي بكر محمد بن أحمد بن الحسن الطاهري ، وأبوي منصور شجاع بن علي بن شجاع المصقلي الشيباني ، ومحمد بن أحمد بن علي القاضي وأبي نصر علي بن عبد الله الكاغدي ، وأبي بكر أحمد ابن منصور بن خلف المقرئ ، وأبي القاسم اسماعيل بن زاهر الطوسي ، وأبي الحسن علي بن عبد الله بن محمد ، وأبي مسلم محمد ابن علي بن مهر برد الأديب ، وأميرك بن أحمد ، وأحمد بن عبد الرحمن الصائغ ، وأبي عبد الله عبد الرحمن بن عبد الله المذكر ، وأبي الحسن علي بن محمد بن يحيى المرندي ، وغيرهم

روى عنه أبو الفضل محمد بن عمر بن يوسف بن عمر الأرموي ،

وأبو الصمصام (٢٨٥ - ظ) ذو الفقار بن محمد بن معبد الحسيني
وأبو الفتح نصر الله محمد بن عبد القوي اللاذقي ، وأبو نصر
محمد بن محمود الشجاعي ، وأبو محمد الحسن بن منصور
السمعاني ، وأبو القاسم نصر بن نصر الواعظ العكبري ، وأبو
محمد رزق الله بن عبد الوهاب التميمي ، وأبو الفتح محمد بن محمد
ابن عبد الله البسطامي ، وأبو سفيان محمد بن أحمد العبدوسي ، وأبو
بشر مصعب بن عبد الرزاق المصعبي ، وأبو الحسين محمد بن محمد
ابن محمد السهلبي ، وأبو القاسم : علي طراد الزينبي ، واسماعيل بن
محمد بن الفضل الحافظ ، وأبو الفضل محمد بن أبي نصر ابن
المسعودي ، وأبو غالب محمد بن إبراهيم الصيقلبي ، وأبو نصر علي
ابن هبة الله بن ماكولا ، وغيرهم .

وعقد مجلس الاملاء لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وكان وزيراً عادلاً سائساً قيماً بأمور المملكة فاضلاً ، عالماً ، جواداً ،
حليماً ، كثير الصدقة والمعروف ، ووقف عدة مدارس لطلبة العلم ،
وكان كثير المخالطة لأهل العلم ، مكرماً لهم ، حسن الأخلاق .
أخبرنا أبو البركات داود بن أحمد بن محمد بن ملاعب البغدادي
قراءة عليه بدمشق قال : أخبرنا القاضي أبو الفضل محمد بن عمر بن
يوسف الأرموي ، ح .

وأخبرنا أبو عبد الله محمد بن أبي المعالي بن عبد الله بن موهوب
ابن البناء بدمشق قال : أخبرنا أبو القاسم نصر بن نصر الواعظ
العكبري قال : حدثنا صاحب الأجل العالم العادل نظام الملك قوام
الدين غياث الدولة وشمس الملة أتابك أبو علي الحسن بن علي بن
أسحق رضي (٢٨٦ - ١٠) أمير المؤمنين إماماً في يوم الثلاثاء ثالث
عشر المحرم من سنة ثمانين وأربعمائة بالمدرسة ببغداد قال : أخبرنا
الشيخ أبو بكر أحمد بن منصور بن خلف المقرئ بنيسابور قال :
حدثنا أبو طاهر محمد بن الفضل بن محمد بن أسحق بن خزيمة قال
حدثنا أبو العباس محمد بن إسحاق السراج قال : حدثنا قتيبة ابن
سعيد قال : حدثنا مالك بن أنس عن عامر بن عبد الله بن الزبير عن

عمرو بن سليم الأنصاري عن أبي قتادة السلمي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إذا جاء أحدكم المسجد فليركع ركعتين قبل أن يجلس .

أخبرنا أبو هاشم عبد المطلب بن الفضل قال : أخبرنا أبو سعد الروزي قال : أخبرنا أبو الفتح نصر الله بن محمد بن عبد القوي المصيصي بدمشق قال : أخبرنا أبو علي الحسن بن علي بن أسحق الوزير بأصبهان قال : حدثنا أبو عبد الله أحمد بن محمد الطوسي قال : حدثنا أبو عبد الله بن محمد الخازمي قال : حدثنا عبد الله بن عمر بن علك قال : حدثنا عبدان بن محمد الزاهد قال : حدثنا علي بن عيسى قال : حدثنا خلف بن تميم قال : حدثنا عبد الله بن السري عن محمد بن المنكر عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا لعن آخر هذه الأمة أولها ، فمن كان عنده علم فليظهره ، فإن كاتم العلم يومئذ ككاتم ما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم » (٢٨٦ - ظ) .

أخبرنا عمي أبو غانم محمد بن هبة الله بن أبي جرادة بقراءتي عليه قال : أخبرنا والدي أبو الفضل هبة الله بن محمد ، ح .

وأخبرنا أبو هاشم الحلبي قال : أخبرنا عبد الكريم بن أبي المظفر قال : أخبرنا أبو الصمصام ذو الفقار بن محمد بن معبد الحسيني بقراءتي عليه بالموصل قال : أخبرنا أبو علي الحسن بن علي بن أسحق الوزير بأصبهان قال : حدثنا أبو بكر محمد بن يحيى بن إبراهيم المزكي قال : حدثنا أبي قال : حدثنا محمد بن داود بن سليمان قال : حدثني إبراهيم بن عبد الواحد قال : حدثنا وريزة بن محمد الغساني قال : حدثنا الفضل بن محمد عن أبيه عن جده قال : قيل لعبد الله بن عباس : كم تكتب العلم ؟ فقال : إذا نشطت فهو لذتي وإذا اغتممت فهو سلوتي .

قرأت في كتاب زينة الدهر لأبي المعالي سعد بن علي الحظيري الكتبي وذكر نظام الملك وقال : وبلغني أنه كان يقول الشعر ، والذي وقع إلي من شعره ، وهو بديع ، وكان عند كبره يتكئ على عصا :

بعد الثمانين ليس قوة
لهفي على قوة الصبوة

كانني والعصا يكفي
موسى ولكن بلا نبوة

قال الحظيري : وله :

أتذكرها وقد خرجت عشيا
بأتراب لها كالعين رود

فمدت من أصابعها وقالت
خضبناهن من علق الوريد (٢٨٧ - و)

نقلت من مجموع بخط ولد أسامة بن مرشد بن منقذ ، وقال خواجه
بزرگ رحمه الله :

الحيابنا لا شئت الدهر شملكم
ولا نقتم من لوعة البين ما عندي

تحملت لي كلکم شوق واحد
وحملتوني شوق كلکم وحدي

أخبرنا أبو هاشم عبد المطلب بن الفضل قال : أخبرنا أبو سعد
السمعاني قال : قرأت بخط أبي محمد عبد الله بن أحمد بن
السمرقندي : مولده - يعني صاحب نظام الملك - يوم الجمعة
الحادي والعشرين من ذي القعدة سنة ثمانى وأربعمائة .

انبأنا أبو القاسم عبد الصمد بن محمد بن أبي الفضل القاضي عن
أبي محمد عبد الكريم بن حمزة عن أبي نصر علي بن هبة الله بن
ماكولا قال في كتاب الاكمال : بزرگ بفتح الباء ، وبعدها زاي
مضمومة ، ثم راء ساكنة ، فهو نظام الملك قوام الدين غياث الدولة
رضي أمير المؤمنين أبو علي الحسن بن علي بن اسحق يعرف بين
العجم بالبزرگ ومعناه العظيم ، سمع الكثير ، وحدث ، وأملی
بخراسان جمعا ، وبالثغور ، وبقوهستان وغيرها من البلاد ،

وسمعت منه إملاء بالري ، وسمعت منه بنواحي خت ، وبقرأة غيري
وكان ثقة ، ثبتا ، متحريرا ، فهما ، عالما (١٢٢) .

وقال ابن ماكولا في موضع آخر من الكتاب المذكور : اما نظام فهو
نظام الملك ، قوام الدين ، غياث الدولة (٢٨٧ - ظ) وزين الوزراء ،
أبو علي الحسن بن علي بن اسحق ، ولد بطوس ، وسمع الكثير ،
وحدث بمرور ، ونيسابور ، والري ، وأصبهان ، وبغداد ، وجميع بلاد
خراسان ، وبلاد أران وهي جنزه وبرذعة ، وبيلقان ، وسائر البلاد
(١٢٣) . أخبرنا أبو هاشم عبد المطلب بن الفضل قال : أخبرنا أبو سعد
عبد الكريم بن أبي بكر السمعاني قال : الحسن بن علي بن اسحق
ابن العباس الطوسي أبو علي الوزير نظام الملك العالم العادل ، كعبية
المسجد ، ومنبع الجود ، ومعدن الكرم والأفضال ، ذو القلم الماضي ،
واللسان القاضي ، والمعدلة ، والأمانة ، والصلاح ، والديانة ، وكان
صاحب أناة ، وحلم ، ووقار ، وصفح ، وصمت ، وكان مجلسه عامرا
بالقراء والفقهاء ، وأئمة المسلمين وأعلام الدين ، وأهل الخير ،
والستر ، والصلاح ، وصار مثل الكعبة ، يقصده كل أحد من الأقطار
وأمر ببناء المدارس في الأمصار ، ورغب في العلم كل أحد ، سمع
الحديث الكبير ، وأملى في البلاد ، وحضر مجلسه أكثر الحفاظ
والمحدثين ، ورغبوا في السماع منه لعلو رتبته ، وارتفاع درجته .

وأما ابتداء حالته : فإنه كان من أولاد الدهاقين : وأرباب
الضياع بناحية بيهق ، وقصبة الراذكان من نواحي طوس ، قيل أنه
نفي عن والدته رضيعا ، وأن أباه كان يطوف به على المرضعات
فيرضعنه حسبة حتى شرب ولم يدر أحد مكنون سر الله في
(٢٨٨ - و) أمره ، فنشأ ، وساقه التقدير إلى أن علق به شيء من
العربية ، وقاده ذلك إلى الشروع في رسوم الاستيفاء ، فلم يزل الدهر
يعلوه به ، وينخفض حضرا وسفرا ، وكان يطوف في بلاد خراسان ،
ووقع إلى غزنة في صحبة بعض المتصوفين إلى أن تنبه بخته ، وحن
وقته ، ووقع في شغل أبي علي بن شاذان المعتمد عليه ببلخ من جهة
الأمير جفري حتى حسن حاله عند ابن شاذان . وظهر أثر خدمته ،

ولاحث اثار كفايته ، وصار معروفا عند ذي امره ، إلى أن توفي ابو علي بن شاذان ، فذكر انه اوصى إلى الملك الب أرسلان به ، وذكر له كفايته وامانته واستصلاحه لشغله ، فنصبه مكانه ، وصار وزيرا له والحال بعد مستورة ، والدولة مغمورة إلى ان انتهت الدولة الركنية (١٢٤)نهايتها ، وكانت ولاية مرو لالب أرسلان ملكا ، وهو الوزير المتمكن من الامر ، فاتفقت وفاة طغرل بك ، ولم يكن له من الأولاد من ينوب منابه ، فتوجه الأمر إلى الب أرسلان ، وتعين للسلطنة فتحرك عن مرو ، والوزير يرتب أمره ، ويرتب قواعد ملكه حتى زحف الى نيسابور ، والى العراق ، وخطب له على منابر خراسان ، والعراق .

وأرتفع أمر الصاحب . وصار سيد الوزراء ، صافيا له الورد من سنة خمس وخمسين وأربعمائة ، وانقضت ايام فترة المذاهب والرسوم الممقوتة في الدولة الماضية ، وأظهر الله مكنون سره في دولة نظام الملك (٢٨٨ ظ) فجرى له من الرسوم المستحسنة ، ونفي الظلم ، واسقاط المؤن والقسم ، وحسن النظر في أمور الرعية ، وتقدير المعاملات على سنن الانصاف والعدل .

وضبط الأمور ، واستقامت الأحوال ، ورتبت الدواوين أحسن ترتيب ، وتزينت الأقطار بآثار العدل والانصاف ، وكان من اكفى الكفاة والسلطان من أعدل الولاة ، فصفي العيش ، وأطردت التجارات ، واهلت الطرق ، وقل أهل العيث والفساد ، وأخذ الوزير في بذل الصلوات ، وبناء المدارس والمساجد والرباطات وتحصين العمارات بالأوقاف الدارة ، وتزيين المدارس بخزائن الكتب المودعة فيها ، المشتملة على نفاذس الاعلاق ، ثم اسكان البقاع طلبة العلم والمدرسين في كل فن من الفنون ، وكل ذلك من الأسباب الموثقة للملك والبذور .

حتى انقضت النوبة للسلطان الب أرسلان بعد استكمال عشر سنين ، إلى سنة خمس وستين وأربعمائة ، وطلع نجم الدولة الملكشاهية ، وظهرت كفاية نظام الملك بعد تقدير الله في تقرير تلك المملكة ، مع اتفاق الوقعة الهائلة للسلطان عند قصدهم ما وراء

النهر ، وطفاء الخصوم اللد من كل ناحية ، وتزاحم الأولاد المستعدين للملك ، حتى توطدت أسباب الدولة ، واستقام الأمر ، فصار الملك حقيقة لنظامه ورسمه واسما للسلطان ، فما كان له إلا إقامة رسم (٢٨٩ - و) التخت والاشتغال باللهو والصيد ، وكان تحمل إليه الأحمال الجلوبة من الأقطار ، والدهر وسنان ، والسعد جذلان ، والنحاس خزيان ، واستمر على ذلك عشرون سنة اتفقت لهم فيها غزوات إلى الروم ، وظفر منها بطرف الدنيا من الأموال ، والعبيد ، والدواب وغيرها ، ثم نهضت الى الموصل ، وحلب وتلك الديار ، وحركات إلى ما وراء النهر ، وكان في اثناء ذلك ظهور خصوم من الاطراف يتمنون أمانى فلا يدركونها ، ويتحركون عن مواضعهم ، وكانت عاقبتهم تؤول إلى أنهم يتركونها ، وكل ذلك بكمال كفاية نظام الملك ، وتمهيد القواعد ، وبركة أيامه ، وسعادة جده .

إلى أن انتهى الحال الى الكمال ، فما رضيت تلك النوبة المباركة ، والدولة الميمونة إلا وأن تختم بعاقبة تليق بها ، وما كانت إلا الشهادة ، فأدركه قضاء الله في شهر رمضان صائما شهيدا ، ووجيء في الطريق بين أصبهان ومدينة السلام ليلة ، ومضى إلى رحمة الله سنة خمس وثمانين وأربعمائة وما كانت الا زوال بركته وحشمته حتى تغيرت الأمور واضطربت المملكة ، وتشوشت أمور العالم ، ونسيت تلك الرسوم ، وما ركبت بعد سنين آثار تلك النائرة والظن أنها لا تعود إلى مثل ذلك والله اعلم .

قال أبو سعد : سمع بأصبهان أبا مسلم محمد بن علي بن مهر برد الأديب وأبا منصور شجاع بن علي بن شجاع المصقلي ، وبنيسابور أبا القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري وأبا أحمد بن أحمد بن الحسن الأزهري ، وخالقا يطول ذكرهم .

روى لنا عنه عمه الشهيد أبو محمد الحسن بن منصور السمعاني وأبو بشر مصعب بن عبد الرزاق المصعبي بمرو ، وأبو نصر محمد ابن محمود الشجاعى بسرخس ، وأبو الحسين محمد بن محمد بن

محمد السهلقي ببسطام ، و ابو القاسم اسماعيل بن محمد بن
الفضل الحافظ بأصبهان ، و ابو القاسم علي بن طراد بن محمد بن
علي الزينبي ببغداد ، كتب عنه املاء بجامع الرصافة ، و ابو الفتح
نصر الله بن محمد بن عبد القوي اللاذقي بدمشق ، ، و ابو الفتح
محمد بن محمد بن عبد الله البسطامي ببليخ .

اذيانا ابو اليمن زيد الحسن عن ابي منصور بن الجواليقي عن
الخطيب ابي زكريا التبريزي ان فخر الملك بن نظام الملك حدثه ان
والده كان يكتب (٢٨٩ - ظ) للامير ياخر صاحب بلخ ، وفي رأس
كل حول يصادره ، و يأخذ ما معه ، و يقول له : قد سمت ، و يدفع اليه
فرسا و مقرعة ، و يقول : هذا يكفيك ، فلما طال عليه هرب منه ، و لقيه
اصحاب ياخر فأخذوه وهو على فرس بطيء فلقى ركابيا فأعطاه
فرسه ، فقويت نفسه ، و هرب منهم و دخل إلى داود بن ميكائيل ، فلما
راه أخذ بيده ، و سلمه إلى ولده الب أرسلان و قال له : هذا حسن
الطوسي فتسلمه ، و اتخذه والدا ، و دخل ياخر في الحال و قال : هذا
كاتبتي و قد أخذ اموالي ، و كان قد ركب خلفه فقال له داود : لا خطاب
لك معي ، و الخطاب لولدي محمد ، فلم يتمكن من خطابه ، و لما خاطبه
فيه لم يسمح به .

داود بن ميكائيل هو جفري بك ، و محمد ابنه هو الب أرسلان ،
و لكل واحد من الملوك السلجوقية اسمان ، اسم عربي و اسم تركي .
اخبرنا عبد المطلب بن الفضل قال : اخبرنا ابو سعد السمعاني
قال : سمعت ابا منصور علي بن علي بن عبد الله الامين يقول :
سمعت الأمير ابا الحسن العبادي يقول : حين جاءنا نعي نظام الملك
في شهر رمضان سنة خمس وثمانين - قال : كنت بسرخس في
مجلس شيعي ابي علي الفارمذي فقال في اثناء كلامه : وهذا الحسن
سد للفتن ، مشفق على المسلمين ، و كان يشير إليه ، فنظرت فإذا
النظام جالس تحت سريره - ثم قال الأمير العبادي : اخاف بعد
قتله ظهور (٢٩٠ - و) الفتن ، فان الشيوخ قال : هو سد للفتن .

اخبرنا عبد المطلب قال : اخبرنا ابو سعد بن ابي بكر بن ابي

المظفر قال : قرأت بخط والدي رحمه الله : سمعت الفقيه الأجل أبا القاسم يعني عبد الله بن علي بن اسحق أخا نظام الملك يقول : كان أخي نظام الملك يملي بالري ، فلما فرغ قال : إني أعلم اني لست أهلاً لما اتولاه من هذا الاملاء ، لكني أريد أن أربط نفسي على قطار بغلة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال : قال والدي رحمه الله ، وسمعته - يعني الفقيه الأجل - يقول : سمعته - يعني نظام الملك - يقول : مذهبي في علو الحديث غير مذهب أصحابنا ، انهم يذهبون إلى أن الحديث العالي ما قل رواته ، وعندني : إن الحديث العالي ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وان بلغت رواته مائة .

قرأت بخط الحسن بن جعفر بن عبد الصمد بن المتوكل ، وانبأنا به الحسن بن المقير عنه ، قال : حدثني الشيخ الامام أحمد بن محمود بن ابراهيم الضرير الأزجي المعروف بابن الصياد صاحب الشيخ أبي سعد المعمر بن علي بن المعمر الواعظ المعروف بابن أبي عمارة قال : سمعت من لفظ الشيخ الحسن بن علي بن اسحق ، نظام الملك ، وفي سنة ثمانين واربعمائة ، قصد الناس نظام الملك ، واستجدوه ، وكثر عليه الناس والشعراء ، فلم يرد أحدا ممن قصده ، حتى قيل أنه لما خرج إلى (النهروان) تقدم بأن يثبت ما خرج منه (٢٩٠ - ظ) مدة قبل مقامه ، فكان مائة ألف ونيّف وأربعين ألف دينار .

أخبرنا أبو هاشم بن أبي المعالي الحلبي قال : أخبرنا عبد الكريم بن محمد بن منصور قال : وقرأت بخط والدي : سمعت الفقيه الأجل يعني أبا القاسم عبد الله بن علي بن اسحق يقول : كنت بمكة واردنا الخروج إلى عرفات ، فأخبرني رجل أن انسانا من الخراسانية مات في بعض الزوايا ، وأنه انتفخ وفسد ، ولزمني القيام بحقه لما ادبت من الأمانة إلي فيه ، فتمكثت لذلك .

قال : فرأني بعض من كان يآتمنه الصاحب نظام الملك على أمور الحاج فقال لي : ما وقوفك ها هنا والقوم قد ذهبوا ؟! فقلت : أنا

واقف لكذا وكذا ، فقال : اذهب ولا تهتم لأمر هذا الميت ، فإن عندي خمسين ألف ذراع من الكرباس لتكفين الموتى من جهة الصحاح نظام الملك .

أخبرنا أبو هاشم بن أبي المعالي قال : أخبرنا تاج الاسلام أبو سعد السمعاني قال : وكان أكثر ميله إلى الطائفة المتصوفية مع الإيمان بما كانوا يتوسلون به إليه من فنون الرؤيا ، فيقبلهم على ذلك ، ويقربهم ، وينجح حوائجهم ، ويوصل إليهم مآربهم ، ويقضي ديونهم ويدر عليهم الأدرارات والمرسومات .

وحكى عن بعض المعتمدين أنه قال : حاسبت مع نفسي وطالعت الجرائد فبلغ ما قضاه المصدر من ديون واحد من المتنمسين المقبولين عنده في مدة سنين يسيرة ثمانين ألف دينار حمر ، وكان صادقا فيما حكاه .

نقلت من خط عماد الدين أبي عبد الله محمد بن محمد بن حامد الكاتب ، وأنبأني عنه أبو الحسن محمد بن أبي جعفر وغيره ، قال : ومناقب نظام الملك أكثر من أن تحصى ، وحكى من أحضر محاسبة ابن أسمحا اليهودي بإحالاته وتوقيعاته فوجدها في أشهر قد اشتملت على ثلاثين ألف دينار ، ليس فيها توقيع إلا لفيقه ، أو فقير أو شريف ، أو لرجل من أهل بيت (٢٩٠ - و) .

أخبرنا أبو هاشم قال : أخبرنا أبو سعد قال : سمعت أبا الفضل مسعود بن محمود الطرازي ببخارى يقول : سمعت شيوخنا الحسن بن الحسين الأندقي يحكى عن عبد الله السماوي أنه قال : كان الوزير نظام الملك استأذن السلطان ملك شاه في سفر الحج ، فأذن له ، وكان ببغداد ، فعبر الدجلة ، وعبروا بالقماشات والآلات ، وضربت الخيام على شط الدجلة ، فكنت أريد أن أدخل إليه يوما ، فرأيت على باب الخيمة واحدا من الفقراء يلوح من جبينه سيماء القوم ، فقال لي : يا شيخ أمانة توصلها إلى الصحاح ، قلت نعم ، فأعطاني رقعة مطوية ، فدخلت ، ولم أنشر الرقعة ، وما نظرت فيها ، وحفظت الأمانة ، فوضعت الرقعة بين يدي الوزير فنظر فيها ، فبكى

بكاء كثيرا حتى ندمت ، وقلت في نفسي : ليتني كنت نظرت فيها ، فإن كان شيء يسوءه ما دفعته اليه ، ثم قال لي : يا شيخ ادخل علي صاحب الرقعة ، فخرجت فلم أجده ، فطلبتة فلم أظفر به ، فأخبرت الوزير اني لم أجده ، فدفع إلي الرقعة ، فإذا فيها : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام ، وقال لي : اذهب الى الحسن وقل له اين تذهب إلى مكة ، حجك ها هنا أما قلت لك أقم بين يدي هذا التركي واغث أصحاب الحوائج من امتي ؟ فرجع النظام وما خرج .

قال : وكان يقول لي الوزير مرات : لو رأيت ذلك الفقير حتى نتبرك به ، فرأيته يوما على شط الدجلة وهو يغسل (٢٩١ - ظ) خريقات له ، فقلت له : إن صاحب يطلبك ، فقال : ما لي وللصاحب كانت عندي أمانة فأبيتها .

قال أبو سعد : وعبد الله الساجي هو عبد الله بن حسنويه بن اسحق الساجي من أهل ساوة ، نفق سوقه على الوزير نظام الملك حتى أنفق عليه وعلى الفقراء بإشارته واقتراحه في مدة يسيرة قريبا من ثمانين ألف دينار حمر .

قرات بخط أبي غالب عبد الواحد بن مسعود بن الحصين وانبأنا عنه صديقنا ورفيقنا الحافظ أبو عبد الله محمد بن محمود بن النجار قال : وفيه - يعني محرم سنة خمس وثمانين وأربعمائة - مرض نظام الملك ، فلم يداو نفسه بغير الصدقة فعوفي .

أخبرنا أبو هاشم بن الفضل العباسي قال : أخبرنا أبو سعد عبد الكريم بن محمد السمعاني قال : وأما ميله - يعني نظام الملك - إلى أهل العلم ، ورغبته في أولي الفضل فهو أنه لا يخلو مجلسه عنهم في أي قطر كان ، وكان بابهم مجمع الأفاضل من الفقهاء للمناظرة بين يديه ، والشعراء والمترسلين يعرضون بضائعهم عليه ، فيقابل كل أحد بما يليق به من خلعة أو صلة . أو إدرار على قدر حاله .

قال : سمعت أبا محمد عبد الله بن محمد بن حماد الطحان بقاسان يقول : سمعت عبد الله بن هرون البزاز يقول : كان نظام الملك في مجلس الشيخ أبي علي الفارمذي ، فبكى حتى ابتل ثيابه ،

فقال له : لا تبك كي ترشوي (٢٩٢ - و) يعني تصير ثيابك مبلولة :
ثم قال بعد ساعة : لو كانت الدنيا بحذافيرها لانسان وانفقتها في
المصالح وسبل الخير لا يصل إلى الله بها ، ثم قال بعد ساعة : ينتقل
من الدست إلى موضع الحساب ، وقال بالفارسية : اربيكشاه
بحساب كاهت خواهند برد (١٢٥) .

وقال أبو سعد السمعاني : سمعت أبا البركات اسماعيل بن أبي
سعد الصوفي ببغداد مذاكرة يقول : سمعت محمد الأصبهاني ، وكان
مختصا بنظام الملك ، قال : كان النظام اذا دخل عليه الأستاذ أبو
القاسم القشيري ، والامام أبو المعالي الجويني يقوم لهما ويجلس في
مسنده كما هو ، واذا دخل عليه أبو علي الفارمزي يقوم اليه ويجلسه
في مكانه ، ويجلس بين يديه ، فقال لي أبو المعالي الجويني يوما ، قل
للصدر عني : يدخل عليك الأستاذ أبو القاسم وهو إمام في كذا وكذا
علم ، لا تكرمه هذا الأكرام الذي تكرم به هذا الشيخ يعني أبا علي
الفارمزي !؟

قال محمد الأصبهاني : وفي ضمن هذا الكلام تعريض بنفسه
أيضا ، فاعتذرت خلوة من النظام وقلت يا مولانا إمام الحرمين قال
لي : كذا على كذا ، وحكيته له ما قال لي ، فقال النظام : هو وأبو
القاسم القشيري وأمثالهما اذا دخلوا علي يقولون لي أنت : كذا
وأنت كذا ، ويثنون علي ويطرونني بما ليس في ، فيزيدني كرمهم
عجبا وتيها في نفسي ، واذا دخل علي هذا الشيخ - يعني أبا علي
الفارمزي - (٢٩٢ - ظ) يذكر لي عيوب نفسي وما أنا فيه من
الظلم ، فتتكسر نفسي وارجع عن كثير مما أنا فيه ، ذكر لي هذا او
معناه ، فإني كتبتة من حفظي .

وقال السمعاني : قرأت في بعض مسودات والدي رحمه الله
بالري بخطه : سمعت : الفقيه الأجل أبا القاسم عبد الله بن علي بن
اسحق يقول : سمعت الصاحب نظام الملك يوصي ابني ويقول : انك
شرعت في أمر - يعني الفقه - فلا تقنع فيه بالاسم ، واذا تناهيت
فيه فلا تغرر بنفسك ، وابقن أن ما لا تعلم أكثر مما تعلم ، ثم حكى

الصاحب أن الامام ابا حامد الغزالي الصوفي كان رحل إلى ابي نصر الاسماعيلي بجرجان ، وعلق عنه ، ثم رجع الى طوس ، فقطع عليه الطريق ، واخذ تعليقه ، فقال لمقدم قطاع الطريق : ردوا علي تعليقتي ، فقال : وما التعليقة ؟ قال : مخرلة فيها كتب علمي ، وقصصت عليه قصتي ، فقال لي : كيف تعلمت وانت تأخذ هذه المخرلة تتجرد من علمك ، وبقيت بلا علم ! فردها علي ، فقلت : هذا مستنطق انطقه الله ليرشدني لأمري ، قال : فدخلت طوس ، واقبلت على أمري ثلاث سنين حتى تحفظت جميع ما علقته ، فصرت بحديث لو قطع الطريق لا أحرم علمي .

قال ابو سعد : قرأت في كتاب سر السرور لصديقنا القاضي ابي العلاء محمد بن محمود الغزنوي أن نظام الملك كان في بعض أسفاره إذ صادف راجلا في زي (٢٩٣ - و) العلماء قد مسه الكلال ، واضجره التعب ، فقال له نظام الملك : ايها الشيخ أعيبت أم أعيبت ؟ فقال الرجل : أعيبت يا مولانا فتقدم إلى حاجبه ليقرب إليه بعض الجنائب ويصلح من شأنه ، واخذ في اصطناعه ، وانما اراد ليمتحن فضله وعلمه باللغة ، فان عبي في اللسان واعبي في المشي .

قال : وذكر انه ولى رجلا قضاء سرخس فلم يرتض طرائقه فيه فصرفه بأخر وتوسل المعزول بشفاعة بعض الأكابر ، فوقع نظام الملك على ظهر كتاب الشفاعة قلدناه أمرا عظيم الخطر ليوم الفرع الأكبر ، فأنقل وتقاعد عن حسن القيام به ، ولم يبالي بالتفريط في جنب الله ، ألم يعلم انه المقلد لا المخلد !

اخبرنا ابو هاشم قال : اخبرنا ابو سعد قال : سمعت ابا الحسن علي بن احمد بن الحسين البرذي الفقيه قال : سمعت ابا نصر محمود بن الفضل الاصبهاني يقول : سمعت نظام الملك ابا علي الحسن بن علي بن اسحق الوزير برد الله مضجعه يقول : رايت في المنام ابليس في صورة رجل طوال مصفار اللون كوسجا (١٢٦) فلما وقع بصري عليه عرفت انه ابليس ، فقلت : لا حول ولا قوة الا بالله العظيم ، فلم يبرح من موضعه ، فأعدت هذه الكلمة عليه مرات

بصوت ، وأنا اقول في نفسي ما اعجب ذلك ، هذا ابليس ولا يهرب من قول «لا حول ولا قوة إلا بالله العظيم» فكنت في ذلك وأنا رافع صوتي (٢٩٣ - ظ) بها اذ ترآى لي بيت خلف ظهره فدخل . فقلت له : يا لعين انت خلقك الله وامرك بسجدة واحدة ، فخالفته ، حتى لعنك ولعن متابعيك ، وأنا الحسن بن علي بن اسحق امرني بالسجدة فاسجد له كل يوم سجدة ، لا جرم ما من حاجة ارفعها عليه إلا ويستجيبها لي وأنا في كل نعمة وراحة منه ، فقال :

من لم يكن للوصال اهلا
فكل احسانه ذنوب

اخبرنا ابو هاشم قال : اخبرنا ابو سعد قال : قرأت بخط والدي رحمه الله سمعت الفقيه الأجل ابا القاسم عبد الله بن علي بن اسحق يذكر ان صاحب نظام الملك اخاه كان يقول : كنت أتمنى أن يكون لي قلاية خالصة ومسجد أتخذ فيه لطاعة ربي ، ثم بعد ذلك تمنيت أن يكون لي قطعة من الأرض بشربها ، ، أتقوت بريعها ، ومسجد أتخلى فيه لعبادة ربي في جبل ، ثم الآن أتمنى أن يكون لي رغيف كل يوم ، ومسجد أتعبد فيه لربي .

قال ابو سعد : قال والدي رحمه الله وسمعتة يقول : كنت ليلة من الليالي عنده وأنا على أحد جانبيه ، والعميد خليفة على الجانب الآخر ، وبجنب العميد الخليفة فقير مقطوع اليد اليمنى ، قال : فشرفني صاحب المؤاكلة ، وجعل يلحظ العميد خليفة كيف يؤاكل الفقير ، قال : فتنزه خليفة من مؤاكلة الفقير لما رآه يأكل بيساره ، فقال لخليفة : تحول (٢٩٤ - و) إلى هذا الجانب ، وقال للفقير : إن خليفة رجل كبير في نفسه يستنكف من مؤاكلتك ، فتقدم إلي ، وأخذ يؤاكلة .

وقال : قرأت بخط الامام والدي رحمه الله : سمعت الفقيه ابا القاسم عبد الله بن علي بن اسحق الطوسي يقول : دخل اخي نظام الملك على الامام ابي الحسن الداودي وقعد بين يديه . وتواضع له

غاية التواضع . فقال له الامام ابو الحسن : ايها الرجل إن الله سلطك على عبيده . فانظر كيف تجيبه إذا سألك عنهم .

قلت : هذا ابو الحسن الداودي هو عبد الرحمن بن المظفر بن محمد بن داود بن أحمد البوسنجي كان من العلماء الأبرار ، وهو يروي كتاب البخاري عن الحموي .

قرأت بخط أبي عبد الله محمد بن محمد بن حامد الكاتب ، وأخبرنا أبو الحسن بن أبي جعفر إجازة عنه . قال : وكان نظام الملك من طوس ، وأهل طوس ، يقال لهم في اصطلاح الناس بقصر طوس ، وكان للخزانة صنائع يقال له حسين ، حسن الصناعة في الصياغة ، قال : استدعاني يوما نظام الملك . وقال : أحضر لي قوالب لعمل سخوت ، فأحضرتها له فأول ما وقعت يده على قالب فيه صورة البقر ، وقد كنت غفلت عن الحديث ، فعجل وقال : يا استاذ ما تخلينا من يدك ، فلم يترك الظرف والالطف مع جلالته قدره ، وكبر سنه

أخبرني أبو علي الحسن بن اسماعيل القليلوي بحلب قال : قرأت في بعض مطالعاتي أن الشريف أبا يعلى (٢٩٤ - ظ) بن الهبارية كان له رسم على الوزير نظام الملك فنظم قطعتين من الشعر ، أحدهما يمدحه فيها ويقتضيه رسمه ، والأخرى يهجوها فيها ، وترك الورقتين اللتين فيهما الشعر في عمامته ، وحضر عند نظام الملك ، وأراد أن يدفع إليه الرقعة التي فيها الاقتضاء ، فدفع إليه الأبيات التي هجاه فيها ، وإذا فيها مكتوب :

لاغرو أن ملك ابن اسحق وساعده القدر
وصفا لدولته وخص أبا الغنائم بالكدر
فالدهر كالدولاب ليس يدور إلا بالبقر

يعني بأبي الغنائم تاج الملك ، وكان من أصحاب السلطان ملكشاه ، وكان بين نظام الملك وبينه عداوة .

قال : فلما قرأ نظام الملك الأبيات وقع على رأسها: يطلق لهذا القواد رسمه مضاعفا ، وناوله إياها ، فأخذ ابن الهبارية الرقعة ، فلما

نظرها أخذ يعتذر ، فقال له النظام : لا تقل شيئا ، وخذ الرقعة ،
وامضي إلى الديوان ، فمضى وأخذ رسمه
قال : إن ابن الهبارية هجاه بعد ذلك بقوله :

لايشمخن بأنفه

غير الكريم المفضل

اهون بفقرتي والكلاب

على عيال أبي علي

فأهدر دمه ، ثم عفا عنه ، والقصة قد ذكرناها في ترجمة أبي يعلى بن
الهببارية (١٩٥ - و) ، وقيل إن الأبيات الرائية للأبيوردي ،
والصحيح أنها لابن الهبارية .

قرات بخط عبد المنعم بن الحسن بن اللعيبية في دستور جمعة قال
الفقيه الأبيوردي يهجو خواجا بزرك وزير السلطان ملك شاه رحمه
الله ، وهو الوزير أبو علي الحسن بن اسحق :

لا غرو أن وزر ابن اسحق وساعده القدر

وصفت له الدنيا وخص أبو الغنائم بالكر

فالدهر كالدولاب ليس يدور إلا بالبقر

ولما تمت هذه الأبيات إلى الوزير رحمه الله استدعى الأبيوردي
وكانت أيديه عنده جمعة ، وله عليه رسوم في كل سنة لها قيمة كبيرة ،
فلما مثل بين يديه قال له : يا هذا بسم استوجبن منك أن تهجوني
تعصبا بعدوي علي ؟

وهذا أبو الغنائم الذي ذكره هو تاج الملك عدو الوزير ، فأذكر أن هذا
شعره ، فقال له الوزير : إن لزمنا الإنكار أضرت من أنشدنيها ،
فواقفك عليها ، ومع هذا فأنت تعلم مالي عندك من الأيادي التي لا
تذكر ، وما كنت تسألني فيه من الحوائج التي تؤخذ عليها الأموال
مع الرسوم ، فلاذ الفقيه بالعدر ، واعترف أنها من جملة غلطاته التي
لا تستقال ، وعتراته القبيحة ، فقال له الوزير : لا شك أن الرسوم

التي لك لا تكف و لا تكفي ، وقد تقدمت باضعافها لك ، فساقتبضها ولا تغلظ بعد ذلك .

ونقلت من خط العماد الكاتب أبي عبد الله محمد بن محمد بن حامد وذكر شعرا (٢٩٥ - ظ) ... العجم فيه - يعني في نظام الملك - : إن الله أقام الأرض على قرن ثور وملكها الثور

أخبرنا أبو هاشم الصالحي قال : أخبرنا عبد الكريم بن أبي بكر المروزي قال : أنشدني كيخسره بن يحيى بن بساكير الفارسي من حفظه أملاه علي قال : أنشدني أبو زكريا يحيى بن علي التبريزي للسيد العلوي البلخي :

تولى الأرض اعجاز لئام
وباد سوائف كرمت وهاموا (١٢٨)

كذاك الدور إن خربت وأقوت
تولاهن أصداء وهام

قال عبد الكريم : قال لي كيخسره بن علي : قال لي أبو زكريا التبريزي : قال السيد البلخي لما أفضت الوزارة إلى نظام الملك في حقه ، فلما بلغ البيتان إليه أرسل بي إليه ، واستأذن في زيارته ، فأذن فزاره وحمل معه بمائة ألف درهم أغراضا ودنانير ، واعتذر إليه وكأنه هجاء بهذين البيتين ، ثم تعاهدا على أن يعود علي شغله في الاستيفاء فوفيا بالعهد إلى أن مات .

أخبرنا أبو هاشم قال : أخبرنا أبو سعد قال : سمعت محمد بن يحيى بن منصور الجنزي الإمام يقول : سمعت في حياة والدي رجلا يقول : أقام والدي في حجرة النظام الوزير ثلاثة أيام بلياليها ما أكل فيها ولا شرب ، وكان الفراش قد نسي أن يقدم له شيئا إلى أن تنبهه النظام لذلك ، فقام بنفسه وحمل إليه الطعام بنفسه .

قال الإمام محمد بن يحيى : فحكيت هذه الحكاية لوالدي . فسكت .
قرات بخط أبي الحسن علي بن مرشد بن علي بن منقذ

(٢٩٦ - و) في تاريخه قال : حدثني ابي عنه - يعني نظام الملك - قال : كان رجلا يصوم الدهر ، وله في اصبهان اربع نسوة يعمل له في كل دار طعام ولأصحابه ومن يكون عنده بقيمة وافية ، فأني دار أراد ان يجلس بها كان الطعام الكثير معدا له - كما قال - : عشرة رؤوس غنم مشوية ، وعشرة ألوان وعشرة جامات حلواء .

سمعت القاضي ابا عبد الله محمد بن يوسف بن الخضر الحنفي قاضي العسكر رحمه الله ، وقد جرى ذكر نظام الملك وميله إلى اهل العلم ، يقول : كان نظام الملك يتعصب للشافعية كثيرا ، فكان يولي الحنفية القضاء ، ويولي الشافعية المدارس ، ويقصد بذلك ان يتوفر الشافعية على الاشتغال بالفقه ، فيكثر الفقهاء منهم ويشتمغل القضاة بالقضاء ، فيقل اشتغالهم بالفقه ويتعطلون .

قرأت بخط ابي عبد الله محمد بن محمد بن حامد الكاتب ، وانبأنا عنه ابو محمد عبد الله بن عبد الرحمن القاضي وغيره قال : كان عثمان بن جمال الملك بن نظام الملك رئيس مرو ، وهناك شحنة مرو مملوك السلطان بردي فقبض عليه لأمر جرى منه ، ثم أطلقه ، فجاء مستغيثا ، فنفذ السلطان تاج الملك ، ومجد الملك وجماعة ارباب دولته وقال لهم : امضوا إلى خواجه حسن وقلوا له : إن كنت شريكي في الملك فلذلك حكم ، وإن كنت تابعي فيجب ان تلزم حدك ، وهؤلاء اراندل قد استولى كل واحد منهم على مملكة ، فواحد ببليخ ، وواحد بهراة ، وواحد ببليد كذا ، ثم لا يقنعهم ذلك حتى يتجاوزوا (٢٩٦ - ظ) حدودهم في سفك الدماء ، وقال للأمير بكبرد وكان من خواصه ، كن معهم حتى لا يحرفوا ما يقول .

فأتوا إلى نظام الملك وقالوا له ، فقال : نعم ، قولوا له : أما علم انني شريكه في الملك ، أو ما يذكر حين قتل أبوه كيف قمت بتدبير أمره ، واعلموا ان ثبات القلنسوة معذوق بفتح هذه الدواة ، ومتى اطبقت هذه ، زالت تيك التي يقر ، فقال له الرسل : قد كبرت يا مولانا وقد ضجرت ، وقد أثر فيك الأمران وعدلا بك عن الرأي الذي ما زالت الآراء معه ، فقال لهم : قولوا للسلطان عني ما أردتم ، فقد

دهمني ما لحقني من توبيخه فلما خرجوا من عنده قالوا : الصواب أن لا نذكر ما قاله ، وعرفوا بكبرد حرمة مكانه ، وسألوه أن لا يخبر بما جرى ، فلم يفعل ، ومضى بكبرد من حاله ، وأخبر السلطان ، وبكر الجماعة فوجدوا السلطان جالسا ينتظرهم فقال لهم : ما قال لكم ؟ قالوا : قال : أنا وأولادي عبيد دولته ، فقال السلطان : لم يقل هكذا ، ثم وقع التدبير في أمره .

وقال : في ليلة السبت عاشر شهر رمضان قتل نظام الملك في نهاوند ، بين نهاوند والسحنة وهو سائر مع العسكر إلى بغداد ، وذلك بعد أن فرغ من افطاره ، وتفرق من كان على طبقه من العلماء والفقراء والأجناد ، وحمل في محفة إلى مضرب حرمه ، فأتاه صبي ديلمي في صورة مستميج أو مستغيث ، فضربه بسكين كانت معه فقتل عليه ، وهرب ، فوقع في عثرة عثرها بطنب خيمة فأدرك (٢٩٧ - و) فقتل ، وركب السلطان ملك شاه إلى مخيم نظام الملك ، وسكن معسكره .

وحكي أن أحد الصالحين قال لنظام الملك وهم في الافطار : رأيت في بارحتنا كأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاك وأخذك فتبعته ، فقال : ارجع أيها الرجل فلهذا أبغي ، فأولها .

نقلت من خط أبي غالب عبد الواحد بن مسعود بن الحصين وأنبأنا به عنه رفيقنا الحافظ أبو عبد الله محمد بن محمود بن النجار قال : وفي ليلة السبت عاشر شهر رمضان - يعني من سنة خمس وثمانين - قتل نظام الملك قوام الدين أبو علي الحسن بن علي بن اسحق رضي الله عنه قريبا من نهاوند وهو سائر مع العسكر في محفة ، فضربه صبي ديلمي في صورة مستميج أو مستغيث ، بسكين كانت معه ، فقتل عليه ، وأدرك فقتل ، وجلس لعزائه عميد الدولة ابن جهير ببغداد .

وفضائله المشهورة في كل مكان وزمان تنوب عن لسان مادحه ، وأفعاله الصالحة من المدارس ، والربط ، والقناطر ، والجسور والصدقات الدارة باقية على الأيام .

وتحدث الناس ان قتل نظام الملك كان برضى من السلطان وتسيير
تاج الملك ابي الغنائم ، و اشارة تركان خاتون لانهم كانوا عزموا على
تشعيث خاطر المقتدي ، وكان نظام الملك يمنعهم من ذلك .

قال ابن الحصين : وبلغني انا ابا نصر الكندري لما عزل عن
وزارة السلطان ، وفوضت الوزارة إلى نظام الملك ، وحبس وسعى
(٢٩٧ - ظ) نظام الملك في قتله ، فلما هم الجلاذ بقتله ، قال له : قل
للووزير نظام الملك : بدس ما فعلت ، علمت الاتراك قتل الوزراء
واصحاب الدواوين ، ومن حفر مغواة وقع فيها ، ومن سن سنة فله
وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة ، ورضى بقضاء الله
المحتوم ، فكان الامر كما قال .

قرات بخط ابي الحسن علي بن مرشد بن علي بن منقذ في تاريخه
قال : سنة خمس وثمانين واربعمئة فيها : قفز باطنية على خواجا
بزرگ ببغداد وهو محمول في محفته التي كان يحمل فيها من ضعفه
وكبره في تاسع شهر رمضان ، فجرحه وحمل الى داره التي ببغداد ،
فجاء السلطان ملك شاه يفتقده ويتوجع له ، فقال له خواجا :
يا سلطان العالم كبرت في دولة ابيك ودولتك ، كنت تمهلت علي فما
بقي من عمري الا القليل ، او صرفتني ولا امرت ان يفعل بي هكذا ،
فاخرج السلطان مصدفا في تقليده ، وحلف له بما فيه انه لم يأمر ،
ولم يعلم ، ثم قال : وكيف استجيز هذا وانت بركة دولتي ، وبمنزلة
ابي : وكان الذي اتهم بذلك متولي الخزانة تاج الملك ابا الغنائم .
قال ابن منقذ : حدثني ابي عنه قال : فمات خواجا ، ومضى
السلطان فمات في العشر الاخير من شوال .

قال : وذكر ان السلطان لما مات اجتمع مماليك خواجا بزرگ ،
وكانوا في سبعة الاف مملوك مزوجين الى سبعة الاف مملوكة ،
فقتلوا تاج الملك على ما ذكر في ترجمة تاج الملك (٢٩٨ - و) .
كذا قال ابن منقذ انه قتل ببغداد وحمل الى داره التي ببغداد . وهو
وهم ، والصحيح انه قتل بقرب نهاوند وهو متوجه الى العراق .
نقلت من كتاب الاستظهار في التاريخ على المشهور تأليف القاضي ابي

القاسم علي بن محمد السمناني قال : في شهر رمضان من سنة خمس وثمانين واربعمائة قتل الشيخ الكبير قوام الدين نظام الملك ابو علي الحسن بن علي بن اسحق رضي امير المؤمنين رضي الله عنه في ظاهر نهاوند وهو سائر الى العراق ، قتله انسان ديلمي غيلة بعد الفطر ليلة الجمعة حادي عشر منه .

وكان مولده في ذي القعدة من سنة ثمان واربعمائة ، وبقي في الامر وزيرا ، وناظرا ، ومشرفا نحو خمسين سنة . وبلغ في الوزارة ما لم يبلغه احد من وزراء الدولتين . وكان يضرب له الطبل والقصاع ثلاث صلوات حضرا وسفرا ، وهو الذي بنى الدولة السلجوقية واسس قواعدها ، وتفتحت الدنيا على يديه . وكان صدوق اللسان جيد الراي كبير النفس حليفا وقورا يصلي بالليل . ويصوم في اكثر الاوقات .

وهو اول وزير بنى المدارس في البلاد . واجرى على المدرسين ، والمتفكة ، والأدباء والشعراء ، وأهل البيوتات ، والرؤساء ، ولم ينظر قط إلى ظهر محروم ، وما قصده أحد في أمر إلا ناله أو معظمه ، فأما الحرمان فلا ، ولم يبق عليه من عظيم الملك غير ما فعله وبناه وخذ به ذكره في العالم ، وفاق به على جميع من تقدم ، رضي الله عنه وأرضاه (٢٩٨ - ظ) وأحسن له الجزاء عني فلقد وصلني في سبع سفرات بألف واربعمائة دينار من ماله ، غير الثياب والنزلة والاقامة ، وأجرى علي من بيت المال سبع مائة دينار وعشرين دينارا في كل سنة ، وولاني قضاء الرحبة والرقبة وحران وسروج وحلب وأعمال ذلك كله ، وخاطبني بالقاضي السيد العالم ، بحر العلماء ، عين القضاة في مكاتبته إلي ، فأحسن الله له عني الجزاء .

وكان يكرم العلماء على اختلاف مذاهبيهم ، وله فضل وكرم وبصيرة بالرجال ، قريب من القلوب ، لا يتشاغل إلا بتلاوة القرآن وسماع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومناظرة الفقهاء بين يديه ، وتقدم في زمانه من لم يكن مقدما من الرجال ، وتأخر من

كان متقدما ، واسترجع الممالك كلها ، وقبضها إلى السلطان .

وهو اول من اقطع البلاد والضياع للعساكر والأجناد ، وكان يرفع لأهل البيوتات بيوتهم وللعلماء علمهم ، وللشعراء شعرهم ، وللأدباء أدبهم ، وللأشراف شرفهم ، وكان أمر الدولة في الزيادة إلى أن شاركه في الراي غيره ، وداخل السلطان سواه ، فهلكت الدولة ، ولم يبق السلطان بعده إلا نيف وثلاثون يوما رضي الله عنه .

ذكر ابو الحسن محمد بن عبد الملك الهمذاني في كتاب عنوان السير في محاسن اهل البدو والحضر وقال : نظام الملك ، ابو علي الحسن بن علي بن اسحق الطوسي ، وزير للسلطان ألب أرسلان ، ولولده السلطان ملك شاه تسعا وعشرين سنة (٢٩٩ - و) وقتل بالقرب من نهاوند في الليلة الحادية عشرة من شهر رمضان سنة خمس وثمانين واربعمائة ، وعمره ست وسبعون سنة ، وعشرة اشهر ، وتسعة عشر يوما ، اغتاله احد الباطنية وقد فرغ من فطوره . وقيل ان السلطان ملك شاه ولف عليه من قتله لانه سأم طول عمره ، ومات بعده بشهر وخمسة ايام .

وتقدم نظام الملك في الدنيا التقدم العظيم ، وافضل على الخلق الافضال الكثير ، وعم الناس بمعروفه ، وبنى المدارس لاصحاب الشافعي ، ووقف عليهم الوقوف ، وزاد في الحلم والدين على من تقدمه من الوزراء ، ولم يبلغ احد منهم منزلته في جميع اموره ، وغير جيحون فوق على العامل بانطاكية ما يصرف الى الملاحين ، وملك من الغلمان الاتراك الوفا عدة ، وكان جمهور العساكر وشجعانهم وفتاكهم من مماليكه .

وتحدث ابو محمد رزق الله بن عبد الوهاب التميمي قال : سألته عن السبب في تعظيمه الصوفية ، فقال : اتاني صوفي وانا اخدم ابن ياخر الامير التركي ، فوعظني وقال : اخدم من تنفعك خدمته ولا تشتغل بمن تاكله الكلاب غدا ، فلم اعرف معنى قوله ، فاتفق ان ابن ياخر شرب من الغد ، واغتبى ، وكانت له كلاب كالسباع تفرس السباع بالليل ، فغلبه السكر وخرج وحده ، فلم تعرفه الكلاب ، فمزقته ،

فعلمت ان الرجل كوشف ، فاننا اطلب أمثاله . (٢٩٩ - ظ) .

اخبرنا ابو القاسم عبد الله بن الحسن بن عبد الله بن رواحة الحموي بحلب ، وابو يعقوب يوسف بن محمود الساسوي بالقاهرة عن الحافظ ابي طاهر احمد بن محمد بن احمد الاصمبھاني نزيل الاسكندرية قال : سمعت صواب بن عبد الله الخصي النظامي ببغداد يقول : قتل مولاي الوزير ابو علي الحسن بن علي بن اسحق شهيدا في رمضان سنة خمس وثمانين واربعمائة ، بقرب نهاوند ، وكان اخر كلامه ان قال : قل للعسكر : لا تقتلوا قاتلي فاني قد عفوت عنه ، وتشهد ومات ، فمضيت انا فاذا هو قتل ، ولو قلت لهم لما قبلوا قولي .

اخبرنا الشريف عبد المطلب بن الفضل قال : اخبرنا الامام تاج الاسلام ابو سعد السمعاني قال : سمعت ابا الفضل محمد بن ناصر ابن محمد بن علي السلامي الحافظ يقول : استشهد ابو علي الحسن ابن علي بن اسحق الوزير وهو متوجه الى العراق بقرية يقال لها سحنة ، في شهر رمضان سنة خمس وثمانين واربعمائة . قلت: وزرت قبره باصبهان .

وقال ابو سعد : قرأت بخط والدي رحمه الله بالري : سمعت الشيخ الفقيه الأجل ابا القاسم عبد الله بن علي بن اسحق يقول : حكى لي بعض من راه - يعني اخاه نظام الملك - في المنام ، فسأله عن حاله ، فقال : لقد كاد أن يعرض علي جميع عملي لولا الحديد التي أصبت بها .

اخبرنا ابو يعقوب يوسف بن محمود بن الحسين بالقاهرة قال : انبأنا الحافظ ابو طاهر احمد بن محمد السلفي قال : سمعت ابا مسلم داود بن محمد بن الحسن القزويني ، بقزوين ، يقول : سمعت (٣٠٠ - ظ) ابا بكر الطحان الصوفي بهمدان يقول : رأى الشيخ ابو عمر عثمان الكرجي الصاحب ابا علي الحسن بن علي بن اسحق الطوسي الوزير في المنام وكأنه في الجنة وهو متزوج بتاج مرصع بالجواهر ، قال : فقلت : بأي شيء بلغت هذه المنزلة ؟ فقال : بفضل الله وحده .

أخبرنا عبد المطلب بن أبي المعالي قال : أخبرنا عبد الكريم بن محمد
قال : أئشدنا أبو مضر طاهر بن مهدي الطبري املاء بنيسابور قال :
وأئشدني أبو عبد الله محمد بن الحسن الأرنزي املاء من حفظه ،
قال أبو مضر: بمرور ، وقال أبو عبد الله: بجبل ترور ، قالوا : أئشدني
شبل الدولة أبو الهيجاء مقاتل بن عطية البكري لنفسه في مرثية نظام
الملك :

كان الوزير نظام الملك لأولوة
يتيمة صاغاها الرحمن من شرف
عزت ولم تعرف الأيام قيمتها
فردها غيرة منه الى الصدف

الحسين بن علي بن ملهم

(من المقفى للمقرئزي - مجلدة برتو باشا)

الحسن بن علي بن ملهم بن دينار العقيلي أبو علي الأمير مكين الدولة وأمينها أحد الأمراء في الأيام المستنصرية ، انتدبه الوزير الناصر للدين أبو محمد الحسن اليازوري للتوجه الى رباح وزغبة بخلع سنوية وانعام كثيرة ليصلح بينهم ، وكانت تنزل بطرابلس المغرب وما والاها ، وقد حدثت بينهما حروب فسار وتلطف حتى تحمل ما بينهما من الديات وازال الضغائن من بيتهما ، وكان رجلا سديدا عاقلا مستحكما الرجحان ، فلما تم له ما اراد من ذلك زاد في اقطاعاتهم وبعثهم على معاندة معز بن باديس صاحب افريقية (٣٧٠ - ظ) حتى ساروا اليه وحاربوه واخرجوه منها ، واخربوا القيروان الى اليوم .

ثم انه لما حدث الغلاء بمصر سنة سبع واربعين واربعمئة جهز ميخائيل متملك الروم بالقسطنطينية مائة الف قفيز غلة الى انطاكية حتى تحمل الى مصر توسعة للناس ، وجهد هدية الهدنة على العادة وهدية سنوية من ماله فتار به الروم وقتلوه ، واقاموا بعده ابن سقلاروس (١٣٠) فمنع من ماله الهديتين والغلة من المسير الى مصر وقال انا انفق ذلك على حرب المسلمين فبلغ ذلك الوزير الناصر للدين ابا محمد الحسن اليازوري فسير مكين الدولة بن ملهم الى اللاذقية في عسكر كبير فحاصرها مدة ، فبعث اهلها الى ابن سقلاروس بما هم فيه ، وكاتب المستنصر في ذلك ، وما الذي اوجبه فاجيب بان المقتضى لهذا تعويق الغلة والهدية ، وطالت المكاتبات بينه وبين المستنصر فبعث الوزير جيشا ثانيا عليه الامير الاسعيد ليث الدولة ، ففتحت اللاذقية ، ووقع العيث فيها ، وجمال ابن ملهم في اعمال انطاكية ، ثم اردفه بجيش ثالث عدته ثلاثة الاف وعليهم الامير موفق الدولة حفاظ بن فاتك ، والامير ابو الجيش عسكر ، ومقادة جميع

الجيش الى الامير مكين الدولة ، فساروا اليه ، واوغل في بلاد
الروم يقتل ويأسر حتى انكى الزكايه البالغة ، وما زال على ذلك حتى
قتل الوزير اليازوري ، فحمل ابن سقلاروس ثمانين قطعة في البحر ،
فحاربت ابن ملهم واسرته ومن معه من اعيان العرب لليلتين بقيتا
من شهر ربيع الاخر سنة خمسين واربعمائة ؛ ثم انه تسلم قلعة
حلب من معز الدولة ابي علوان شمال بن صالح بن مرداس ، وسار
شمال الى مصر فلم يزل بحلب الى ان اخذ المدينة محمود بن نصر بن
صالح في جمادى الاولى سنة اثنتين وخمسين فانحاز الى القلعة ،
وكتب الى مصر يطلب نجدة ، ثم تسلم محمود القلعة في شعبان من
السنة المذكورة .

جناح الدولة حسين

(من بغية الطالب لابن العديم)

حسين ، ويلقب باقي الدولة ، كان تاج الدولة تتش بن الب ارسلان قد ولاه حلب ومكنه فيها ، واستولى عليها حين قتل تاج الدولة ، فلما بلغ خبر قتله رضوان بن تتش ، وكان متوجها الى ابيه عاد الى حلب فسلمها اليه ، وتسلمها رضوان منه . ومن وزير ابيه ابي القاسم ابن بديع في سنة ثمان وثمانين واربعمائة .

انباننا ابو نصر القاضي قال : اخبرنا ابو القاسم علي بن الحسن قال كان بدمشق ، يعني رضوان بن تتش عند توجه ابيه الى ناحية الري ، فكتب اليه يستدعيه ، فخرج اليه ، فلما كان بالانبار بلغه قتله فرجع الى حلب فتسلمها من الوزير ابي القاسم وكان المستولي على امرها باقي الدولة (١٩٧ - ظ) حسين في سنة ثمان وثمانين واربعمائة .

كذا ذكر الحافظ الدمشقي ١٣١ وهو حسين جناح الدولة صاحب حمص اتابك رضوان بن تتش ومدبره ، كان تاج الدولة تتش حين قتل قسيم الدولة اق سنقر وتسلم البلاد ، سلم حمص الى جناح الدولة حسين ، وجعله اتابك ١٣٢ عسكر ولده رضوان ، فلما قتل تاج الدولة تتش كان حسين يدبر امر رضوان وهو صبي بحلب ، فاستشعر جناح الدولة حسين من رضوان فهرب وانفصل عنه ومضى الى حمص ومعه زوجته أم الملك رضوان ، وعند هربه في الليل كسر باب العراق وخرج منه ، وبعد وصوله الى حمص كبس عسكر رضوان على سمرمين ، وأسر ارباب دولته وديوانه ووزيره ابا الفضل ابن الموصل ، ومات صاحب الرحبة زوج امانة بنت قمار ، فخرج جناح الدولة اليها ليأخذها ، فوجد دقاق قد سبقه اليها في سنة ست وتسعين ، فعاد منها ، ونزل نقرة بني أسد ، وخرج اليه رضوان الى النقرة ، واصطلحا واخذه معه الى ظاهر حلب ، وضرب له خياما ،

وأقام في ضيافته عشرة أيام ، ولم يصف قلب أحد منهما لصاحبه ، وسار جناح الدولة حسين الى حمص وأقام بها الى أن نزل يومًا لصلاة الجمعة فهجم عليه جماعة من الاسماعيلية ، تقربا الى الملك رضوان ، لما كان قد تجدد بينه وبينه من الودشة ، وكان حسين رجلا شجاعا باسلا ذا رأي سديد وفيه دين وخير .

أنبأنا أبو الحسن محمد بن أبي جعفر بن علي عن الأمير مؤيد الدولة أسامة بن مرشد بن منقذ قال : وتسلم قسيم الدولة أقر سنقر مدينة حمص ، يعني من خلف بن ملاعب ، وقلعتها ، فلما قتل قسيم الدولة ، قتله تاج الدولة ، وتسلم البلاد ، وسلم حمص الى جناح الدولة حسين ، وهو أتابك عسكر ولده رضوان ، فلما قتل تاج الدولة بالري استشعر جناح الدولة حسين من الملك رضوان ، وانفصل عنه ووصل الى حمص فنزل من القلعة الى الجامع يوم الجمعة للصلاة فلما وصل مصلاه أتاه ثلاثة نفر من عجم (٢٩٧ - ظ) الباطنية في زي الصوفية يستميحونه ، فوعدهم ، فهجموا عليه بسكاكينهم ، فقتلوه رحمه الله ، وقتلوا معه قوما من أصحابه ، وقتلوا وقتل نفر كانوا في الجامع ، من الصوفية العجم بالتهمة وهم أبرياء ، وذلك يوم الجمعة الثاني والعشرين من رجب سنة ست وتسعين وأربعمائة : واختبئ بالبلد ، وخافوا من الافرنج ، فراسلوا شمس الملوك (١٣٣) يلتمسون منه انفاذ من يتسلم حمص وقلعتها قبل أن يخرج إليها ويتسلمها من الافرنج من تمتد اطماعهم ، فتوجه شمس الملوك إليها وتسلمها ، وأحسن إلى اولاد جناح الدولة ، وسار بهم إلى دمشق ، فأقر عليهم إقطاع أبيهم .

قرأت في تاريخ أبي المغيث منقذ بن مرشد بن منقذ ، وفيها ، يعني سنة ست وتسعين وأربعمائة وثب قوم من الباطنية على جناح الدولة حسين فقتلوه وذلك يوم الجمعة ثامن وعشرين رجب ، وكان ذلك من تدبير أبي طاهر الصائغ ، وخدمة للملك رضوان ، واستولى بعده قراجا على حمص .

قرأت في مدرج وقع إلي بالقاهرة بخط العضد مرهف بن أسامة بن

مرشد بن منقذ يتضمن ذكر واقعات وقعت ذكرها على وجه
الاختصار ، قال : سنة ست وتسعين ، يعني وأربعمائة ، فيها قتل
جناح الدولة بحمص في يوم الجمعة •

قلت : وكان قتله في الثاني والعشرين من شهر رجب بتدبير الحكيم
أبي الفتح المنجم الباطني ، ورفيقه أبي طاهر ، وقيل كان ذلك بأمر
رضوان ورضاه ، وبقي المنجم الباطني بعده أربعة وعشرين يوماً
ومات .

اذباننا أبو اليمن الكندي عن أبي عبد الله العظيم ، ونقلته من خطه
قال :

سنة ست وتسعين وأربعمائة فيها قتل الباطنية جناح الدولة بحمص
في الجامع يوم الجمعة ، ستة نفر (١٣٤) ، أحدهم يعرف من أهل
سرمين .

وفيها مات الحكيم العجمي المنجم الباطني بحلب ، (١٩٨ - و) •

حميدان بن حواس العقيلي

(من المقفى للمقريزي - مجلة برتو باشا)

ويقال فيه حمدان ، والأول أشهر • ولي دمشق من قبل العزيز بالله أبي منصور نزار بن المعز لدين الله سنة ثمان وستين وثلاثمائة ، بعد ظفره بهفتكين الشرابي • بعثه إليها في نحو مائتي رجل • وكان قسام إذ ذاك متغلبا على دمشق ، فلم يكن لحميدان مع قسام أمر • ولم تطل مدته حتى وقع بينه وبين قسام ، فأطرده العيارون من أصحاب قسام ، وخرج هاربا من البلد ، فنهبوا داره • وقوي أمر قسام • فجاءت القرامطة جعفر وإخوته ، فنزلوا على دمشق فمنعهم قسام من البلد وعمل على قتالهم فساروا إلى الرملة •

فولي دمشق بعد حميدان أبو محمود •

ويقال إنه ولي دمشق في سنة واحدة ، وهي سنة ثمان وستين هذه ، ظالم ، بن مرهوب العقيلي ، والقرمطي ، ووشاح وحميدان وأبو محمود •

حيدرة بن حسين

(من المقفى للمقرىزى - مجلة برتو باشا)

حيدرة بن حسين بن مفلح ، الأمير المؤيد ، مصطفى الملك ، معز
الدولة ذو الرئاستين ، ابن الأمير غضب الدولة •
ولاه المستنصر بالله إمرة دمشق ، فخرج من القاهرة في مستهل شهر
رجب سنة إحدى وأربعين وأربعمائة وصرف بناصر الدولة أبي عبد
الله الحسن ، ابن ناصر الدولة أبي محمد الحسن بن الحسين بن
حمدان في نصف رجب سنة خمس وأربعمائة •

خلف بن ملاعب

(من بغية الطلب لابن العديم)

خلف بن ملاعب الأشهبى الملقب سيف الدولة ، كان كريما شجاعا ، جبارا ظالما ، يقطع الطريق ، ويخيف السبيل ، وإليه تنسب قبة ابن ملاعب ، وهي حصن دثر في طرف بلد حلب ، بينها وبين سلمية ، وكان في يده حمص وأفامية ، فكتب الولاة بالشام إلى السلطان ملك شاه ، وشكوا إليه خلف بن ملاعب ، فكتب إلى أخيه تاج الدولة تثنى صاحب دمشق وإلى قسيم الدولة أقر سنقر صاحب حلب ، وإلى (٢٢٠ - ظ) بزاق صاحب الرها ، وإلى يحيى سغان صاحب انطاكية . يأمرهم بمحاصرته ، وانتزاع معاقله من يده وحمله إليه .

فاجتمعوا عليه وهو بدمص ، وسبقهم بزاق فلم يمكنه من الخروج من حمص ، فافتتحوا حمص ، وسيروا خلف بن ملاعب في قفص حديد إلى السلطان ملك شاه ، فأطلق حمص لأخيه تثنى ، وحبس ابن ملاعب : وبقي في حسبه إلى أن أطلقته خاتون امرأة السلطان ملك شاه .

فمضى إلى مصر ، إلى الأفضل أمير الجيوش جماعة من أهل أفامية في سنة تسع وثمانين ، وقيل سنة ثمان وثمانين وأربعمائة ، وكان ولأنهم فيها (له) ، والتمسوا منه واليا يكون عليهم ، ووقع اقتراحهم على ابن ملاعب .

فوصل في ذي القعدة من إحدى السننتين ، ودخل أفامية وملكها ، وتجددت وحشة بينه وبين ابن منقذ ، أظنه أبا المرهف نصر ابن علي بن منقذ ، وكان قسيم الدولة أقر سنقر حين فتح أفامية جعله بها ، واتصلت غارات ابن ملاعب على شـيـيزر ، وكفر طاب ، والجسر ، وزحف ابن منقذ إليه ومعه خلق ورجالة ، فظفر بهم ابن ملاعب ، وكان في نفر يسير ، فقتل جماعة وأسر جماعة ، وباعهم أنفسهم ، واستقرت الحال بينهم بعد ذلك . ثم عمل الباطنية حيلة

على القلعة وعليه حتى قتلوه في سنة تسع وتسعين وأربعمائة •

قرأت في تاريخ أبي المغيث منقذ بن مرشد بن علي بن منقذ الذي نزل به تاريخ أبي غالب همام بن المهذب المعري ، قال : سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة فيها : كتب ولاية الشام الى السلطان ملك شاه يشكون مايلقونه من خلف بن ملاعب (٢٢١ - و) بحمص من قطع الطريق ، واخافة السبيل ، فأمر السلطان أن يسير إليه بوزان ، وقسيم الدولة ، وتاج الدولة ، ويغي سغان ، فسبق إليه بزان فنزل قريبا من حمص فكتمه ما يريد حتى بلغ منه غرضا ، ودخل إليه رسوله ، فقال : عاش لك ملاعب ، ثم حضر بزان المدينة ، واجتمع عليها كل من في الشام ، فافتتحت ، وكل من الأمراء المذكورين طلبها ، فكتبوا جميعا الى السلطان فأنعم بها على أخيه تاج الدولة ، وأمر السلطان بحمل خلف بن ملاعب في قفص من حديد الى قلعة أصبهان ، فحمل وحبس بها حتى مات السلطان •

وقال : سنة أربع وثمانين فيها : نزل قسيم الدولة أق سنقر على أقمية وملكها ، وسلمها إلى عمي عز الدولة أبي المرهف نصر بن سديد الملك ، وذلك في شعبان •

أنبأنا أبو محمد بن عبد الله الأسدي قال : كتب إلينا أبو المظفر أسامة بن مرشد بن علي بن منقذ قال : كانت حمص في سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة لسيف الدولة خلف بن ملاعب الأشهبي ، فنزل على سلمية ، وأخذ الشريف إبراهيم الهاشمي فرماه في المنجنيق الى برج سلمية ، وأخذ قوما من بني عمه مأسورين ، فمضى من بقي منهم واستغاثوا عليه بالخليفة والسلطان ملك شاه فخرج أمر السلطان الى أمراء الشام : تاج الدولة تده صاحب دمشق ، وقسيم الدولة صاحب حلب ، وبزان بن الب صاحب الرها ، ويغي سغان صاحب انطاكية ، بالنزول على حمص والقبض على سيف الدولة خلف بن ملاعب (٢٢٢ - ب) وتسييره إليه ، فنزلوا على حمص وحاصروه ، وأخذوه الى السلطان ، فأقام في الحبس إلى أن توفي ملك شاه في شوال سنة خمس وثمانين وأربعمائة ، فأطلقت خاتون امرأة

السلطان : وتسلم قسيم الدولة اى سنقر مدينة حمص وقلعتها ، فلما قتل قسيم الدولة؛ قتله تاج الدولة ، تسلم البلاد ، وسلم حمص الى جناح الدولة حسين .

انبأنا أبو اليمن زيد بن الحسن قال : كتب إلينا أبو عبد الله محمد بن علي العظيم وقال : سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة ؛ وفيها سار الأمير قسيم الدولة ، وبزان وغسيان وتاج الدولة ، ونزلوا حمص وفتحوها من يد ابن ملاعب ، وحملوا ابن ملاعب في قفص حديد الى عند السلطان فلما هلك السلطان ، خلاص ابن ملاعب وصعد الى مصر ، وعاد منها تسلم قلعة أنامية وأقام بها سبعة عشر سنة وقتل .

وقال : سنة أربع وثمانين وأربعمائة ؛ فيها : تسلم الأمير قسيم الدولة قلعة أفامية من يد ابن ملاعب ، وترك فيها بعض بني منقذ ، وعاد الى حلب في العاشر من رجب (١٣٥)

قلت هكذا ذكر العظيم ونقلته من خطه في كتاب في التاريخ جمعه وسماه المؤصل على الأصل المؤصل ، وقال : « وعاد منها، يعني من مصر ، تسلم قلعة أفامية سبعة عشر سنة » ؛ وهذا وهم ، فإن قتل ابن ملاعب ظنه تسع وتسعين وعوده من مصر فيها ، وإن كان أراد ولايته الأولى ، فالكلام غير مستقيم لأنه أخبر (٢٢٢ - و) أنه تسلم قلعة أفامية وأقام بها سبع عشرة سنة وقتل ، وقد خرجت عن يده في سنة أربع وثمانين وأربعمائة ، وقتل سنة تسع وتسعين ، فبقيت خارجة عن يده قبل قتله أربع سنين وثلاثة أشهر ، وكانت أفامية في يد ابن ملاعب مع حمص في أيام أبي المكارم مسلم ابن قريش؛ فأنني قرأت في كتاب العظيم بخطه قال : سنة خمس وسبعين وأربعمائة ، وفيها في صفر حاصر شرف الدولة ابن ملاعب بقلعة حمص ، وفيها عاد شرف الدولة الى حلب ، وقد صالح ابن ملاعب (١٣٦)

قرأت في تاريخ أبي المغيث منقذ بن مرشد الذي نزل به تاريخ ابن المهذب قال : في سنة ثمان وثمانين وأربعمائة ، وفيها ، طلع قوم من

اهل افامية إلى الأفضل يسألونه أن يولي عليهم سيف الدولة خلف ابن ملاعب ، فنهاهم وقال : لاتفعلوا وحذرهم من فسقه ، فقالوا : نحن نجعل عيالنا لنا ليلة وله ليلة ، فسيره معهم ووصل افامية ليلة الأربعاء الثاني والعشرين من ذي القعدة •

قلت : هؤلاء اهل تلك الجبال اكثرهم دهرية درية يستبشون ذوات الأرحام ، ولا يعتقدون تحريم الحرام •

قرأت بخط عمر بن محمد العلمي المعروف بابن حوائج كش الحافظ ، واخبرنا به إجازة عنه أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن الحسن النسابة ، وذكر العلمي انه نقله من خط ابن زريق ، يعني أبا الحسن يحيى بن علي بن محمد بن عبد اللطيف بن زريق ، وكان عالما بالتاريخ ، قال : وقدم الى افامية ، يعني خلف ابن ملاعب ، من مصر سنة تسع وثمانين وأربعمائة ، لأن اهل افامية مضوا الى مصر (٢٢٢ - ظ) يلتمسون واليا يكون عليهم ، ووقع اقتراحهم عليه ، فوصل في يوم الأربعاء الثامن من ذي القعدة ، ودخلها وملكها •

قال : ثم قتل في السادس والعشرين من جمادى الأولى سنة تسع وتسعين ، قتله جماعة وصلوا من حلب من أصحاب ابي طاهر الصائغ القائم بمذهب الباطنية ، بعد موت المنجم المعروف بالحكيم بحلب ، وكانوا من اهل سمرمين ، وقاموا فيها بموافقة رجل داع كان بأفامية يقال له ابن القنج أصله من سمرمين ، واقام بأفامية يحكم بين أهلها ، وقرر ذلك مع أهلها ، واحضر هؤلاء ، ونقب أهلها نقبا في سورها حتى قارب الوصول ، فلما وصل هؤلاء لقيهم ابن ملاعب ، فأهدوا له فرسا وبغلة كانوا أخذوها من افرنج لقوهم في الطريق ، فأعلموه انهم جاءوا بنية الغزو الى بلد الروم ، وباتوا بظاهر الحصن الى الليل ، ودخلوه من ذلك النقب ، ورتبوا بعضهم على دور اولاده لئلا يخرجوا ينجدونه ، وصعدوا ، فخرج إليهم فطعن في بطنه ، فرمى بنفسه من القلة يريد دار بعض اولاده ، فطعن اخرى ، ومات بعد ساعة ، وحين صاح الصائغ على القلة ، ونادى

بشعار رضوان بن تاج الدولة ، ترامى اولاده وخاصته من السور ، فبعضهم قتل ، واخذ اكثرهم فيما بين افامية وشيزر ، وقتلوا ، وسلم الله مصباح ، ووصل الى شيزر واقام عند ابن منقذ مدة ، واطلقه .

ودخل طنكلي إلى افامية عقيب هذا الحادث طمعا في الحصن ومعه اخ لهذا ابن القنج من سمرين (٢٢٣ - و) كان مأسورا ، فقرروا له شيئا ، وعاد عنها ، فوصل بعض اولاد ابن ملاعب الذين كانوا بدمشق ، والذي كان بشيزر فذكروا لطنكلي قلة القوت بها ، فعاد في رمضان فنزل عليها ، فاقام إلى اخر السنة ، وفتحها في الثالث عشر من محرم سنة خمسمائة ، واسر ابن القنج والصايغ ، وعاقب ابن القنج وقتله ، واطلق بعض اهل افامية .

انبأنا أبو الحسن محمد بن أحمد بن علي الفنكي قال : اخبرنا مؤيد الدولة أبو المظفر أسامة بن مرشد بن منقذ الكناني في كتابه ان قوما من اهل افامية من الاسماعيلية عملوا على مالکها وتحيلوا عليه بأن جاء منهم ستة نفر وقد حصلوا حصانا وبغلة وعددا افرنجية وتراسا وزردية وخرجوا من بلد حلب الى افامية بتلك العدة والدواب ، وقالوا لسيف الدولة خلف بن ملاعب - وكان رجلا كريما شجاعا - جئنا قاصدين خدمتك ، فلقينا فارسا من الافرنج ، فقتلناه ، وجئنا إليك بحصانه وبغلته وعدته ، فأكرمهم وانزلهم في حصن افامية ، في دار مجاورة السور ، فنقبوا السور ، وواعدوا الفاميين الى ليلة الأحد الرابع والعشرين من جمادى الأولى سنة تسع وتسعين وأربعمائة ، فطلع الفاميون من ذلك النقب ، فقتلوا خلف بن ملاعب ، وملكوا حصن افامية .

قرأت بخط العضد ابي الفوارس مرهف بن أسامة بن مرشد بن منقذ :

سنة تسع وتسعين وأربعمائة (٢٢٣ - ظ) فيها قفز اهل افامية مع القاضي ابن القنج على سيف الدولة خلف بن ملاعب وقتلوه ، وقتلوا اولاده في الرابع والعشرين من جمادى الأولى .

نقلت من خط أبي عبد الله محمد بن علي العظيبي في تاريخه ،
وأنبأنا به أبو اليمن زيد بن الحسن الكندي ، والمؤيد بن محمد
الطوسي وغيرهما عنه قال : سنة تسع وتسعين وأربعمائة : وفيها :
عمل الباطنية على قلعة افامية ، وقتلوا ابن ملاعب بها غيلة ، وملكوا
القلعة ، فعاجلهم الفرنج ونزلوا عليهم ، وحصروهم بها الى أن
أخذوها (١٣٧) .

خلف بن ملاعب الاشبهى

(من المقفى للمقرىزى - مجلة برتو باشا)

خلف بن ملاعب الاشبهى الكلابى ، الامير ابو منصور ، سيف الدولة
اصله من قبيلة من بنى كلاب يقال لها الاشهب .

استولى على مدنة حمص في ولاية معلى بن حيدرة على دمشق من
قبل المستنصر بالله ابي تميم معد بن الظاهر ، في صفر سنة ست
وستين وأربعمائة فلما صار نصير الدولة بعساكر امير الجيوش من
مصر ، وفتح صور وصيدا ، ونزل بعلبك ، قدم عليه خلف بن ملاعب
ودخل في الطاعة ووجه بابن عمه إلى امير الجيوش ، فقبله ، وبعث
إلى خلف بالخلع والطوق ، فأقام بحمص ، وكان الضرر به عظيما ،
ورجاله يقطعون الطريق في جميع النواحي وكان في صحبته جماعة
من اللصوص ، فشمّل الناس في أيامه مضرة شديدة فلما سار تاج
الدولة تده بن الب أرسلان من دمشق ، ومعه الامير اق سنقر
صاحب حلب ، والامير بوزان صاحب حران ، وعولوا على قصد
مصر ، مضوا إلى حمص وقبضوا على خلف هذا وعلى ولديه ،
وحصل في حيز الامير اق سنقر فبعث به إلى ترکان خاتون الجلالية
زوجة السلطان ملك شاه ، فاعتقله بأصبهان ، ثم أفرج عنه بعد موت
ملك شاه ، فورد بغداد على أسوأ حال .

فاجتمع عليه التجار وادعوا عليه أموالا أخذها منهم فوكل به من دار
الخلافة ، فتوصل القائد علي بن كتاش في إطلاقه وأدى عنه من ماله
ثلاثمائة وخمسين دينارا ، ثم دبر له في الخروج من بغداد فتم له ذلك
ولم يكافئه عنه ، وذهب ما أدى عنه ضياعا ، ومضى إلى مصر فلم
يلتفت إليه ، وأقام بها ومعه اهله وأولاده سنتين .

فكتب القائم بفامية من جهة الملك رضوان بن تدهش إلى المستنصر ،
وكان يميل إلى مذهب المصريين ، يستدعي من يتسلم أقاليمه منه ،
وكانت على حماية الحصانة . فواصل ابن ملاعب السعي في ذلك اليوم ،

ووعده أنه يحارب الفرنج رجاء المثوبة من الله تعالى . وكانت البلاد يومئذ أكثرها معهم ، فأجيب بأنه رجل كافر النعمة مخفر الأمانة لا يملك عنان فرسه فيرى لأحد عليه طاعة ، فقال : أنا أعطي أولادي رهينة وانصرف على السمع والطاعة لكم .

فوقع الاتفاق عليه وقلد أفامية في سنة تسع وثمانين وأربعمائة فلما وصل وتمكن منها خلع الطاعة . فكتبوا إليه يعرفونه حال رهينته وما يحل بولده عند معصيته . فأجاب بأنني متمسك بمكاني مدافع عن تسليمه وانني أوثر أن تطبخوا أولادي وتنفذوا إلي بعض أعضائهم حتى أكله .

فيذبسوا منه وأعرضوا عنه ، وأقام بأفامية على حالته من التخليط ، ومال إليه المفسدون ، وعظم قطع الطريق من جهته ، فاتفق أن استولى الفرنج على سمرين فتفرق من كان بها ، وكانوا غلاة في التشيع ، وصار أكثرهم إلى رضوان متملك حلب ، وفيهم شجاعة وقوة ، والغالب عليهم حمل السلاح ، ومضى قاضيهم أبو الفتح السرميني إلى ابن ملاعب في فريق منهم وأقام عنده وحظي لديه وتقدم تقدما زائدا ، فصار يطلع على سره ويشاوره في أموره ، والقاضي يدبر عليه ويكتب أبا طاهر الصائغ بحلب ، وهو من خواص الملك رضوان ليستخدمه في تدبيرها ويرد إليه النظر في أموره ، فاتفق أن أولاد ابن ملاعب تسللوا من مصر خفية ووصلوا إليه فأخبروه بأن القاضي أبا الفتح السرميني المقيم عنده قد اشتهر عندهم أنه يعمل عليه ويروم الفتك به ، وأشاروا بإبعاده ، فاستدعاه ابن ملاعب فحضر وقد أيقن بالفتك به ومعه مصحف . فلما جلس اعترف بما أولاه ابن ملاعب من الجميل ، وأنكر ما قيل في حقه وحلف بالمصحف على صحة ما يعتقد من جميل ولأنه . وسأله أن يطلقه عريانا إن كان قد داخله فيه شك . فقبل قوله وانخدع له وتركه على حالته .

فأخذ القاضي من تلك الساعة في الجد ، وكتب الصائغ بأن يوافق الملك رضوان على تسيير ثلاثمائة رجل من أهل سمرين وصحبتهم

شيء من خيل الفرنج وبغالهم وسلاح من أسلحتهم . وعرفه مكيدة يفهمها لهم ليقولوها عند حضورهم . ففعل ذلك الصائغ ، وحضر أولئك الخيالة وقالوا : كنا نخدم رضوان وفارقناه على حالة غير مرضية من قلة إنصافه ، وتوجهنا نحو الفرنج فأخذنا منها براءة للأمير إن رضينا له خدما - وقدموا له ما كان معهم من الخيل الفرنجية والبغال والسلاح - فتم ذلك عليه وظنه صحيحا ، واستخدمهم وقربهم وأسكنهم ربض القلعة . فاجتمعوا مع القاضي أبي الفتح على التدبير ، فواعدهم . فلما كانت تلك الليلة طاف العسس كجاري العادة ومضوا وناموا فثار من بالحصن من أهل سمرين ودلوا الحبال إلى الواصلين فرفعوهم . وقام السيف فقتل ابن ملاعب وأولاده ، لأربع بقين من جمادى الأولى سنة تسع وتسعين وأربعمائة ، وملكت القلعة ، وأفلت صبح ونصر ولدا خلف ابن ملاعب ، فتوجه صبح إلى شيزر وأقام عند ابن منقذ .

وبعث القاضي أبو الفتح إلى أبي ظاهر سعيد الصائغ ، فسار إلى أفامية لا يشك أنها له ، فأكرمه القاضي وامتنع من تسليمها إليه وقال : هذا الموضع نحن محترمون ما دام لنا وإذا خرج إلى غيرنا أمتهنا - فيندس منه .

وكان لخلف ابن يقال له مصبح في خدمة طغديكين بدمشق قد أعطاه حصنا بالبرية يحفظه فعرف بعده بقبة ابن ملاعب فأفسد هناك فهدده طغديكين . فلحق بالفرنج وأوى إلى طنكري متملك أنطاكية ، وحسن لهم قصد أفامية . فساروا معه ونازلوها فسير إليهم القاضي أبو الفتح عشرة آلاف دينار . فرحلوا فلامهم ابن خلف وما زال بهم حتى أقاموا عليها إلى أن مات من بها من الجوع ، فملكها الفرنج وقتلوا القاضي وأسروا الصائغ وحملوه إلى أنطاكية معهم وقتلوه بها . فأخذ رضوان ماله وأولاده بحلب .

دقاق بن تَدش

(. من الحزء السادس من تاريخ دمشق لابن عساكر -
مخطوط الظاهرية ٣٤٥٠)

دُقاق بن تَدش بن الب أرسلان أبو نصر المعروف بالملك شمس
الملك. ولي إمرة دمشق بعد قتل أبيه تاج الدولة في سنة سبع وثمانين
وأربعمائة ، وكان بحلب ، فرأسله خادم لأبيه اسمه ساوتكين كان
نائبا في قلعة دمشق ، سرا من أخيه رضوان بن تَدش صاحب حلب ،
فخرج دقاق الى دمشق وحصل بها ، وأجاسه ساوتكين في منصب
أبيه ، ثم دبر هو وطغتكين المعروف بأتاك (١٣٨) . زوج أم الملك دقاق
على ساوتكين فقتل.

وأقام دقاق بدمشق ، وقدم أخوه رضوان فحاصرها فلم يصل
منها الى مقصود فرجع الى حلب ، ثم عرض لدقاق مرض تطاول به
وتوفي منه في الثاني عشر من شهر رمضان سنة سبع وتسعين
وأربعمائة ؛ وإن أمه زينت له جارية فسمته في عنقود عنب معلق في
شجرته ، ثقبته بأبرة فيها خيط مسموم ، وإن أمه ندمت على ذلك
بعد الفوت ، وأومات الى الجارية أن لاتفعل ، فأشارت إليها أن قد
كان ، وتهرى جوفه فمات . . . (٥٠ - ظ) .

رضوان بن تتش

(من بغية الطالب لابن العديم)

رضوان بن تتش بن الب أرسلان بن جفري بن سلجوق بن دقاق ،
ابو المظفر التركي السلجوقي ولد سنة خمس وسبعين واربعمائة ،
ونشا في دمشق في حجر ابيه ، وكانت امه ام ولد فزوجها ابوه من
جناح الدولة حسين ، وجعله ابوه اتابكا له ومربيا ، ولما توجه ابوه
تتش لمحاربة بركيارق ووصل الى همذان كتب الي ولده رضوان الي
دمشق ، وكان قد تركه بها ، يستدعيه اليه من دمشق ، وامره ان
يحضر معه من تخلف بالشام من العسكر ، فامتل امر ابيه وخرج
من دمشق بالعسكر متوجها الي ابيه ، ووصل الي عانة وقيل الي
الانبار ، فبلغه قتل ابيه تتش ، فحط خيمه وسار مجدا عائدا ،
فوصل الي حلب وتسلمها من وزير ابيه ابي القاسم بن بديع في سنة
ثمان وثمانين واربعمائة ، وتولى حسين زوج امه تدبير ملكه .

ووصل اخوه دقاق الي حلب ، ومضى سرا من رضوان الي دمشق
فملكها وقدم يفي سغان ، ويوسف بن ابق بعسكرهما من انطاكية
الي خدمة رضوان ، وسارا (٨٩ - و) معه الي الرها ليستلمها من
نواب والده ، فارادا القبض على حسين لينفردا بتدبير رضوان ،
فبلغ حسين ذلك ، فهرب الي حلب ، وتبعه رضوان اليها واستودش
رضوان منهما ، فرجعا الي انطاكية .

وسار رضوان الي دمشق ليأخذها من اخيه دقاق ، ونزل جناح
الدولة حسين بحلب ، وسار معه سكرمان بن ارتق ، فلما وصل
رضوان الي دمشق اعتقل دقاق نجم الدين ايلغازي بن ارتق ، ولم
يستتب لرضوان امر دمشق فرجع الي حلب ، وتوجه سكرمان الي
البيت المقدس ، وتسلمه من نواب اخيه ايلغازي .

ووصل يوسف بن ابق الي رضوان الي حلب وسكنها فخاف منه

رضوان وحسين فتقدما الى المجن الفوعي (١٣٩) فهجم عليه فقتله .

وخرج رضوان وحسين فتسلما تل باشر ، وشيخ الدير من نواب يغي سغان ، واغارا على بلد انطاكية ، ثم توجهوا الى دمشق ، وسار يغي سغان اليها منجدا دقاق ، فضعت نفس رضوان عن دمشق ، فسار الى البيت المقدس فتبعه دقاق وطغتكين ويغي سغان ، واشرف عسكر رضوان على التلف فهرب حسين على البرية الى حلب ، ووصل دقاق وطغتكين الى ناحية حلب ، واستنجد رضوان بسليمان ابن ايلغازي صاحب سميساط ، فوصل الى حلب بعسكر كبير واجتمع العسكران على نهر قويق ، وتحاربا ، فهرب دقاق وطغتكين الى دمشق ويغي سغان الى انطاكية .

وتغيرت نية رضوان على حسين فهرب من حلب الى حمص ومعه زوجته ام رضوان .

ثم تجدد بعد ذلك خروج الفرنج (٨٩ - ظ) الى انطاكية ، ووصل يغي سغان الى الملك رضوان الى حلب الى خدمة رضوان ، وتزوج رضوان بابنته خاتون جيحك ، ونزل الفرنج على انطاكية ، وشنوا الغارات على بلد حلب ، ووصل ابن يغي سغان الى حلب مستنجدا على الفرنج ، فسير رضوان معه عسكر حلب وسكمان ، فلقبهم من الفرنج دون عدتهم ، فانهزم المسلمون الى حارم ، وغلب اهل حارم من الارمن عليها ، وعاد سكمان بن ارتق مفارقا رضوان ، وصار مع دقاق .

واستولى الفرنج على انطاكية ، وضعف امر رضوان ، واستمال الباطنية وظهر مذهبهم بحلب ، وشايعهم رضوان ، واتخذوا دار دعوة بحلب ، وكاتبه ملوك الاسلام في امرهم ، فلم يلتفت ، ولم يرجع عنهم ، ودام على مشايعتهم .

وقوي الفرنج عليه فباع من املاك بيت المال عدة مواضع للحلبيين ، وقصد بذلك استمالتهم ، وان يتعلقوا بحلب بسبب املاكهم فيها حتى انه باع في ساعة واحدة ستين خربة من مزارع حلب لجماعة من اهلها وكتب بها كتابا واحدا ، يذكر حدود كل خربة ومشتريها وثمانها

وكان الكتاب عندي في جملة الكتب التي كانت لوالدي رحمه الله .

وكان الملك رضوان بخيلا شحيحا يحب المال ، ولا تسمح نفسه باخراجه ، حتى ان امرائه وكتابه كانوا يذبونه بابي حبه ، وذلك هو الذي اضعف امره ، وافسد حاله مع الفرنج والباطنية . وجدد في حلب مكوسا وضرائب لم تكن ، ومع هذا كله كان فيه لطف ومحاسنة (٩٠ - و) للحلبيين حتى بلغني انه مر يوما راكبا ليخرج من باب العراق ، سمع امرأة تنادي اخرى يازليخا تعالي ابصري الملك ، فامسك راس فرسه ووقف ساعة ، ثم نظر فلم ير احدا ، فقال : اين هي زليخا قولوا لها تأتي تبصرنا او نمشي ، وهذا من ابلغ اللطافة من ملك مثله .

وحدثني والدي قال : اخبرني ابي قال : وقع بين والدي ابي غانم وبين القاضي ابي الفضل بن الخشاب مشاجرة في التخم الذي بين قرية والدي اقدار وبين قرية ابن الخشاب عيطين ، وال الامر في ذلك الى مواحشة وغلظة ، فبلغ الملك رضوان فقال : انا اخرج بنفسي واقف معكما على التخم ، فخرجا مع الملك ووقف معهما وقال لاحدهما : الى اين تدعي فقال : الى ها هنا ، وقال للاخر : الى اين تدعي . فقال : الى ها هنا ، فقال لكل واحد منهما : اريد ان تهب لي نصف ماتدعي على صاحبك ، فأجاباه جميعا الى ذلك ، واصلح بينهما على ان نزل كل واحد عن نصف المدعى به ، وجعل بينهما تخما اتفقا عليه ، ورجع الى المدينة ، وهذا ايضا من المآثر التي ينبغي ان تكتب وتسطر وتنقل في التواريخ وتذكر .

قرات بخط الشريف ادريس بن الحسن الادريسي الاسكندراني قال الشيخ ابو الحسن بن الموصول ، واملانيه بدار الشريف امين الدين ابي طالب احمد بن محمد النقيب الحسيني الاسحاقي من تعليق لبعض (٩٠ - ظ) اسلافه قال : وفي شهر ربيع الاول سنة خمس وخمسمائة وصل الى حلب رجل كبير فقيه تاجر يقال له ابو حرب عيسى بن زيد بن محمد الخجندي ومعه خمسمائة جمل عليها احوال اصناف التجارات ، وكان شبيدا على الاسماعيلية مسعدا لمن

يقصدهم ، مبالغاً في بابهم ، انفق في المجاهدين لهم بسببهم اموالاً جلية ، فقام في غلمان له يستعرض احماله وحوله جماعة من مماليكه وخدمه ، وكان قد اصحب من خراسان باطنياً يقال له احمد بن نصر الرازي ، وكان اخوه قتله رجال هذا الخجندي ، فدخل الى حلب ، واستدل على ابي الفتح الصايغ رئيس الملاحدة بها ، وكان متمكناً من رضوان ، فصعد الى الملك رضوان ، وعرفه ما جرى بينهم وبين الفقيه ابي حرب ، واطمعه في ماله ، واراها انه بريء من التهمة في بابه اذ كان معروفاً بعداوة الملاحدة ، فطمع رضوان وانتهاز الفرصة فيه ، وطار فرحاً ، فبعث بغلمان له يتوكلون به ، فبرز الى ابي حرب عيسى الفقيه احمد بن نصر الرازي وهجم عليه ، فقال لغلماناه واصحابه : اليس هذا رفيقنا؟! فقالوا : هو هو ، فوقعوا عليه فقتلوه ، وهجم جماعة من اصحاب ابي الفتح الباطني الحلبي على ابي حرب فقتلوا عن اخرهم ، ثم قال ابو حرب : الغياث بالله من هذا الباطني الغادر ، امنا المخاوف وراءنا وجدنا الى (٩١ - و) الامنة ، فبعث علينا من يقتلنا ، فرجعوا الى رضوان ، فاخبروه بما قال ، فابلس ، وصار السنة والشيعية الى هذا الرجل ، واظهروا انكار ما تم عليه ، وعبث احداثهم بجماعة من احداث الباطنية فقتلوهم ، وانهي ذلك الى الملك رضوان فلم يتجاسر على انكاره ، واقام الرجل بحلب ، وكاتب اتابك ظهير الدين (١٤٠٠) وغيره من ملوك الشام فتوافقت رسلهم عند رضوان بكتبهم يذكرون عليه ما جاءه في بابه ، فانكر وحلف انه لم يكن له في هذا الرجل نية ، وخرج الرجل عن حلب مع الرسل ، فخيروه في التوجه نحو الرقة ، وعاد الى بلده ، ومكث الناس يتحدثون بما جرى على الرجل ، ونقص في اعين الناس فتوثبوا على الباطنية من ذلك اليوم .

اذباننا زيد بن الحسن عن ابي عبد الله محمد بن علي العظيمي في حوادث سنة احدى وخمسمائة قال : وفي هذه السنة بلغ فخر الملوك رضوان ما ذكر به عن مشايعة الباطنية واصطناعهم ، وحفظ جانبهم وانه لعن بذلك في مجلس السلطان ، فلما بلغه الخبر امر ابا الغنائم

ابن اخي ابي الفتح الباطني بالخروج عن حلب فيمن معه ، فاذسل
القوم بعد ان تخطف جانبهم ، وقتل منهم افرادا (١٤١)

قلت ولما ملك رضوان حلب قتل اخوين له كانا من ابيه ، فلما مات
رضوان وملك ابنه الب ارسلان قتل اخوين له كانا من احسن الناس
صورة فانظر (٩١ - ظ) الى هذه المؤاخذة العجيبة .

اذباننا المؤيد بن محمد علي الطوسي عن ابي عبد الله محمد بن علي
العظيمي قال : وفيها - يعني سنة تسعين واربعمائة - عصى المجن
الموفق على الملك رضوان ، وتعصب معه الحلبيون ثم تخاذلوا عنه ،
واختفى ، فقبض عليه الملك رضوان ، وعلى نويه وبنيه ، واستصفى
امواله في ذي القعدة وعذبهم بأنواع العذاب ، ثم قتله بعد ذلك ،
وقتلهم حوله .

قال : وفيها وصل رسول مصر الى الملك رضوان ، يعني من المستعلي
بالتشريف والخلع ، وخطب للمصريين شهرا ، ثم عاد عن ذلك (١٤٢)

وقال : سنة ثلاث وتسعين ، وفيها كسرت الافرنج للملك رضوان
على موضع يقال له كلا ، وكان المسلمون في خلق وكان الافرنج في
مائة فرس ، فقتلوا خلقا من الناس ، واسروا خلقا ، وكانت الكسرة
يوم الجمعة خامس شعبان (١٤٣)

وقال : سنة ثمان وتسعين واربعمائة ، فيها كسر الفرنج الملك
رضوان على عين تسيلوا من ارض ارتاح ، وكان سبب ذلك حصن
ارتاح ، خرجوا اليه لياخذوه ، وجمع الملك رضوان الخلق العظيم ،
وخرج لنجدة الحصن ، ومعه من الرجالة الخلق العظيم ، وكان
المصاف يوم الخميس ، فانهزمت الخيل ، واسلموا الرجالة ، فقتل
منهم الخلق العظيم ، وفقد من الحلبيين جماعة كثيرة غزاة رحمهم
الله ، وانهزم اكثر من به (١٤٤)

قلت : وبلغني انه قتل من المسلمين مقدار ثلاثة الاف ما بين
فارس وراجل ، وهرب (٩٢ - و) من بارتاح من المسلمين ، وقصد
الفرنج بلد حلب ، فاجفل اهله ، ونهب من نهب ، وسبي من سبي ،

واضطربت احوال بلد حلب من جبل ليلون الى شيزر ، وتبدل الخوف بعد الامن والسكون وهرب اهل الجزر وليلون الى حلب ، فسادرتهم خيل الفرنج فسيبوا اكثرهم وقتلوا جماعة ، وكانت هذه النكبة على اعمال حلب اعظم من النكبة الاولى على كلا ، ونزل طنكريد الفرنجي على تل اعذى من عمل ليلون واخذه ، واخذ بقية الحصون التي في عمل حلب ، ولم يبق في يد الملك رضوان من الاعمال القبلية الا حماه ، وليس في يده من الاعمال الغربية شيء ، وبقي في يده الاعمال الشرقية والشمالية وهي غير امنة .

وضاق الامر باهل حلب ، ومضى بعضهم الى بغداد واستغاثوا في ايام الجمع ، ومنعوا الخطباء مستصرخين بالعساكر الاسلامية على الفرنج ، وكسروا بعض المناير ، فجهز السلطان محمد بن ملكشاه مودود صاحب الموصل واحمديل الكردي ، وسكمان القطبي في عساكر عظيمة ضخمة ، ومات سكمان قبل وصوله الى حلب ، ووصلت العساكر الى حلب ، فاغلق رضوان ابواب حلب بوجههم ، واخذ الى القلعة رهائن عنده من اهلها لئلا يسلموها ، ورتب قوما من الجند والباطنية الذين في خدمته لحفظ السور ، ومنع الحلبيين من الصعود اليه ، وضبر (١٤٥) انسان من السور (٩٢ - ظ) فامر به فضرب عنقه ، ونزع رجل ثوبه ورماه الى اخر ، فامر به فالقى من السور الى اسفل ، وبقيت ابواب حلب مغلقة سبع عشرة ليلة ، واقام الناس ثلاث ليال لا يجدون ما يقتاتونه ، وكثرت اللصوص ، وخاف الاعيان على انفسهم ، وساء تدبير الملك رضوان ، فاطلق العوام بسنتهم بسبه وتعييبه وتحذثوا بذلك فيما بينهم ، فاشتد خوفه من الرعية ان يسلموا البلد ، وترك الركوب بينهم ، وبث الحرامية تتخطف من ينفرد من العساكر فياخذونه ، وعاث العسكر فيما بقي سالما ببلد حلب بعد نهب الفرنج له ، ورحل العسكر الى معرة النعمان بعد استيلاء الفرنج عليها في اخر صفر من سنة خمس وخمسمائة واقاموا عليها ، وقدم عليهم اتابك طغتكين ، فراسل رضوان بعضهم حتى افسد ما بينهم ، وظهر لاتابك طغتكين منهم الوحشة ، فصار في جملة ممدود (١٤٦) وثبت له ممدود ، ووفى له ، وحمل

لهم أتابك هدايا وتحفا ، وعرض عليهم المسير الى طرابلس والمعونة لهم بالاموال ، فلم يعرجوا ، وسار أحمديل وبرسق بن برسق ، وعسكر سكرمان الى الفرات ، وبقي مودود مع أتابك ، فرحلا من المعرة الى العاصي ، فنزلا على الجلالي ، ونزل الفرنج اقسامية: بغدوين ، وطنكريد ، وابن صنجيل ، وساروا لقصد المسلمين ، فخرج ابو العساكر سلطان بن منقذ من شيزر (٩٣ -) بأهله وعسكره ، واجتمعوا بمودود وأتابك ، وساروا إلى الفرنج ، ودارت خيول المسلمين حولهم ومنعوهم الماء ، والأترك حول الشرائع بالقسي تمنعهم الورد ، فأصبحوا هاربين سائرين تحمي بعضهم بعضا .

ونزل طنكر يد على قلعة عزاز وبذل له رضوان مقطعة عن حلب ، عشرين الف دينار وخيلا وغير ذلك ، فامتنع طنكريد من ذلك ، ورأى رضوان أن يستميل طغتكين أتابك اليه ، فاستدعاه الى حلب ، فوصل اليه وتعاهدا على مساعدة كل منهما لصاحبه بالمال والرجال واستقر الأمر على أن اقسام طغتكين الدعوة والسكة لرضوان بدمشق ، فلم يظهر من رضوان الوفاء بما تعاهدا عليه ، ووصل مودود الى الشام ، واتفق مع طغتكين على الجهاد ، وطلب نجدة من الملك رضوان ، فتاخرت الي ان اتفق للمسلمين وقعة استظهر فيها الفرنج ، ووصل عقبها نجدة للمسلمين من رضوان دون المائة فارس وخالف فيما كان قرره ووعد به ، فانكر أتابك ذلك وتقدم بأبطال الدعوة والسكة باسم رضوان من دمشق في اول شهر ربيع الاول سنة سبع وخمسمائة .

انبانا سليمان بن الفضل بن سليمان قال : اخبرنا الحافظ ابو القاسم علي بن الحسن قال : رضوان بن تتش بن الب ارسلان بن جفري بك بن سلجوق بن تغلق التركي كان بدمشق (٩٣ - ظ) عند توجه ابيه الى ناحية الري ، فكتب اليه يستدعيه ، فخرج اليه ، فلما كان بالانبار بلغه قتله ، فرجع الى حلب فتسلمها من الوزير ابي القاسم ، وكان المستولي على امرها جناح الدولة حسين في سنة ثمان وثمانين واربعمائة ، ثم قدم دمشق بعد موت اخيه دقاق ،

فحاصرها وقرر له الخطبة والسكة ، فلم تستتب اموره وعاد الى حلب ، واقام بها ، وجرت منه امور غير محمودة في قتال الفرنج ، وظهر منه الميل الى الباطنية ، واستعان بهم بحلب ، ثم استدعى طغتكين اتابك الى حلب ولاطفه ، واراد استصلاحه ، وقرر بينهما امورا واقام له طغتكين الدعوة والسكة بدمشق ، فلم يظهر منه الوفاء بما وعد ، فابطلت دعوته .

وكان لما ملك حلب قد قتل اخويه ابا طالب وبهرام ابني تتش ، ومات في الثامن والعشرين من جمادى الآخرة سنة سبع وخمسمائة (١٤٧) .

انبانا ابو اليمان الكندي عن ابي عبد الله محمد بن علي العظيمي ، ونقلته من خطه ، قال : سنة سبع وخمسمائة ، فيها مات الملك رضوان بن تاج الدولة صاحب حلب بحلب . وفيها قتل تاج الدولة ابن الملك رضوان اخويه ملك شاه وابراهيم صبيين احسن الناس صورا (١٤٨)

كذا وجدته ، وابراهيم بقى زمانا ، ورايت ولده بحلب ، واظنه مبارك والله اعلم .

وقرات في كتاب تاريخ وقع (٩٤ - و) إلي بماردين جمعه الرئيس ابو علي الحسن بن علي بن الفضل الداري ، وشاهدته بخطه ، قال : وفيها ، يعني سنة ثمان وخمسمائة مات الملك رضوان بن تتش بحلب وتولى ولده الاخرس .

وقرات في بعض ما علقته من الفوائد ، مرض رضوان بحلب مرضا حادا ، وتوفي في الثامن والعشرين من جمادى الآخرة سنة سبع وخمسمائة ودفن بمشهد الملك ، فاضطرب امر حلب لوفاته ، وتأسف اصحابه لفقده ، وقيل انه خلف في خزانته من العين ، والآلات ، والعروض ، والاواني ما يبلغ مقداره ستمائة الف دينار .

قرات في كتاب عنوان السير تاليف محمد بن عبد الملك الهمذاني قال : وملكها ، يعني حلب بعده - يعني بعد قتل ابيه تتش - في سنة ثمان وثمانين واربعمائة ابو المظفر رضوان بن تتش تسع عشرة سنة وشهورا ، وتوفي في سحرة يوم الاربعاء آخر يوم من جمادى الاولى

سنة سبع وخمسمائة ، وعمره اثنتان وثلاثون سنة ، وخلف عينا
وعروضا تقارب الف الف دينار .

سابق بن محمود

(من بغية الطالب لابن العديم)

سابق بن محمود بن نصر بن صالح ابن مرداس بن ادريس بن نصر ابو الفضائل الكلابي ، وتمام نسبة ذكره في ترجمة جد ابيه صالح بن مرداس ان شاء الله تعالى ، وامه بنت الملك ابي طاهر بن فناخسروه ابن بويه .

ملك حلب في الليلة الثانية من شوال سنة ثمان وستين واربعمائة ، وكان اخوه قد قتل يوم عيد الفطر بعد العصر على ما ذكرناه في ترجمته ، وكان قد فوض نصر اموره الى سيدد الملك ابي الحسن علي بن منقذ بعد عوده من طرابلس ، وفوض اليه اموره ، وكان الوزير ابن النحاس بقلعة حلب ، وفي القلعة وال يقال له ورد وعندهما جماعة من الخواص ، فلما علموا بقتل نصر استدعوا اخاه سابق بن محمود ، وكان ساكنا في العقبة في الدار التي تنسب الي عزيز الدولة فاتك ، وكان قد شرب فيها وسكر ، فحمل من العقبة وهو سكران ، ورفع من السور (١٤٣ - ظ) بحبل الى القلعة وهو سكران ونادوا بشعاره واطاعه الاجناد ، واشاروا عليه باطلاق احمد شاه من الاعتقال ، وكان نصر اعتقله ، فاطلقه ، وخلع عليه . فنزل احمد شاه الى العسكر بالحاضر فسكن الفتنة .

واستقرت قاعدة سابق ، ولقب عز الملك ابو الفضائل . ودخل عليه ابو الفتيان بن حيوس ، فمدحه بقصيدته التي اولها :

علي لها ان احفظ العهد والودا

وان لم تفد إلا القطيعة والصداء (١٤٩)

فاطلق له سابق الف دينار ، وجعل له كل شهر ثلاثين دينارا .

وكان سابق من متخلفي آل مرداس ، وكان ينظم الشعر ، فانني

وقفت في ديوان شعر ابن النحاس على أبيات يخاطب بها سابق بن محمود وقد انشده شعرا لنفسه فيه :

كنت انشدتني من الشعر نظما

بحتريا يفوق لفظا ومعنى

لما ملك سابق وعرف بنو كلاب تخلفه اجتمعوا الى اخيه وثاب ، وحسنوا له اخذ حلب ، وانضاف اليه اخوه شبيب بن محمود ، ومبارك بن شبل ابن خالهما : فسير سابق واستدعى احمد شاه امير الاتراك ، وكان في الف فارس ، واستعان به ، فانفذ الى رجل من الاتراك يعرف بمحمد بن دملاج كان نازلا في طريق بلد الروم في خمسمائة فارس ، ويضمن له مسالا ، فوصل ابن دملاج في يوم الاربعاء مستهل ذي القعدة من سنة ثمان (١٤٣ - و) وستين واربعمائة ، وتحالفوا ، وخرجوا الى وثاب وبني كلاب في يوم الخميس مستهل ذي الحجة ، وكان بنو كلاب في جمع يقارب سبعين الف فارس ، وراجل ، وكانوا بقدرين ، فعندما عاينوا الاتراك ، انهزموا من غير قتال وخلفوا حللهم ، وأموا لهم. ونسألتهم وأموالهم ، فغزم أحمد شاه وابن دملاج واصحابهما جميع ذلك ، فيقال انهم أخذوا لهم مائة الف جمل ، واربعمائة الف شاة ، وسبوا من حرهم الحراتر ، واماتهم وعبيدهم مالا يحصى كثره ، وعادوا بالأسرى الى حلب فأطلقهم سابق وانزل اخته زوجة مبارك بن شبل في دار واكرمها.

فسار وثاب ومبارك بن شبل الى السلطان ملك شاه بن الب ارسلان ، وشكوا حالهم ، وسألوا منه ان يعينهم على سابق ، فوعدهم واقطعهم في الشام ، واقطع الشام اخاه تدهش ، فسار ومعه جموع الترك ووثاب ومبارك بن شبل ، ووصل اليه بنو كلاب ، فنزل على حلب سنة احدى وسبعين واربعمائة ، ووصل اليه ابو المكارم مسلم بن قريش ، ونزل معه عليها ، وكان هواه مع سابق ، فكان يسير اليه بما يقوي نفسه ، وينكر على بني كلاب خلطتهم ، ودام الحصار ثلاثة اشهر ، واحسن ابو المكارم بتغير الذية فيه ،

وتحقيق التهمة به من مراسلة سابق واهل حلب ، فاستاذن تاج
الدولة في الرحيل ، ورحل . وجعل رحيله وعبوره بعسكره على باب
حلب

وباع (١٤٣ - ظ) اصحابه اهل حلب كلما كان في عسكره
عصبية وتقوية لهم ، وقوى نفوسهم ونفس سابق ، وسار بعد ان
قوي اهل حلب بما ابتاعوه من عسكره بعد الضعف الشديد الى
بلادهم ، ورحل معظم بني كلاب ، وبقي مع تاج الدولة تتش من بني
كلاب وثاب وشبيب اخو سابق ومبارك بن شبل في عدد يسير فاشار
عليهم ابو المكارم بن قريش بالاحتياط على انفسهم او الهرب الى
حلب وكاتبهم سابق ، وتالفهم ، وقال لهم : انما اذنب واحامي عن
بلادكم وعزكم . ولو صار هذا البلد الى تتش ، ازال ملك العرب
وذلوا واستوحشوا من الاتراك ، فهربوا الى حلب ، وصاروا الى
سابق ، وكتب سابق الى الامير ابي زائدة محمد بن زائدة قصيدة من
شعر وزيره ابي نصر بن النحاس يعرفه ما هو فيه من الضيق ،
ويسأله الاقبال عليه . والقيام بمعونته ، ويحذره من التخلف عنه
فيكون ذلك سببا لزوال ملك العرب ويعتب عليه في التوقف عنه ،
والقصيدة :

دعوت لكشف الخطب والخطب معضل
فلبيتني لما دعوت مجابوا
ووفيت بالعهد الذي كان بيننا
وفاء كريم لم يخن قط صاحبا
وما زلت فراجا لكل ملمة
اذا المحرب الصنديد ضجع هايبا
فشمر لها وانهض نهوض مشيع
له غمرات تستقل النوايبا
وقل لكلاب بدد الله شملكم
او يحكم ما تتقون المعائب (١٤٤ - و)
تستبدلون الذل بالعز ملبسا
وتمسون اذنابا وكنم نوايبا

وما زلتم الاساد تفترس العدى
فما بالكم مع هؤلاء ثعالبا
ثبوا وثبة تشفي الصدور من الصدا
ولا تخجلوا احسابنا والمناقبا
ولا بد من يوم يحكم بيننا
وبين العدى فيه القنا والقواضبا
ارى الثغر روحا انتم جسد له
اذا الروح زالت اصبح الجسم عاطبا
وقد نددت عنه طالبا حفظ عزكم
اباء ولاقيت المنايا الشواغبا
وها انا لا انفك ابذل في حمى
حماكم مجدا مهجتي والرغابا
انخر مالي عنكم ونخائري
اذا بت عن طرق المكارم عازبا
شكرت صنيع ابن المسيب اذ اتى
يجر مغاوير تسد السبابا

منها :

ايا راكبا يطوي الفلاة بحسرة
هملعة لقيت رشذك راكبا
الا ابلغ ابا الريان عنى الوكة
تريح من الايلاف ما كان واجبا
اخا شخصه لا يبرح الدهر حاضرا
تمثله عيني وان كان غائبا
متى تجمع الايام بيني وبينه
اشد عليه ما حييت الرواجبا
واهد الى شبل سلامي وقل له :
لك الخير دع ما قد تقدم جانبنا

فتلك حقوق لو تكلم صامت

لجاء اليها الدهر منهن نائبا

وقد امكنتكم فرصة فانهضوا لها

عجالا والا اعوز الدر جالبا (٤٤١ - ظ)

فاني رايت الموت اجمل بالفتى

واهون ان يلقي المنايا مجاوبا

وكان قد بلغ سابقا ان اميرا من امراء خراسان يقال له تركمان التركي قد توجه منجدا تاج الدولة تتش ومعه عسكر ، فاخرج سابق منصور بن كامل الكلابي ، احد امراء بني كلاب ، من حلب ليلا واعطاه كتابه الى ابي زائدة وفيه هذه الابيات ، ومعه بعض اصحاب سابق ، ومعهم مال فاتفق مع منصور ونائب سابق ، وجمعوا ما يزيد على الف فارس وخمسمائة راجل من بني زمير . وقشير ، وكلاب وعقيل بتدبير ابي المكارم بن قريش والتقوا تركمان التركي في ارض الفاييا . فكبسوا عسكره وقتلوه .

وبلغ ذلك تاج الدولة تتش فرحل عن حلب الى الفرات وشتى بديار بكر . ثم عاد الى حلب وافتتح منبج في طريقه وبزاعا وعزاز ، وصبح حلب صباحا فخرج عسكر حلب فالتقوا على الخناقية ، وانهزم عسكر تتش بغير قتال .

وكان ابو زائدة وابن عمه شبل بن جامع بن زائدة في قدر خمسين فارسا مقابلهم فحملوا عليه واتفقت هزيمتهم فقتلوا من الغز جماعة وغنموا : وتقدم محمد بن زائدة الى الشيخ ابي نصر منصور بن تميم السرميني المعروف بابن زنكل ان يجيب ابا الفضائل سابق بن محمود عن القصيدة التي انفذها اليه ، ويعرفه ما لبني كلاب من الايام المعروفة . ويذكر هذه الوقائع فعمل :

دعوت مجيبا ناصحا لك مخلصا

يرى ذاك فرضا لا محالة واجبا (٤٥ - و)

قلبيت لا مستنكفا جزعا ولا

هدانا اذا خاض الكريهة هائبا

قال فيها في ذكر هذه الوقائع :

ولما دعاني المدركي ابن صالح
شقت ولم اهرب اليه الكرايبا
اسابق صرف الدهر في نصر سابق
الى تركمان الترك ازجي النجائب
فلما التقيناهم غدا البعض سألبا
لانفسهم والبعض للمال ناهبا
فيا لك من يوم سعيد بيمنه
عن الثغر اضحى عسكر الضد هاربا
وكان يرى في كفه الشام حاصلبا
ويوم بزاعا رد ما ظن خائبا
وفي يوم خناقية قد خنقتهم
بعثير ذل رد ذا الشرخ شائبا
عطفت لهم اذ خام من خام منهم
بفتيان كالعقبان شامت توالبا
فله قومي الصادرون لو اذنوا
معي او فريق كنت للجمع ناكبا
فولوا وقضبان المخافة فيهم
مسابقة ارماحنا والقواضبا
فكم فارسا منهم تركنا مجدلا
يباشر ترب القاع منه الترائبا
واذ ايقنوا ان ليس للكسر جابر
تولوا وعن جبرين حثوا الركائب
وخلوا بها كسبا حووه وابصروا
سلامتهم منا اجل مكاسببا
ورحل تاج الدولة تتش من جبرين ، وكان نازلا بعسكره عليها الى
دمشق .

ولما جرى هذا الحادث طمع شرف الدولة . ابو المكارم ، مسلم بن قريش في الشام وكاتبة سابق بن محمود يبذل له تسليم حلب اليه . ووفدت (١٤٥ - ظ) عليه بنو كلاب باسرها ، فتوجه الى حلب ، ونزل عليها في السادس عشر من ذي الحجة من سنة اثنتين وسبعين واربعمائة ، فغلقت ابوابها في وجهه . وكان عند سابق اخواه شبيب ووثاب بحلب ، فلم يمكناه من التسليم ، فلم يقااتها ، واهلها يحرصون على التسليم اليه لما هم فيه من الجوع ، وعدم القوت ، وسلم البلد اليه ولد الشريف الحتيتي ، على ما نذكره في ترجمة ابي المكارم مسلم بن قريش فانحاز سابق الى القلعة ، واخواه شبيب ووثاب في القصر لصيق القلعة ، وحصر ابو المكارم القلعة الى ان دبر شبيب ووثاب وهما في القصر على سابق ، وقفزا في القلعة وصاح الاجناد بها شبيب يامنصور ، فقبض سابق فحبس ، وتسلم شبيب ما كان بها من المال وسفر سيدد الملك ابن منقذ بين مسلم بن قريش وبين شبيب الى ان تسلم القلعة في شهر ربيع الآخر من سنة ثلاث وسبعين واربعمائة ، وانقضى امر سابق بعد حصار القلعة اربعة اشهر . وانقضت دولة آل مرداس .

دفع إلي القاضي ابو محمد بن الخشاب جزءا بخطه وذكر لي انه نقله من خط ابي الحسن علي بن عبد الله بن ابي جرادة في ذكر ملوك حلب . وكتب الينا المؤيد بن محمد بن علي الطوسي عن ابي الحسن قال بعد ذكر نصر بن محمود وقتله بظاهر حلب ثاني عيد الفطر من سنة ثمان وستين : بعده اخوه سابق بن محمود اقام اربع سنين ، وسلم البلد الى شرف الدولة ابي المكارم مسلم (١٤٦ - و) ابن قريش العقيلي سنة اثنتين وسبعين واربعمائة - يريد البلد دون القلعة .

قرات بخط ابي عبد الله العظيمي . وانبأنا ابو اليمن الكندي وغيره عنه : سنة ثمان وستين واربعمائة فيها : قتل نصر بن محمود صاحب حلب يوم الاحد ، يوم عيد الفطر . وجلس سابق بن محمود مكانه .

قال : وفي هذه السنة يعني سنة اثنتين وسبعين واربعمائة . وصل

شرف الدولة الى حلب وتسلمها من سابق بن محمود ، وامتنعت القلعة عليه ، وكان بالقلعة سابق واخوه شبيب ، فقبض شبيب على سابق يوم السبت ثاني عشر من صفر ، وتولى الأمر بنفسه يوما واحدا ، ثم عاد سابق فقبض على أخيه شبيب وتولى الأمر كما كان اولاً ، وبقي الحصار اربعة اشهر ، ثم سلم القلعة سابق الى شرف الدولة يوم الأحد عاشر ربيع الآخر ، وقيل جمادى الآخر وهو الأصح ، يعني من سنة ثلاث وسبعين واربعمائة (١٥٠) .

نقلت من خط ابي الحسن علي بن مرشد بن علي بن منقذ في تاريخه قال : واقام نصر مالكا الى سنة ثمان وستين ، فلما كان يوم عيد الاضحى عيد وخرج العصر لنهب الاتراك ابن خنان واصحابه ، ويأخذ نساءهم فانه قال : « نريد الوجوه الملاح » فضربه واحد فقتله . واختببت حلب ، وقفلت ابوابها ، وقفل باب القلعة ، فجاء الامير ابو الحسن سيد الملك ، وكان قد نزل لما مات محمود وقال له نصر : « ما يرب هذه الدولة غيرك » : فلما قتل نصر لم يجسر ان يذكر للوزير ابن النحاس ، وكان صديقه ، ذلك ظاهرا فقال له وهو في القلعة من تحت السور : الامير نصر (١٤٦ . ظ) سالم كما تحب ولكن سألتني عن شيء قبل خروجي وهو : القيل فاد ، معناه : القيل الملك ، وفاد مات .

فاحتفظ ابن النحاس من القلعة ، واجلسوا بعده اخاه سابقا ، وكان سابق كما قيل لي من احسن الناس محاضرة ، واصبحهم وجها ، واسواهم فعلا في نفسه وافعاله .

حدثني مولاي رحمة الله قال : من طريف عمله انه مدحه الشريف ابو المجد بثلاث قصائد ، فتأخرت الجائزة ، فكتب اليه وقد ضاع له دنائير ثم وجدها .

قل للامير ابي الفضائل سابق

قولا يفوه به لسان الناطق

فبحق من رد الدناير التي

ضاعت بتقدير الاله الخالق

اردد علي مدائحا انشدتها

زهبت لديك ذهب حلب بارق

قال : فانفذ له قصيدة وكتب اليه على ظهرها نحن نسأل عن الباقي
وتنفذه اليك .

واقام بحلب مستضعفا يغير بنو كلاب على باب حلب تاخذ منه
الغسلات والقوافل ، ولا يخرج احد الا بخفارة ، ولا يدخل الا
كذلك .

والامير سديد الملك مقيم بالجرس لعلمه ان الداء قد اعضل : قال :
فاشتغل عنهم بحصنه وبلده كفر طاب ، يشتمو بالجرس ، ويصيف
بكفر طاب الى ان غلب سابق ، واستحكم ياسه ، انفذ اليه وقال :
اشتهي ان تحضر ، تفصل بيني وبين اخوتي ، وما قد دهمنا من
شرف الدولة ، فمضى حينئذ وقد امن غائلتهم .

وقال : سنة ثلاث وسبعين واربعمائة : فيها تسلم شرف الدولة
(١٤٧ - و) قلعة حلب . شهر ربيع الآخر ولم يكن فيها ما يؤكل .
قلت انقطع ذكر سابق بعد اخذ حلب منه . فلم نقع له على ذكر ولا
خبر والظاهر انه لم تطل مدته وانه توفي بعد ذلك بقليل .

سالم بن مالك

سالم بن مالك بن بدران بن مقلد بن المسيب بن رافع بن مقلد بن جعفر بن عمرو بن المهيا بن زيد بن عبد الله بن زيد بن قيس بن جوثة ابن طخفة ابن ربيعة بن حزن بن عبادة بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن خصيفة بن عكرمة بن قيس بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، ابو الزمام ، وقيل ابو الزمام ، العقيلي الامير ، كان ابو المكارم مسلم بن قريش حين ملك حلب ، ولاه زعامتها لحكم ما بينهما من النسب ، فلما قتل ابو المكارم ولي حلب مع الشريف الحديتي في سنة ثمان وسبعين واربعمائة .

واقام سالم بالقلعة والشريف بالمدينة . واتفقا على ان كاتبا السلطان ملك شاه يبذلان له تسليم حلب ويحثانه على الوصول ، او وصول نجدة تدفع سليمان بن قطلمش .

ونزل سليمان على حلب وطال انتظار السلطان فاتفق الشريف الحديتي ومبارك بن شبل الكلابي على استدعاء تاج الدولة تتش ، فوصل ، والتقى بسليمان وقتله ، ونزل على حلب وفتحها . وعصى (١٩٧ - ظ) سالم في القلعة ، فوصل الخبر بوصول ملك شاه . فتوجه تتش الى دمشق ، ووصلت مقدمة عسكر ملك شاه ، فسارع سالم بن مالك الى طاعة الواصل وخدمته .

ووصل ملك شاه الى قلعة جعبر بن سابق القشيري ، فتمسلمها منه وقتله ، ووصل الى حلب ، فتمسلم حلب وقلعتها من سالم بن مالك سنة تسع وسبعين واربعمائة ، وعوض سالم بن مالك بقلعة جعبر ، واقطعه الرقة وعدة ضياع .

ويقال إن سالم بن مالك لم يذكرها للسلطان ، وانما سير اليه يقول:

ان لي ولدا وعائلة كبيرة وقد اردت ان ينظر السلطان لهم فوق نظري لهم ، فشاور في ذلك نظام الملك ، فقال له : ان قلعة جعبر تريد منا في كل عام جملة من المال وليس لها عمل جيد ، وهو يرضى بها ، فكتب نظام الملك يعرف سالم بن مالك ما جرى ، فطار سالم فرحا بما سمع فبعث الى نظام الملك بخادمه اقبال ، وكان احسن خادم يكون ، له في الفروسية اسم ، وفي الكتابة يد طولى ، الى خط بديع من طريقة ابن البواب ، يترسل عن مولاه وفي صحبته خمسون الف درهم . فقال نظام الملك ما اسديت اليك شيئا تعترض به عن اقبال . ورد الدراهم عليه : وبعث بجاريتين بكرين احديهما افرنجية والاخرى اندلسية . ليس لهما نظير في الحسن والجمال والادب . والصنائع الحسنة ، فبعث بهما نظام الملك مع اقبال الخادم الى السلطان ، فلما دخل بهما على السلطان قال للحاجب : رد اقبال (١٩٨ - و) لا يدخل علي ، فعجب منه بطانته واستحسن ذلك منه : فبلغ نظام الملك قوله . فبعث به في عشرة من الخدم ، فقبلهم الاقبال فانه اعادة بعد ان رمى بين يديه ، وكتب وتبذل في الحوائج ، فقال : ان بنظام الملك اليك اشد حاجة . فخدم اقبال واجاب السلطان احسن جواب عن قوله ، وانصرف .

نقلت من خط الرئيس ابي عبد الله محمد بن علي بن محمد العظيمي في حوادث سنة تسع عشرة وخمسمائة قال : وفي يوم الاربعاء العشرين من شوال مات شمس الدولة سالم بن مالك بقلعة جعبر .

قرأت بخط حمدان بن عبد الرحيم : رأيت في بعض التعاليق بحلب ان الامير سراج الدين سالم بن مالك بن بدران العقيلي مالك الدوسرية ، وهي قلعة جعبر : كانت وفاته فيها في العشرين من شهر شعبان سنة تسع عشرة - يعني - وخمسمائة .

انباؤنا ابو الحسن محمد بن ابي جعفر عن ابي المظفر اسامة بن مرشد بن منقذ قال : ان الامير شمس الدولة كان نائبا للامير شرف الدولة مسلم بن قريش في قلعة حلب ، فلما قتل شرف الدولة في ربيع الاول سنة ست وثمانين واربعمائة حفظ الامير شمس الدولة قلعة

حلب وقال : لا اسلامها الا بامر ملكشاه ، فسار اليها السلطان من خراسان فسلمها اليه ، وكان السلطان لما اجتاز بقلعة جعبر وفيها سابق الدين جعبر القشيري فقبضه (١٩٨ - ظ) السلطان وقتله لما بلغه عنه من الفساد . فلما سلم شمس الدولة سالم بن مالك قلعة حلب الى السلطان عوضه عنها قلعة جعبر . فاقام مالکها الى ان توفي فيها يوم الاربعاء العشرين من شوال سنة تسع عشرة وخمسمائة .

طغتكين أتابك دمشق

(من المجلد الثامن من تاريخ دمشق لابن عساکر)

مخطوط الظاهرية ٣٣٧٢)

طغتكين ، ابو منصور ، المعروف بأتابك ، كان من رجال (تاج)
(١٥١) الدولة ، وزوجه بام ابنه دقاق . وكان مع تاج الدولة لما ذهب الى
الري لقتال ابن اخيه (١٥٢) ثم رجع (١٥٣) الى دمشق بعد قتل تاج الدولة
وكان اتابك دقاق مدة ولايته ، فلما مات دقاق استولى على دمشق ،
وكان شهما مهيبا ، مؤثرا العمارة ولايته ، شديدا على اهل العيث
والفساد ، وامتدت ايامه الى ان مات يوم السبت السابع ، ويقال
الثامن من صفر . سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة ودفن عند المسجد
الجديد قبلي المصلى ٢٥٧ -]

علي بن المقلد بن نصر بن مذقد بن محمد بن مذقد
ابن نصر بن هاشم ، أبو الحسن الأمير الكناني

المعروف بسديد الملك ، صاحب شيزر

(من تاريخ دمشق لابن عساكر)

أديب فاضل. له شعر حسن سائر. ورد دمشق غير مرة ، وأقام
بطرابلس سنوات ، وعمر حصن الجسر ثم اشترى حصن شيزر من
الروم.

كان سديد الملك علي بن مقلد بن نصر بينه وبين ابن عمار مودة
كبيرة ، وكان بينهما كاتب ، وكان سبب ذلك أنه كان له مملوك
أرمني يسمى رسلان ، وكان زعيم عسكره ، فبلغه عنه ما أنكره ،
فقال: انهب عني ، وأنت آمن مني على نفسك ، فذهب إلى
طرابلس ، وقصد ابن عمار ، فذفد إلى سديد الملك وسأله في حرمه
وماله ، فأمر بإطلاقهم ، وما اقتناه من دوابه . فلما خرج لحقه سديد
الملك ، فقال له الرسول: غدرت بعبيدك ، ورغبت في ماله ، فقال : لا ،
ولكن كل أمر له حقيقة ، حُطوا عن الجمال أحمالها ، وعن البغال
اثقالها ، ففعلوا ، فقال: أثبتوا كل ما معه ليعرف أخبي قدر ما
فعلته ، فكان ما أخرج له من ذهب عين خمسة وعشرين ألف دينار في
قدور نحاس ، وكان له من الديباج والفضة ما يزيد على القيمة ،
فقال للرسول: ابلغ ابن عمار سلامي ، وعرفه بما ترى لئلا يقول
رسلان أخذته بغير علم مولاي ، ولو دري لم يمكني منه ، فزاره
سديد الملك في بعض السنين. فلما فارقه كتب إليه:

أحبابنا لو لقيتم في مقامكم
من الصباية ما لاقيت في ظعني

لأصبح البحر من أنفاسكم نفسا
كالبر من أدمعي يذشق بالسفن
قال أبو الحسن ما عرفت أني أعمل الشعر حتى قلت:

يجني ويعرف ما يجني فأذكره
ويدعي أنه الحسن فأعترف
وكم مقام لما يرضيك قمت على
جمر الغضا وهو عندي روضة انف

وما بعثت رجائي فيك مستترا
إلا خشيت عليه حين يذكشف

وله:

في كل يوم من تجنيك لي
تعنت يعزب معناه

إني لأرثي لك من طول ما
تفكر فيما تتجناه

وكتب الى سابق بن محمود بن نصر بن صالح صاحب قلعة حلب
شفاة في أبي نصر بن النحاس الكاتب الحلبي:

إيها أبا النصر يقيقك بنفسه
خل يجلك أن يقيق بماله
سل ما بقلبك عن نخائر قلبه
فلسان حالك مخبر عن حاله

كيف استسر ضياء فضلك كاملا
مايستر البدر عند كماله

لا تجزعن اذا غربت فانه
ليل دجا سيضيء من أذياله

أتخاف من عز الملوكة جناية
وخصيمه فيها كريم خلاله

حاشاه يسلب ماكسا احسانه
فكثير وجدك من قليل نواله

ملك يحب العدل في أحكامه
الا مع الراجي على أقواله

لو تنصف الدنيا لكان ملوكها
عماله والأرض من أعماله

يا أيها الملك الذي آياته
في المجد بين يمينه وشماله

فيد تشب النار في سدواته
ويد تصب الغيث من أفضاله

ارجع لعبدك صافحا عن جرمه
فالملك مقتدر الى امثاله

عقم النساء فما يلدن ذنبيره
في فضل صنعته وفضل مقاله

دع رتبة لم تلفه أهلا لها
وازده في المعروف من أشغاله

توفي الأمير أبو الحسن سنة تسع وسبعين وأربع منه.

obeikandi.com

معركة منا زكرد

(من تاريخ ميخائيل بيسلوس ص ٣٥٥ - ٣٥٦)

اما بالنسبة للامبراطورة فقد عاملها الامبراطور وكأنها امة اسرت في الحرب ، وكان على استعداد للموافقة حتى على طردها الى خارج القصر وكان يرتاب بالقيصر ، وسارع في عدة مناسبات لالقاء القبض عليه ومن ثم اعدامه ، لكنه غير رأيه بعد ذلك وتخلي عن الفكرة ، وكان قانعا في الوقت الحالي بربطه مع ابنه بحلف يمين بانهما سيبقيان مخلصين له ، وعندما وجد نفسه لايمتلك سببا مسوغا لتنفيذ خططه التي رعاها سرا ودبرها ضد القيصر انطلق في حملته الثالثة ضد البرابرة ، الذي اتخذوا موقفا معاديا بكل وضوح ، فقد كانوا منهمكين في الاغارة على الاراضي الرومية، وما ان حل الربيع حتى اجتاحتها ثانية بقوات معتبرة ، ولهذا غادر رومانوس مجددا العاصمة ليقا تلهم ، مصطحبا بتشكيلات كبيرة من الحلفاء والقوات المحلية كانت اكبر من ذي قبل

ووفقا لما اعتاد عليه في رفض جميع النصائح سواء حول المسائل المدنية او العسكرية انطلق بالحال مع جيشه واسرع نحو قيسارية وبعدها وصل الى غايته وجد نفسه كارها لمتابعة الزحف وحاول ايجاد عذر للعودة الى القسطنطينية ، واراد هذا لامن اجل نفسه فقط بل من اجل جيشه ، وعندما شعر بالعار الذي سيتورط فيه اذا قام بهذا التراجع ، وان ذلك لايمكن التساهل به ، رأى ان عليه ان يتوصل على الأقل الى اتفاق مع اعدائه فيوقف غاراتهم واعتداءاتهم السنوية ، لكنه عوضا عن ذلك زحف يريد الحرب ولاادري سبب ذلك هل كان مصدره اليأس او انه كان واثقا من نفسه اكثر مما ينبغي. زحف دون ان يتخذ ما يكفي من اجراءات لحماية ساقته، وعندما رأى العدو زحفه قرر التفرير به واجتذابه مسافة ابعد

وتصيده بالحيلة والخديعة ، وبناء عليه ظهر الأعداء أمامه ثم تراجعوا ثانية ، وكان واضحا ان هذا التراجع كان مخططا له ، واستطاعوا بتطبيقهم هذا التكتيك مرارا ان ينجحوا في عزل بعض قادته الذين اخذوهم اسرى .

وكنت الآن عارفا - مع انه لم يكن كذلك - ان السلطان نفسه ملك الفرس والکرد كان موجودا شخصيا مع جيشه وان معظم انتصاراتهم يعود الفضل في حيازتها لقيادته ، ورفض رومانوس ان يصدق اي انسان حاول ان يبين له مدى تأثير السلطان على هذه النجاحات ، في الحقيقة انه لم ير السلام ، وقد خيل اليه انه سيتمكن من الاستيلاء على معسكر البرابرة بدون قتال ، ولسوء حظه وبسبب جهله بالعلوم العسكرية وزع قواته وفرقها ، وفقط تجمع حوله قلة منهم ، اما الآخرين فقد أرسلوا بعيدا ليتمركزوا في مواقع أخرى ، وهكذا قام بمواجهة اعدائه فعليا باقل من نصف قواته بدلا من مواجهتهم بها موحدة جمعا واحدا .

ومع انني لا أستطيع ان امتدح تصرفاته المقبلة انه من الصعب بالنسبة لي توجيه النقد له ، والحقيقة هي انه حمل بنفسه ثقل المخاطر جميعها ، ويمكن تفسير عمله بطريقتين ، ويمثل رأيي الشخصي طريقا وسطا بين طريقتين متباعدين جدا ، فمن الجانب الأول اذا ما اعتبرته بطلا لم يهتم بالمخاطر وقاتل بكل شجاعة فهنا انه لمن المنطقي مدحه ، ومن الجانب الآخر عندما يقدر المرء ان قائدا عسكريا متوجب عليه لدى تقبله لقوانين الاستراتيجية ان يبقى بعيدا عن خطوط القتال يشرف من عل على تحركات جيشه ويصدر الأوامر الضرورية للرجال تحت قيادته ، وعلى هذا سيظهر ما قام به رومانوس في هذه المناسبة حماقة الى ابعد الحدود لأنه عرض نفسه للمخاطر دون تفكير في النتائج ، واميل انا شخصيا الى المدح اكثر مني الى توجيه اللوم له على ما حصل .

ومهما يكن من امر لقد لبس سابغته وتسلح بشكل كامل مثله مثل اي عسكري عادي ، وامتشق حسامه ضد اعدائه ، وتبعنا لما حكاها

عدد من رواتي لقد قتل عددا كبيرا منهم وجعل بعضا منهم يلود بالفرار ، وفيما بعد عندما تعرف الذين كانوا يقاتلوه الى شخصيته وعرفوا من هو طوقوه من جميع الجوانب ، وقد أصيب بالجراح وسقط من على فرسه ، وطبعا اعتقلوه ، والأن اقتيد إمبراطور الروم بعيدا كأسير الى داخل معسكر العدو ، وتمزق جيشه وتفرق ، وكان عدد الذين نجوا ضئيلا بالنسبة للمجموع العام ، واخذ بعض الاكثرية اسرى ، وجرى قتل الباقين .

ليس في نيتي في هذه الساعة ان اكتب عن الوقت الذي قضاه الامبراطور فيما بعد ، وبعد عدة ايام من المعركة وصل احد الناجين الى المدينة ووقف امام رفاقه وروى لهم الاخبار المرعبة ، وما لبث ان وصل بعده رسول آخر ثم آخر ، ولم تكن الصورة التي رسموها واضحة ابدا ، لأن كل واحد منهم وصف الفاجعة بطريقته ، وهكذا قال بعضهم ان رومانوس قد مات ، وقال آخرون هو أسير فقط . واكد آخرون ثانية انهم رأوه يصاب بالجراح ثم يجر الى الأرض ، وقال آخرون انهم رأوه يقاد مقيدا بالسلاسل بعيدا الى داخل معسكر العدو ، وفي ضوء هذه المعلومات عقد مؤتمر في العاصمة ، واتفق المؤتمرون وقرروا بالاجماع ان عليهم ان يتجاهلوا الآن مسألة فيما اذا كان الامبراطور سجيننا او ميتا ، وان على يودوشيا وابنها تحمل مسؤوليات حكومة الامبراطورية .

معركة منا زكرد

(من مرآة الزمان نقلا عن تاريخ غرس النعمة محمد بن هلال الصابي ١٤٦ - ١٥١)

وضجر السلطان من المقام بحلب فكر راجعا فقطع الفرات وهلك اكثر الدواب والجمال وكان عبوره شبه الهارب ولم يلتفت الى ما ذهب من الأرواح والدواب وعاد رسول الروم مستبشرا الى صاحبه فقوى ذلك عزم ملك الروم على اتباعه وحره ...

وجاءه (اي السلطان الب ارسلان) خبر ملك الروم انه قد تجهز في العساكر الكثيرة وانه قاصد بلاد الاسلام ، وكان السلطان في قليل من العسكر لأنهم عادوا جافلين من الشام ، وتلك الجفلة استهلكت اموالهم ودوابهم فطلبوا مراكزهم وبقي السلطان في اربعة الاف غلام ولم ير الرجوع لجمع العساكر فتكون هزيمة ، فأنفذ بخاتون السفيرية مع نظام الملك والأثقال الى همذان ، وامره بجمع العساكر وانفاذها اليه ، وقال لوجوه عسكره الذين بقوا ، انا صابر صبر المحتسبين وصائر في هذه الغزاة مصير المخاطرين فان نصرني الله فذاك ظني في الله تعالى ، وان تكن الأخرى فاننا اعهد اليكم ان تسمعوا لولدي ملك شاه وتطيعوه وتقيموه مقامي فقالوا : سمعا وطاعة ، وبقي في جريدة مع العسكر الذي ذكرنا ، ومع كل غلام فرس يركبه وآخر يجنبه ، وسار قاصدا ملك الروم ، وارسل احد الحجاب الذين كانوا معه في جماعة من الغلمان مقدمة له ، فصادف عند خلاط صليبيا تحته مقدم للروم في عشرة الاف فحاربهم فنصر عليهم واسر المقدم ، وكان من الروم ، واخذ الصليب وبعث به الى السلطان بذلك فاستبشر وقال : هذه امارة النصر ، وارسل بالصليب الى همذان وانف المقدم ، ثم امر بان يحمل الى الخليفة

ووصل ملك الروم الى منازل كرد فآخذها بالامان وقصد ناحية السلطان في موضع يعرف بالزهرة بين خلاط ومناز كرد لخمس بقين من ذي القعدة ، فبعث اليه السلطان بان يرجع الى بلاده ويتم الصلح الذي توسطه الخليفة فقال : لا ارجع حتى افعل ببلاد الاسلام مثل ما فعل ببلاد الروم ، وقد انفقت الأموال العظيمة فكيف ارجع وكان اليوم الأربعاء ، واقام السلطان الى نهار الجمعة وجمع وقت الصلاة اصحابه وقال :

الى متى نحن في نقص وهم في زيادة اريد ان اطرح نفسي عليهم في هذه الساعة التي جميع المسلمين يدعون لنا على المنابر ، فان نصرنا عليهم والا مضينا شهداء الى الجنة فمن احب ان يتبعني فليتبع ، ومن احب ان ينصرف فليتنصرف مصاحبا فماها هنا اليوم سلطان وانما انا واحد منكم وقد فتحنا على المسلمين ما كانوا عنه غناء فقالوا : ايها السلطان نحن عبيدك ومهما فعلت تبعنك ، وكان قد اجتمع اليه عشرة الاف من الأكراد ، وانما اعتماده بعد الله تعالى على اربعة الاف الذين كانوا معه ، وملك الروم في مائة الف مقاتل ومائة الف نقاب ، ومائة الف جرخي ، ومائة الف صانع ، واربعمائة عجلة تجرها ثمانمائة جاموس عليها نعال ومسامير ، والفا عجلة عليها السلاح والمجانيق والة الزحف ، وكان في عسكره خمسة وثلاثون الف بطريق ومعه منجنيق يمداه الف رجل ومائتا رجل ، ووزن حجره عشرة قنابير ، وكل حلقة منه مائتا رطل بالشامي ، وكان في خزائنه الف الف دينار ومائة الف ثوب ابريم ، ومن السروج الذهب والمناطق والمصاغيات بمثل ذلك، وكان قد اقطع البطارقة البلاد: مصر والشام وخراسان والري والعراق واستثنى بغداد فقال : لا تتعرضوا لذلك الشيخ الصالح فانه صديقنا - يعني الخليفة - وكان عزمه ان يشتهي بالعراق ، ويصيف بالعجم ، واستناب في القسطنطينية من يقوم مقامه ، وعزم على خراب بلاد الاسلام ، فلما كان يوم الجمعة وقت الصلاة وقد شاور السلطان اصحابه قام قائما ورمى القوس والنشاب من يده وشد نوب فرسه بيده ، واخذ الدبوس ، وفعل اصحابه كذلك وبغتوا الروم

فقاتلوهم وما لحق الملك بان يركب فرسه ، وما ظن انهم تقدموا عليه فنصر الله المسلمين عليهم فانهمزوا وتبعهم السلطان بقية نهار الجمعة . وليلة السبت يقتل ويأسر فلم ينج منهم الا القليل ، وغنموا جميع ما كان معهم ورجع السلطان الى مكانه فدخل عليه الكوهراذين فقال : ان احد غلماني قد اسر ملك الروم ، وكان غلامي هذا قد عرض على نظام الملك فاحتقره واسقطه ، فكلمته فيه فقال مستهزئا به ، لعله يجيئنا بملك الروم اسيرا فاجرى الله تعالى اسر ملك الروم على يده ، واستبعد السلطان لذلك وارسل خادما يقال له شاذي كان قد راسله به فلما راه عرفه ، فرجع واخبر السلطان فامر بانزاله في خيمة ووكل به ، واستدعى الغلام وساله : كيف اسرتة ؟ فقال : رايت فارسا وعلى رأسه صليبان وحوله جماعة من الخدم الصقالبه فحملت عليه لأطعنه فقال لي واحد منهم : لاتفعل فهذا الملك . فاحسن السلطان اليه وخلع عليه وجعله من خواصه فقال : اريد بشارة غزاة فاعطاه اياها .

ثم ان السلطان احضر الملك واسمه ارمانوس وضربه ثلاث مقارع ورفسه برجله ووبخه وقال : ألم ارسل اليك رسل الخليفة اطال الله بقاءه في امضاء الهدنة فأبيت ؟ ألم ارسل اليك بالأمس أسألك الرجوع فقلت : قد انفقت الأموال وجمعت العساكر الكثيرة حتى وصلت الى هاهنا وظفرت بما طلبت فكيف ارجع الا ان افعل ببلاد المسلمين مثل ما فعلوا ببلادي ؟ ولقد رايت اثر البغي وكان قد جعل في رجليه قيدين وفي عنقه غلا فقال : ايها السلطان قد جمعت العساكر من سائر الأجناس وانفقت الأموال لأخذ بلادك ولم يكن النصر الا لك ، وبلائي ووقوفي على هذه الحال بين يديك بعد هذا فدعني من التوبيخ والتعنيف وافعل ما تريد فقال له السلطان : فلو كان الظفر لك ما كنت تفعل معي ؟ فقال القبيح ، فقال : أه والله صدق ولو قال غير هذا لكذب ، هذا رجل عاقل ولا يجوز ان يقتل ، ثم قال له : ما تظن الآن ان افعل بك؟ قال احد ثلاثة اقسام : اما الاولى : فقتلي ، والثاني اشهاري في بلادك التي تحدثت بقصدها ، واما الثالث فلا فائدة في ذكره فانك لا تفعله ، قال : وما

هو ! قال :العفو عني وقبول الأموال والهدية واصطناعي وردي الى ملكي مملوكا لك وبعض اسفهلاريك ونائبك في الروم ، فإن قتلك لي لا يفيدك ، هم يقيمون غيري . فقال السلطان: ما نويت الا العفو عنك فاشتر نفسك ، فقال: يقول السلطان ما يشاء فقال: عشرة الاف الف دينار فقال :والله انك تستحق ملك الروم اذ وهبت لي نفسي ولكن انفقت أموال الروم واستهلكتها منذ وليت عليهم في تجريد العساكر والحروب وافقرت القوم ، ولم يزل الخطاب يتردد الى أن استقر الأمر على الف الف وخمسمائة الف دينار ، وفي الهدنة على ثلاثمائة الف دينار وستين الف دينار في كل سنة ، وأن ينفذ من العساكر الروم ما تدعو الحاجة اليه وذكر أشياء:فقال: اذا مننت علي عجل سراحي قبل أن تنصب الروم ملكا غيري فيفوت المقصود ، ولا أقدر على الوصول اليهم فلا يحصل شيء مما شرطته علي . فقال السلطان: أريد أن تعيد انطاكية والرها ومنبج ومناز كرد فانها اخذت من المسلمين عن قرب ، وتفرج عن أسارى المسلمين .

فقال : اما البلاد فان وصلت سالما الى بلادي انفذت اليهم بالعساكر وحاصرتهم واخذتها منهم وسلمتها اليك ، فأما القوم فلا يسمعون مني واما أسارى المسلمين فالسمع والطاعة اذا وصلت سرحتهم وفعلت معهم الجميل ، فأمر السلطان بفك قيوده وغله ثم قال: أعطوه قدحا ليسقنيه ، فظنه له فأراد أن يشربه فمنع وأمر بأن يخدم السلطان ويناوله القدح ، فأومأ الى تقبيل الأرض وناول السلطان القدح فشربه وجز شعره وجعل وجهه على الأرض وقال: اذا خدمت الملوك فافعل هكذا وانما فعل السلطان ذلك لسبب اقتضاه وهو: أن السلطان لما كان بالري عزم على غزو الروم فقال لفراموز بن كاكوية ها انذا امضي الى قتال ملك الروم واخذه أسيرا وأوقفه على رأسي ساقيا فحقق الله قوله ، واشترى جماعة من البطارقة ، واستوهب آخرين ، فلما كان من الغد احضره السلطان وقد نصب له سريره ودسته الذي اخذ منه ، فأجلسه عليه وخلع عليه قباءه وقلنسوته والبيسه اياهما بيده ، وقال: قد اصطنعتك وقنعت بأمانتك وأنا اسيرك الى بلادك وأردك التي ملكك فقبل الأرض ، وكان لما بعث

الخليفة ابن المحلبان اليه أمره بكشف رأسه وشد وسطه وأن يقبل الأرض بين يديه فقال له السلطان: الست الفاعل بابن المحلبان رسول الخليفة كذا وكذا فقم الآن واكشف رأسك وشد وسطك وأومئ الى ناحية الخليفة وقبل الأرض ، ففعل ، فقال السلطان: اذا كنت أنا ، وأنا أقل الملوك الذين في طاعته فعلت بك ما فعلت وأنا في شرملة من جندي وقد حشدت دين النصرانية ، فكيف لو كتب الخليفة الى ملوك الأرض يأمرهم فيك بأمر؟ وعقد له السلطان راية فيها مكتوب (لا اله الا الله محمد رسول الله) وأنفذ معه حاجبين ومائة غلام فوصلوا به الى القسطنطينية ، وركب معه وشيعه قدر فرسخ فأراد أن يترجل فمنعه السلطان وحلف عليه وضمه اليه وتعانقا وعاد السلطان عنه.

ثم حكى ملك الروم فقال: العادة جارية أن الملك الخارج من القسطنطينية اذا أراد الخروج الى حرب دخل البيعة الكبرى واستشفع بصليب ذهب بها مرصع بالياقوت ، قال: فدخلت البيعة لما عزمت على هذه السفارة واستشفعت اليه واذا بالصليب قد زال عن موضعه الى القبلة الاسلامية فعجبت من ذلك وسويته الى المشرق ، وأتيته من الغد واذا به قد مال الى القبلة فأمرت بشده بالسلاسل ثم دخلت اليه في اليوم الثالث واذا به قد مال الى القبلة ، فتطيرت وعلمت أنني مغلوب ، ثم غلبني الهوى والطمع ، فسرت الى بلاد الاسلام فكان مني ما كان.

معركة منازکرد

(من تاريخ العظيمي «مخطوطة بيازيد ١٨١ ظ»)

سنة ٤٦٣.

حصر السلطان العادل حلب ، وخطب بها محمود للمسيبتنصر ،
ثم انصلح امره ، وخرجت امه السيدة الى السلطان ، وخرج محمود
ووطيء بساطه ، فأنعم عليه بالبلد .
ورحل - السلطان - قاصدا للقاء ملك ديجانس ملك الروم لأنه
كان قد عاث في البلاد فلقية بأطراف منازکرد فكسره السلطان وأسره
وباعه بدينار ، وأطلقه السلطان ورده الى بلاده ، فكحله الروم .

معركة منا زكرد

(من كتاب المنتظم لابن الجوزي ٢٦٠ - ٦٥)

ثم دخلت سنة ثلاث وستين وأربعمائة.

فمن الحوادث فيها ورد على السلطان خبر ملك الروم في جمعه العساكر الكثيرة ومسيره نحو البلاد الاسلامية ، وكان السلطان في فل من العساكر لأنهم عادوا من الشام جافلين الى خراسان للغلاء الذي استنفذ أموالهم ، فطلبوا مراكزهم راجعين ، وبقي السلطان في نحو أربعة آلاف غلام ، ولم ير مع ذلك أن يرجع الى بلاده ولم يجمع عساكره فيكون هزيمة على الاسلام ، وأحب الغزاة والصبر فيها فأنفذ خاتون السفيرية ونظام الملك والأثقال الى همذان وتقدم اليه بجمع العساكر وانفاذها ، وقال له ولوجوه عسكره: أنا صابر في هذه الغزاة صبر المحتسبين ، وصائر اليه مصير المخاطرين ، فان سلمت فذاك ظني في الله تعالى ، وأن تكن الاخرى فأنا أعهد اليكم ان تسمعوا لولدي ملك شاه وتطيعوه وتقيموه مقامي وتملكوه عليكم ، فقد وقفت هذا الأمر عليه ورددته اليه ، فأجابوه بالدعاء والسمع والطاعة. وكان ذلك من فعل نظام الملك وترتيبه ورأيه.

وبقي السلطان مع القطعة من العسكر المذكورة جريدة ومع كل غلام فرس يجذبه ، وسار قاصدا لملك الروم فحاربهم فنصر عليهم وأخذ الصليب ، وهربوا بعد ان أثنوا قتلًا وجراحا ، وحمل مقدمهم الى السلطان فأمر بجذع أنفه وأنفذ الصليب وكان خشبا وعلية فضة واقطاع من فيروزج وأنجلا كان معه في سبط من فضة ، الى همذان ، وكتب معه الى نظام الملك بالفتح وأمر ان يحمل الى حضرة الخلافة .

ووصل ملك الروم فالتقيا بموضع يقال له الزهرة في يوم الأربعاء

لخمس وخمسين من ذي القعدة ، وكثر عسكر الروم ، وجملة من كان مع السلطان يقاربون عشرين الفا ، وأما ملك الروم فإنه كان معه خمسة وثلاثون الفا من الأفرنج وخمسة وثلاثون..... في مائتين بطريق ومتقدم مع كل رجل منهم بين ألفي فارس الى خمسمائة وكان معه خمسة عشر الف روز جاري ، وأربعمائة عجلة عليها السلاح والسروج والعرادات والمجانيق منها منجنيق يمدده الف رجل ومائتا رجل.

فراسل السلطان ملك الروم بأن يعود الى بلاده: وأعود أنا وتتم الهدنة بيننا التي توسطنا فيها الخليفة ، وكان ملك الروم قد بعث رسوله يسأل الخليفة أن يتقدم الى السلطان بالصلح والهدنة ، فعاد جواب ملك الروم بأني أنفقت الأموال الكثيرة وجمعت العساكر الكثيرة للوصول الى مثل هذه الحالة ، فإذا ظفرت بها فكيف أتركها ، هيهات لا هدنة الا بالري ، ولا رجوع الا بعد أن أفعل ببلاد الاسلام مثل ما فعل ببلاد الروم.

فلما كان وقت الصلاة من يوم الجمعة صلى السلطان بالعسكر ودعا الله تعالى وابتهل وبكى وتضرع ، وقال لهم: نحن مع القوم تحت الناقص وأريد أن أطرح نفسي عليهم في هذه الساعة التي يدعى فيها لنا وللمسلمين على المنابر ، فاما أن أبليغ الغرض ، وأما أن أمضي شهيدا الى الجنة فمن أحب أن يتبعني منكم فليتبعني ومن أحب أن ينصرف فليمض مصاحباً عني فما هاهنا سلطان يأمر ، ولا عسكر يؤمر فانما أنا اليوم واحد منكم وغاز معكم ، فمن تبعني ووهب نفسه لله تعالى فله الجنة والغنيمة ، ومن مضى حقت عليه النار. والفضيحة . فقالوا له : أيها السلطان نحن عبيدك ومهما فعلته تبعناك فيه وأعناك عليه فافعل ماتريد ، فرمى القوس والذشاب ولبس السلاح وأخذ الدبوس وعقد ذنب فرسه بيده وركبها ، ففعلوا مثله وزحف إلى الروم وصاح وصاحوا ، وحمل عليهم وثار الغبار واقتتلوا ساعة أجلت الحال فيها عن هزيمة الكفار ، فقتلوا يومهم ولبلتهم القتل الذريع ونهبوا وسلبوا الذهب والسلب العظيم ، ثم عاد السلطان إلى موضعه فدخل عليه الكهراشي الخادم فقال : يا سلطان

أحد غلماني قد ذكر أن ملك الروم في أسره ، وهذا الغلام عرض على نظام الملك في جملة العسكر ، فاحتقره وأسقطه ، فخطب في أمره فأبى أن يثبته وقال مستهزئاً : لعله أن يجيئنا بملك الروم أسيراً فأجرى الله تعالى أسر ملك الروم على يده ، واستبعد السلطان ذلك ، واستحضر غلاماً يسمى شاندي كان مضى دفعات مع الرسل إلى ملك الروم فأمره بمشاهدته وتحقيق أمره ، فمضى فراه ، ثم عاد فقال : هو هو ، فتقدم بضرب خيمة له ونقله إليها وتقييده وغل يده إلى عنقه ، وأن يوكل به مائة غلام ، وخلع على الذي أسره وحجبه وأعطاه ما اقترحه واستشرحه الحال ، فقال : قصدته وما اعرفه وحوله عشرة صبيان من الخدم ، فقال لي أحدهم : لا تقتله إنه الملك فأسرته وحملته .

فتقدم السلطان بإحضاره ، فأحضر بين يديه ، فضربه بيده ثلاث مقارع أو أربعا ، ورفسه مثلها ، فقال له : ألم أذن لرسل الخليفة في قصدك وإمضاء الهدنة معك ، وإجابتك في ذلك إلى ملمسك ؟ ألم أرسل لك الآن وأبذل لك الرجوع عنك فأبيت إلا ما يشبهك ، فأبى شيء حملك على البغي ؟ فقال : قد جمعت أيها السلطان واستكثرت واستظهرت وكان النصر لك فافعل ماتريد ، ودعني من التوبيخ ، قال : فلو وقعت معك ماذا كنت تفعل بي ؟ قال : القبيح ، قال : صدق والله ، ولو قال غير ذلك لكنت لكتب ، وهذا رجل عاقل جلد لا ينبغي أن يقتل . قال : وما تظن الآن أن يفعل بك ؟ قال : أحد ثلاثة أقسام : الأولى : قتلي ، والثانية : إشهاري في بلادك التي كدت بقصدها وأخذها ، والثالثة : لافائدة في ذكره فإنك لاتفعله ، قال : فاذكره ، قال : العفو عني وقبول الأموال والفدية مني واصطناعي وردي إلى ملكي مملوكا لك نائباً في ملك الروم عنك ، قال : ما اعتزمت فيك إلا هذا الذي وقع يأسك منه وبعد ظنك منه ، فهات الأموال التي تفك رقبتك فقال : يقول السلطان ماشاء . فقال : أريد عشرة آلاف دينار فقال : والله أنك تستحق مني ملك الروم إذ وهبت لي نفسي ، ولكني قد أنفقت واستهلكت من أموال الروم عشرة آلاف دينار منذ وليت عليهم في تجديد العساكر والحروب التي

بليت بها إلى يومي هذا فأفقرتهم بذلك ، ولولا هذا ما استكثرت
شينا تقترحه ، فلم يزل الخطاب يتردد إلى أن استقر الأمر على ألف
الف دينار في كل سنة ، وإطلاق كل أسير في الروم ، وحمل الطاف
وتحف مضافة إلى ذلك ، وأن يحمل من عساكر الروم المزاخرة العلل
ما يلتبس أي وقت دعت حاجة إليها ، فقال له : إذا كنت قد مننت
علي فعجل تسريحي قبل أن تنصب الروم ملكا غيري ، ولا يمكنني أن
أقرب منهم ، ولا أفي بشيء مما بذلته .

فقال السلطان أريد أن تعيد أنطاكية والرها ومنبج فإنها أخذت من
المسلمين عن قرب وتطلق أسارى المسلمين ، فقال : إذا رجعت إلى
ملكى فأنفذ إلى كل موضع منها عسكرا ، وحاصره لاتوصل إلى
تسليمها ، فأما أن ابتدء بذلك فلا يقبل مني ، وأما الأسارى فأنا
أسرحهم وأفعل الجميل معهم .

فتقدم السلطان بفك قيده وغله ، ثم قال : أعطوه قدحا ليسقينيهِ
فأعطي فظن أنه له فأراد أن يشربه فمنع منه ، وأمر أن يخدم
السلطان ويتقدم إليه ويناوله إياه وأوما إلى الأرض إيماء قليلا على
عادة الروم ، وتقدم إليه فأخذ السلطان القدح وجز شعره فجعل
وجهه على الأرض وقال : إذا خدمت الملوك فافعل هكذا ، وكان لذلك
سبب اقتضاه وهو أن السلطان قال في الري:ها أنا أمضي إلى قتال
ملك الروم وأخذه أسيرا وأقيمه على رأسي ساقيا ، وانصرف ملك
الروم إلى خيمته فاقترض عشرة آلاف دينار فأصلح منها شأنه
وفرقت الحواشي والأتباع والموكلين به ، واشترى جماعة من
بطارقه واستوهب آخرين .

فلما كان من الغد أحضره وقد ضرب له سريره وكرسیه اللذان أخذنا
منه فأجلسه عليهما وخلع قباءه وقلنسوته فألبسه إياهما وقال له :
قد اصطنعتك وقنعت بقولك وأنا أسيرك إلى بلادك وأردك إلى ملكك ،
فقبل الأرض ، وقال له ، ألم ينفذ إليك خليفة الله تعالى في أرضه
رسولا يملك به ويقصد إصلاح أمرك فأمرت بأن يكشف رأسه
ويشد وسطه ويقبل الأرض بين يديك ؟ وكان بلغه أنه فعل هذا بابن

المحلبان فقال : أليس الأمر على مايقول ؟ وبان له منه تغير ، فقال : ياسلطان في أي شيء وفقت حتى أوفق في هذا ؟ وقام وكشف رأسه وأوماً إلى الأرض ، وقال : هذا عوض عما فعلته برسوله ، فسر السلطان بذلك وتقدم بأن تعقد له راية عليها مكتوب لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فرفعها على رأسه ، وأنفذ حاجبين ومائة غلام يسرون معه إلى قسطنطينية وشيعة نحو فرسخ ، فلما ودعه أراد أن يترجل فمنعه السلطان واعتنقا ثم افترقا .

وهذا الفتح في الاسلام كان عجباً لانظير له فإن القوم اجتمعوا ليزيلوا الاسلام واهله ، وكان ملك الروم قد حدثته نفسه بالمسير إلى السلطان ولو إلى الري ، واقطع البطارقة البلاد الاسلامية ، وقال لمن اقطعه بغداد لاتتعرض لذلك الشيخ الصالح فإنه صديقنا ، يعني الخليفة ، وكانت البطارقة تقول : لا بد أن نشتو بالري ، ونصيف بالعراق ، ونأخذ في عودنا بلاد الشام .

فلما كان الفتح ووصل الخبر إلى بغداد ضربت الدباب والبوقات وجمع الناس في بيت النوبة ، وقرئت كتب الفتح .

ولما بلغ الروم ماجرى حالوا بينه وبين الرجوع إلى بلادهم وملكوا غيره ، فأظهر الزهد ولبس الصوف ، وأنفذ إلى السلطان مائتي ألف دينار وطبق ذهب عليه جواهر قيمتها تسعون ألف دينار، وحلف بالانجيل أنه ما يقدر على غير ذلك ، وقصد ملك الأرمن مستضيفاً به وكحله ، وبعث إلى السلطان يعلمه بذلك .

معركة منا زکرد

(من تاريخ دولة آل سلجوق للعماد الاصفهاني - الذي هذبه
البنداري : ٣٧ - ٤٢)

وبلغ السلطان خروج ارمانوس ملك الروم في جمع لايحصى عدده ،
فلما سمع هذا الخبر اغذ السير الى انزبيجان اذ شتمع ان متملك
الروم اخذ على سمت خلاط ، وكان السلطان في خواص جنده فلم ير
ان يعود الى بلاده ليجمع عساكره ويستدعي من الجهات للجهاد
قبائل الدين وعشائره ، فسير نظام الملك وزيره وخاتون زوجته الى
تبريز مع اثقاله ، وبقي في خمسة عشر الف فارس من نخب رجاله
ومع كل واحد فرس يركبه وآخر يجنبه ، والروم في ثلاثمائة الف
ويزيدون ما بين رومي وروسي وغزي وقفجاقني وكرجي وابخاتي
وفرنجي وارمني ، وراى السلطان انه ان تمهل لحشد الجموع ذهب
الوقت وعظم بلاء البلاد وثقلت اعباء العباد ، فركب في نخبته وتوجه
في عصبته وقال : انا احسب عند الله نفسي ، وان سعدت بالشهادة
ففي حواصل الطيور الخضر من حواصل الذنور الغبر رمسي ، وان
نصرت فما اسعدني وانا امسي ويومي خير من امسي .

ثم توكل على الله وسار بهذه العزيمة الماضية القوية والصريمة
الصارمة الروية ، وكان متملك الروم قد قدم رؤساء مقدمين من
الروس في عشرين الف فارس ومعهم عظيمهم الاصلب وصليبهم
الاعظم ، وخالطوا بلاد خلاط بالبلاء والسلب والاسباء ، فخرج اليهم
عسكر خلاط ومقدمهم صندوق التركي ، فصب صبح البيض على ليل
النقع المظلم وخاض الى العز مشمرا نار الحريق المتضرم ، وقتل
منهم خلقا كثيرا وقاد قاندهم في القيد اسيفا اسيرا فامر السلطان
بجدع انفه وارجاء حتفه ، وذلك يوم الثلاثاء رابع ذي القعدة سنة

٤٦٣ وعجل الصليب السليب الى نظام الملك ليعجل انفاذه الى دار السلام مبشرا لسلامة الاسلام ، وتلاحق عسكر الروم ونزل على خلاط محاصرا ، واهلها واثقون بالله الذي لم يزل لدينه ناصرا ، ونزل متملك الروم على مناز كرد في انصار نصرانيتها وعمداء معموديته ، فانزعج سكانها وعلموا انه ليست لهم بما نزل بهم طاقة وان دماءهم لاشك بسيوف الكفر مهراقة ، فخرجوا بامان وسلموا البلد فبيتهم تلك الليلة عند بلاطه تحت احتياطه ، فلما بكر يوم الاربعاء سيرهم بامرهم في اسر ، واردفهم بعسكر مجر ، وخرج ليشيعهم بنفسه وهو في جماعة حماته وحمسه ، ووافق ذلك وصول اوائل العسكر السلطاني ووقعت العين في العين واجتمعت في المجالدة اجادل الجمعين وجرى الخيل وجرف السيل وانجر من الارض على السماء الذيل ، وصحت على الروم كسرة اردتهم وصدفتهم عن مقصدهم وصدتهم فانعكسوا الى مجثمهم في مخيمهم ، وانكشفوا بما تم من عرس الاسلام بما تمهم ، وشرعت المنازكردية بالتسلسل فقتل الروم منهم من ادركه اجله ونجا الباقون ، وعرف الروم انهم للموت ملاقون ، وعاد متملكهم الى مضاربه وبات تلك الليلة والكوسات تصرخ والبوقات تذفخ ، ولما اصبحوا بكرة الخميس وصل السلطان الب ارسلان ونزل على النهر ومعه من المقاتلة خمسة عشر الف فارس لايعرفون سوى القتل والقهر ، وكلب الروم نازل بين خلاط ومنازكرد في موضع يعرف بالزهرة وهو في مائتي الف فارس من نوي القلوب المدلهمة والوجوه المكفهرة ، وبين العسكرين فرسخ وبين مجرى التوحيد والتلث برزخ ، فارسل الب ارسلان رسولا وحمله سؤالا ، ومقصوده ان يكشف سرهم ويتعرف امرهم ويقول للملك ان كنت ترغب في هدنة اتمناها ، وان كنت تزهد فيها توكلنا على الله في العزيمة وصممناها ، فظن انه انما راسله عن خور فابى واستكبر ونبا وتعسر ، واجاب بانى سوف اجيب عن هذا الراى بالرى، وانتهى الى غاية الغي ، فاغتاظ السلطان وارتفعت بينهما المخاطبة وانقطعت المواصله ، ولبثا يوم الخميس يعبيان ولداعي المنون يلبيان ، والشمس تشكو حر ما تصاعد اليها من زفرات

الاحقاد وكانما شعاعها دم اراقته على الافاق وخزات تلك الصعاد ،
 والطلائع على المطالع ، والنوايا على الثنايا ، والعزم السلطاني الى
 اللقاء مشربن وللمضاء مستتب فقال له فقيهه وامامه محمد بن عبد
 الملك البخاري الحنفي : انك تقاتل عن دين الله الذي وعد باظهاره ،
 فالقهم يوم الجمعة بعد الزوال والناس يدعون لك على المنابر ، فلما
 اصبحوا يوم الجمعة ارتجت الارض بالاضجاج وارتجت السماء
 بالعجاج ولقد لقت الحرب العوان بالمهذبة الذكور والمسومة الفحول
 والكمأة الحماة يحمون حمى الحمام ويحومون حول الدخول ،
 ووقعت الطوالع في الطوالع ، وقرعت القواطع ، وغنت الطبسى ،
 ورقصت المران ومال القنا وجالت الفرسان ، ودارت الكؤوس
 وطارت الرؤوس ، وما فتئت الفتيان تجور وتجول والخرصان
 تصوب وتصول الى ان دنا وقت الزوال ، ودان لوقت الدين وقت
 النزال وصدحت اعواد المنابر بالخطباء وصدقت نيات اهل الجمعة
 للمجاهدين ، ثم ركب جواده وثبت فؤاده وقوى قلبه ، وفرق اصحابه
 اربع فرق كل فرقة منهم في كمين ، وراح له من الروح الامين مجير
 امين ، ولما علم ان الكمين مكين وان الضمير شاهد بما يشهده من
 النصر ضميين ، تلقى بوجهه الحر حر الحرب واستحلى طعم الطعن
 وضرب الضرب . وحمل متملك الروم بجمعه واخذ ببصر الدهر
 وسمعه ، واقبل كالسيل يطلب القرار والليل يسلب النهار ، وثبتت
 لهم خيل الاسلام ثم وثبت وجالت وما وجلت ، واستجرت الروم الى
 ان صار الكمين من ورائها ووقفت المنون بازائها ، ثم خرج من
 خلفها وذوو الاقدام من قدامها ووقعت نار البيض في حلفاء هامها
 فاذنت بانهزامها ، وانكسرت كسرة لاتقبل جبرا ، فطائفة لم تثبت
 للقتال ولم تصبر ، وطائفة ثبتت فقدت صبرا فما نجت من اولئك
 الالوف احاد وما سلمت من اعداء الاسلام اعداد . وملك الملك وقيد
 وقيدا واسر ولم يجد له معينا ولا معيذا ، وركب المسلمون اکتافهم
 وقتل الاحاد آفاهم وطهرت الارض من خبثهم وفرشت بجدثهم
 وصارت الوهاد باشلاء القتلى اكما ، والمرات من قصد القنا اجما .

قال : وكانت مع الروم ثلاثة الاف عجل تنقل الاحمال وتحمل الاثقال

ومن المنجنيقات التي تحملها منجنيق هو اعظمها واتقلها له ثمانية اسهم ويمد فيها الف ومائتا رجل ويحمله مائتا عجل يرمي حجرا وزنه بالرطل الكبير الخلاطي قنطار وكانه جبل له في الجو مطار . قال : وشملهم باسهم القتل والاسر ، وبقيت اموالهم منبوذة بالعرء لاترام معروضة لاتسام ، وسقطت قيمة الدواب والكراع والسلاح والمتاع حتى بيعت بسدس دينار اثنتا عشرة خوزة ، وبدينار ثلاثة ادرع .

ومن عجيب ما حكى في اسر الملك انه كان لسعد الدولة كوهرائين مملوك اهداه لنظام الملك فرده عليه ولم ينظر اليه ، فرغبه فيه كثيرا فقال نظام الملك : وما يراد منه عسى ان ياتينا بملك الروم اسيرا ، وذكر ذلك استهزاء به واستصغارا لقدره واحتقارا لامره ، فاتفق وقوع ممتلك الروم يوم المصاف في اسر ذلك الغلام ووافق تصديق قول النظام ، وخلق عليه السلطان وقال : اقترح من العطاء ما اعطيك فطلب بشاره غزنه .

قال : ودخل السلطان الى اذربيجان بملكه وايده والملك في قيده وصيده وهو اسيف جهده واسير جهله (ولا يحق المكر السيء الا بأهله) (سورة فاطر- الآية: ٤٣) .

فانه خرج وفي نيته فتح الدنيا وحتف الدين وقهر السلاطين ونصر الشياطين ، ثم ذل بعد العز وهان وتعرض للابتذال كل ما صان ، ثم تعطف عليه السلطان واحضره بين يديه وقال : اخبرني بصدقك في قصدك وما الذي قدرت لو قدرت ؟ فقال : كنت احسب اني احبس من اسرته منكم مع الكلاب ، واجعله من السبايا والاسلاب ، وان اخذتك مأسورا اتخذت لك ، وقد ساء جورى ، ساجورا . فقال السلطان : قد عثرت على سر شرك ، فماذا بك الان نصنع ونحن منك بما نويته فينا لانقنع ، فقال : انظر عاقبة فساد نيّتي والعقوبة التي جرّتها الي جريرتي ، فرق له قلب الب ارسلان وارسله وفك قيده ووصله ، وافرج عنه معجلا وسرحه مبعجلا ، ولما انصرف الملك ارمنانوس مانوسا رمى قومه اسمه ومحووا من الملك رسمه وقالوا : هذا من عداد الملوك ساقط ، وزعموا ان المسيح عليه ساخط .

معركة منا زكرد

(من تاريخ دمشق لابن القلانسي ٩٩)

وفي هذه السنة - ٤٦٣ هـ - نزل السلطان العادل الب ارسلان بن داود اخي السلطان طغر لبك بن سلجوق رحمه الله على حلب محاصرا لها ، وبها محمود بن صالح ، في يوم الثلاثاء سابع عشر جمادى الاخرة وضايقها الى ان ملكها بالامان ، فخرج محمود اليه فامنه وانعم عليه وولاه البلد . ورحل عنه ثالث وعشرين رجب قاصدا الى بلاد الروم طالبا ملكهم وقد توجه الى منا زكرد فلحقه ، ووقع به وهزمه ، وكان عسكره على ما حكي تقدير ستمائة الف من الروم وما انضاف اليهم من سائر الطوائف ، وعسكر الاسلام على ما ذكر تقدير اربعمائة الف من الاتراك وجميع الطوائف ، وقتل من عسكر الروم الخلق الكثير بحيث امتلأ واد هناك عند التقاء الصفيين وقد حصل الملك في ايدي المسلمين اسيرا ، وامتلئت الايدي من سوادهم واموالهم والاتهم وكراعهم ، ولم تزل المراسلات متسرودة بين السلطان الب ارسلان وبين ملك الروم المأسور الى ان تقرر اطلاقه والمن عليه بنفسه بعد اخذ العهود والمواثيق بترك التعرض لشيء من اعمال الاسلام ، واطلاق الاسرى ، واطلق وسير الى بلده واهل مملكته ، فيقال انهم اغتالوه وسملوه واقاموا غيره في مكانه لاشياء انكروها عليه ونسبوها اليه .

معركة منا زکرد

(من زبدة التواريخ للامير ابي الحسن علي بن الشهيد ابي الفوارس ناصر بن علي الحسيني ٤٦ - ٥٣)

وفي سنة ثلاث وستين واربع مائة مر السلطان الب ارسلان بالشام ، وخلف ابنه مع فوج من عساكره بكورة حلب ، وعبر ماء الفرات بسنابك الجياد دون السفائن والزواريق ، وورد نواحي خوي وسلماس ، ففرغ سمعه ان ملك الروم قد فوض المملكة الى رجل من اولاد الملوك النصارى ، وجهز له جيشا يربى على ثلاثمائة الف فارس وراجل ، ورمت الروم الى السلطان افلاذ كبدها واخرجت الأرض اثقالها من عديدها وعددها ، واجتمع على هذا الملك من اوباش الروم والأرمن والفرس والبجناك والغز والفرنجة اقوام اطالت الفتن بهم سواعدها ، واعلت النصرانية باجتماعهم قواعدها وحلفوا على انهم يزعمون الخليفة ويقيمون مقامه الجائليق ، ويخربون المساجد ، ويبنون البيع ، فأنفذ السلطان الى زوجته ووزيره نظام الملك وقال : اني صنائر بهذا القدر الذي معي الى العدو فان سلمت فنعمة من الله تعالى ، فان استشهدت فرحمة من الله تعالى فخليفتي ابني ملكشاه ، وهو في خمسة عشر الف فارس من الشجعان الرجال ومع كل واحد فرس يركبه . وتقارب السلطان من ملك الروم في موضع يعرف بالزهرة بين خلاط وملازکرد في يوم الاربعاء خامس عشر ذي القعدة سنة ثلاث وستين واربع مائة فراسله السلطان في الهدنة فأجاب : ان الهدنة تكون بالري فانزعج من ذلك السلطان ، فقال له امامه وفقهه ابو نصر محمد بن عبد الملك البخاري الحنفي : انك تقا تل عن دين الله وانا أرجو أن يكون الله تعالى قد كتب باسمك هذا الفتح ، فالقهم يوم الجمعة في الساعة التي تكون الخطباء على المنابر يدعون للمجاهدين بالانصر على الكافرين

والدعاء مقرون بالاجابة ، فتوقف السلطان الى يوم الجمعة عند خطبة الخطباء وقرأ قوله تعالى (وما النصر الا من عند الله) (سورة الأنفال - الآية: ١٠) وقال السلطان : ربما يكون في الخطباء من اذا قال في آخر خطبته: اللهم انصر جيوش المسلمين وسراياهم حقق الله ببركات دعائه مقاصد الغزاة ومبتغاهم.

وعاد الوزير نظام الملك الى همذان صيانة للعراق وخراسان ومازندران عن اهل العيث والفساد ، والقى السلطان نفسه في المهالك وقال السلطان : من اراد الانصراف فلينصرف فما هاهنا السلطان يأمر وينهى غير الله ، ورمى بالقوس والنشاب ، واخذ السيف وعقد ذنب فرسه بيده ، وفعل جميع عسكروه مثل فعله ، فلما التقى الجمعان حفر الروم الخندق حول العسكر فقال السلطان : انهزموا والله فان حفر الخندق لهؤلاء مع كثرة عددهم دليل على الجبن والفشل ، وضرب قيصر الروم فسطاطا من الاطلاس الاحمر وخيمة مثلها واخبية من الدبابيج ، وجلس على سرير من الذهب وفوقه صليب من الذهب مرصع بجواهر لاقيمة لها ، وبين يديه بشر كثير من الرهابيين والقسيسين يتلون بالانجيل .

والتقى الفريقان يوم الجمعة عند طلوع خطيب المسلمين في المنبر وعلت الاصوات بالقرآن واصوات الكوسات من عسكر السلطان واصوات النواقيس من عسكر الروم ، وهبت اعصار عمت عيون المسلمين وكاد ينهزم عسكر السلطان ، فنزل السلطان من الفرس وسجد لله تعالى وقال : اللهم توكلت عليك وتقربت بهذا الجهاد اليك وعفرت وجهي بين يديك وضرجته بعصارة كبدي وعيناي نضاحتان من البكاء وسالفتاي رشاحتان من الدماء فان كنت من ضميري خلاف ما اقوله بلساني فأهلكني ومن معي من اعواني وغلماي ، وان كان سرا لعلاذيتي فأمددني على جهاد الأعداء واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا وصير العسير علي يسيرا ، وكان يردد هذا التضرع حتى انعكست مهاب الرياح واعمت عيون الكفار واجتث التقدير شجرة البغي ، واصطلم أذف الغي ، ودرس اعلام النصارى

« وترى الناس سكارى وما هم بسكارى » (سورة الحج - الآية :
(٢) وانجلت عند اصفرار الشمس غبرة المعركة وأحاطت بملك الروم
يد الاسر والهلكة.

وكيفية ذلك انه عار فرس لبعض غلمان السلطان فتبع ذلك الغلام اثر
فرسه فوجد فرسا مع لجام مرصع وسرج من ذهب ورجلا جالسا
عند الفرس وبين يديه مغفر من الذهب ودرع مسرودة من الذهب ،
فهم الغلام بقتله فقال له الرجل : انا قيصر الروم فلا تقتلني فان قتل
الملك شؤم ، فشد الغلام يديه وجره الى معسكر السلطان ، فما راه
أسير من أسرى الرِّم الا الصق جبهته بالتراب فورد المبشر حضرة
السلطان ، والسلطان يصلي المغرب ، فأدخلوه على السلطان
والحجاب أخذوه من ضفيرته وجيبه يجرونه الى الارض بين يدي
السلطان لما استهواه من زهو الملك والأبهة فقال السلطان : دعوه
فحسبه معاينة هذا اليوم ، وكان لسعد الدولة كوهرائين مملوك
أهداه الى الوزير نظام الملك فرد عليه ولم ينظر اليه ، وراه حقيرا ،
فرغبه فيه كثيرا ، فقال الوزير نظام الملك : وماذا يراد منه عسى ان
يأتينا بملك الروم قيصر اسيرا فكان كما قال الوزير نظام الملك .

وحضر يوم الوقعة الغلام بين يدي السلطان وأحضر ملك الروم
اسيرا فأمر بتقييده ، ومنى الغلام فتمنى بشارة غزنين فبذل ذلك له .

سمعت من خواجا امام مشرف الشيرازي التاجر على شاطيء
جيحون مقابل درغان ونحن منحدرين الى خوارزم قال : سمعت
مشائخي انه لما تقابل عسكر السلطان بالب ارسلان وعساكر الروم
سير ملك الروم رسولا الى السلطان وقال له : انني قد اتيتك ومعني
من العساكر مالا قبل لك فيه فان انت دخلت في طاعتي فأنا أدفع لك
من البلاد مايكفيك وتؤمن سطوتي وبأسي ، وان انت لم تفعل ذلك فان
معني من العساكر ثلاثمائة الف فارس وراجل ، ومعني اربعة عشر
الف عجلة عليها خزائن الاموال والسلاح ، وليس يقف بين يدي احد
من عساكر المسلمين ، ولا يغلق بوجهي مدينة من مدائنهم ولا قلعة من

قلاعهم ، فلما سمع السلطان هذه الرسالة اخذته عزة الاسلام ، وتحركت في صدره نخوة الملك فقال للرسول : قل لصاحبك انك انت ما قصدتني ولكن الله سبحانه حملك الي وجعلك وعساكرك طعمة للمسلمين فانت اسيري وعبدي ، وعساكرك بعضهم قتلاي وبعضهم اسراي وخزانتك كلها ملكي ومالي ، فاثبت للمقارعة وتهيأ للمكافحة فسوف ترى ان عساكرك هي رقاب تساق الي ضاربها ، وخزانتك هي اموال تحمل الي ناهبها ، وفي بكرة غد كان الحرب بينهما وجرى جميع ما قاله السلطان بعون الله وتوفيقه .

ولما احضر الملك امام سدة السلطان قال ملك الروم للترجمان : قل للسلطان ردني الي دار ملكي قبل ان تجتمع الروم الي ملك اخر يجاهرنا بالمكافحة ، ويدرس كتاب العدوان ويبرز صفحة العصيان وانا اطوع لك من عبيدك ، ولك علي كل سنة ان اودي علي سبيل الجزية الف الف دينار ، فأجابه السلطان الي سؤاله بعد ما عرضه النحاسون علي معرض البيع في الاسواق ثم اعتقه السلطان وخلع عليه وعلى من بقي معه من الاسارى ، وعاد الملك الي دار ملكه ووفى بما عاهد .